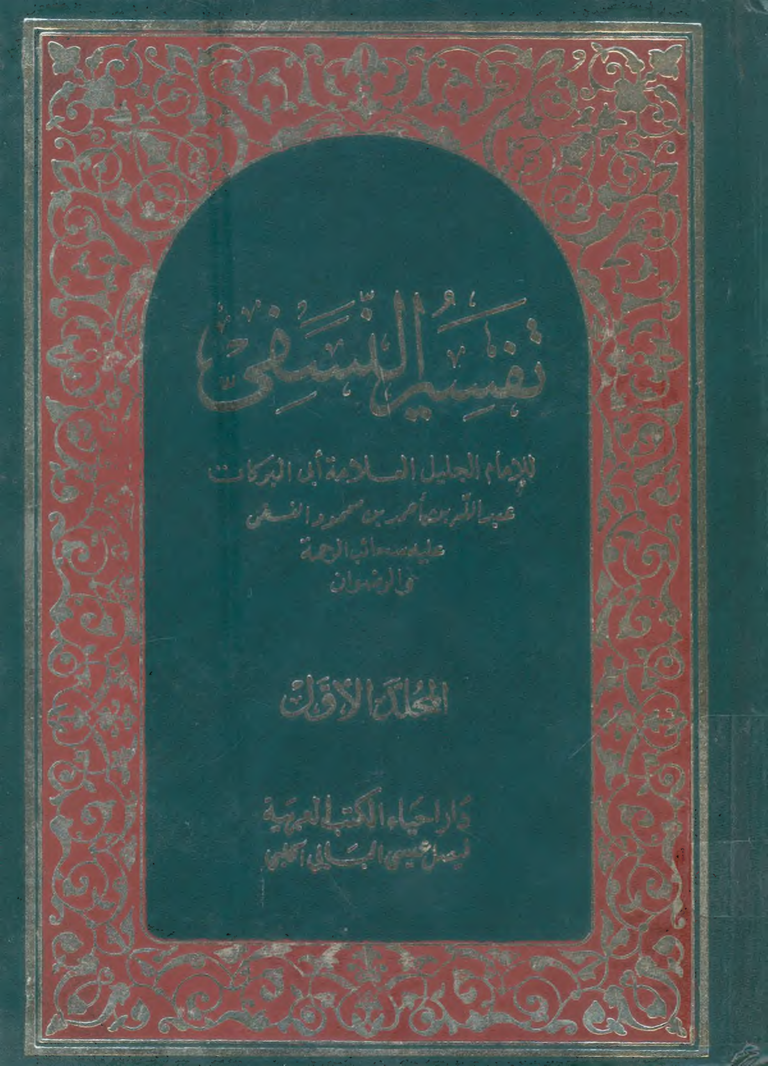

تفسير النسفي
للإمام الجليل العلامة أبي البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان
المجلد الأول
دار احياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي

تفسير النسفي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان

الجزء الأول

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام * المقدس بصفاته عن إدراك العقول والأفهام* المتصف بالألوهية قبل كل موجود * الباقى بالنعوت السرمدية بعد كل محدود * الملك الذى طمست سبحات جلاله الأبصار * المتكبر الذى أزاحت سطوات كبريائه الأفكار * القديم الذى تعالى عن مماثلة الحدثان * العظيم الذى تنزه عن مماسة المكان * المتعالى عن مضاهاة الأجسام* ومشابهة الأنام * القادر الذى لايشار إليه بالتكييف * القاهر الذى لايسئل عن التحميل والتكليف * العليم الذى خلق الإنسان وعلمه البيان * الحكيم الذى نزل القرآن شفاء للأرواح والأبدان * والصلاة والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة * المحتل فى بحبوحة النصاحة والفصاحة * محمد المبعوث إلى خليقته * الداعى إلى الحق وطريقته * صلى الله وسلم عليه * وعلى آله وشيعته ﴿ قال ﴾ مولانا الشيخ الإمام المعظم * والحبر الإمام المقدم * أستاذ أهل الأرض * محيى السنة والفرض * كشاف حقائق أسرار التنزيل * مفتاح أسرار حقائق التأويل * ترجمان كلام الرحمن * صاحب علم المعانى والبيان * الجامع بين الأصول والفروع* المرجوع إليه فى المعقول والمسموع * حافظ الملة والدين * شيخ الإسلام والمسلمين * وارث علوم الأنبياء والمرسلين* أكمل فحول المجتهدين* قدوة قروم المحققين* ذو السعادات والكرامات* أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى نفع الله الإسلام بطول بقائه * والمسلمين بيمن لقائه* قد سألنى من تتعين إجابته كتابا وسطا فى التأويلات * جامعا لوجوه الإعراب والقراءات* متضمنا الدقائق علم البديع والإشارات * حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة * خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة * ليس بالطويل الممل * ولا بالقصير المخل* وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصاراً لقوة البشر * عن درك هذا الوطر * وأخذاً لسبيل الحذر * عن ركوب متن الخطر* حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة * وأتممته فى مدة يسيرة ﴿وسميته بمدارك التنزيل * وحقائق التأويل﴾ وهو الميسر لكل عسير * وهو على ما يشاء قدير* وبالإجابة جدير.

﴿ فاتحة الكتاب ﴾

مكية وقيل مدنية والأصح أنها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ولاشتمالها على المعانى التى فى القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكيا عن الله تعالى «فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى» وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام» وسورة المثانى لأنها تثنى فى كل صلاة وسورة الصلاة لما يروى ولأنها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والأساس فإنها أساس القرآن قال ابن عباس رضى الله عنهما إذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس وآيها سبع بالاتفاق .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبى حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم فى الصلاة وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها فى الصلاة وقالوا قد أثبتها السلف فى المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبى هريرة قال سمعت النبى عليه السلام يقول: «قال الله تعالى قسمت الصلاة ــ أى الفاتحة ــ بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة وإذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها إجماعا والحديث مذكور فى صحاح المصابيح وما ذكروا لا يضرنا لأن التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الإسلام فى المبسوط وإنما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره فى الكافى وتعلقت الباء بمحذوف تقديره باسم الله أقرأ أو أتلو

لأن الذى يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل وارتحل فقال باسم الله والبركات كان المعنى باسم الله أحل وباسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله باسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وإنما قدر المحذوف متأخرا لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وإنما قدم الفعل فى اقرأ باسم ربك لأنها أول سورة نزلت فى قول وكان الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز أن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطى ويمنع غير متعد إلى مقروء به وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله أقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لأنها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الأسماء التى بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا وإذا وقعت فى الدرج لم يفتقر إلى زيادة شىء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمى وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لأن التسمية تنويه بالمسمّى وإشادة بذكره وحذفت الألف فى الخط هنا وأثبتت فى قوله: اقرأ باسم ربك لأنه اجتمع فيها أى فى التسمية مع أنها تسقط فى اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضاً عن حذفها، وقال عمر بن عبدالعزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الإله ونظيره الناس أصله الأناس حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف، والإله من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وأما الله بحذف الهمزة فختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لأنك تصفه ولا تصف به لا تقول شىء إله كما لا تقول شىء رجل وتقول الله واحد صمد ولأن صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجرى عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز، ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد ابن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد

وصيغه هـذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير فى معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله إلاها إذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أى معبود كقوله هذا خلق الله أى مخلوقه وتفخم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق إذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الأول، والرحمن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمته كل شىء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضباً وكذا الرحيم فعيل منه كريض من مرض ، وفى الرحمن من المبالغة ماليس فى الرحيم لأن فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى، ولذا جاء فى الدعاء يارحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وقالوا: الرحمن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وإن كان أبلغ والقياس الترق من الأدنى إلى الأعلى يقال: فلان عالم ذو فنون نحرير لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، ورحمة الله انعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر فى مسيلمة * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فباب من تعنتهم فى كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة ومن زعم أن الشرط وجود فعلى صرفه إذ ليس له فعلى، والأول الوجه (الْحَمْدُ) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرىء باضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة فى معنى الإخبار كقولهم شكراً وكفراً والعدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لِلَّهِ) واللام متعلق بمحذوف أى واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول: حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال .

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

أى القلب ، والحمد باللسان وحده وهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث «الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده» وجعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافى عمل الجوارح من الاحتمال، ونقيض الحمد الذم ونقيض

الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ماهو له من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ماهو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما، والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافاً للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الأفعال وقد حققته فى مواضع (رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرب المالك ومنه قول صفوان لأبى سفيان : لأن يربنى رجل من قريش أحب إلىّ من أن يربنى رجل من هوازن، تقول ربه يربه ربا فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا فى الله وحده وهو فى العبيد مع التقييد إنه ربى أحسن مثواى قال: ارجع إلى ربك ، وقال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الأعظم والعالم كل ماعلم به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمى به لأنه علم على وجوده. وإنما جمع بالواو والنون مع أنه يختص بصفات العقلاء أو ما فى حكمها من الأعلام لما فيه من معنى الوصفية وهى الدلالة على معنى العلم (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ذكرهما قد مر وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لما أعادهما لخلو الإعادة عن الإفادة (مَالِكِ) عاصم وعلىّ ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله : لمن الملك اليوم، ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولأن أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك أكثر ثوابا لأنه أكثر حروفا، وقرأ أبو حنيفة والحسن رضى الله عنهما ملك (يَوْمِ الدِّينِ) أى يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أى كما تفعل تجازى وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع كقولهم * يا سارق الليلة أهل الدار * أى مالك الأمر كله فى يوم الدين، والتخصيص بيوم الدين لأن الامر فيه لله وحده وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التى أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا أى مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به فى قوله: الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) إيا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الإعراب . وعند الخليل هو اسم مضمر

أضيف إيا إليه لأنه يشبه الظهر لتقدمه على الفعل والفاعل، وقال الكوفيون: إياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة، وقوله: والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه، وقول امرىء القيس:

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخليّ ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الاسود

فالتفت في الأبيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يامن هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة ولنظم الآي كما قدم الرحمن، وإن كان الأبلغ لا يقدم وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه، ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله: اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أي ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم: قم حتى أعود إليك أي اثبت على ما أنت عليه أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال، وهدى يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد فأما تعديه إلى مفعول آخر فقد جاء متعدياً إليه بنفسه كهذه الآية، وقد جاء متعدياً باللام وبإلى كقوله تعالى: هدانا لهذا وقوله: هداني ربي إلى صراط مستقيم، والصراط: الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة إذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء في الاطباق لأن الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطباق، وقد تشم الصاد صوت الزاي لأن الزاي إلى الطاء أقرب لأنهما

مجهورتان وهي قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهي الأصل في الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي الثابتة في المصحف الإمام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل، والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) بدل من الصراط وهو في حكم تكرير العامل وفائدته التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والأنبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) بدل من الذين أنعمت عليهم، يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أوصفة للذين، يعني أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال، وإنما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالإضافة لأنه إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولأن الذين قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الأولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية. وغضب الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ، ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير * آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد اسم لأمهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين فقال: «افعل» وهو مبني وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الأصل والمد بإشباع الهمزة قال :

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * قال عليه السلام: «لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب» وقال: إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف.

﴿ سورة البقرة مدنية وهى مائتان وست أو سبع وثمانون آية ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓ) ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم، فالقاف تدل على أول حروف قال والألف تدل على أوسط حروف قال، واللام تدل على الحرف الأخير منه وكذلك ما أشبهها والدليل على أنها أسماء أن كلا منها يدل على معنى فى نفسه ويتصرف فيها بالإمالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهى معربة، وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وقيل إنها مبنية كالأصوات نحو غاق فى حكاية صوت الغراب، والجمهور على أنها أسماء السور، وقال ابن عباس رضى الله عنهما . أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضى الله عنه إنها اسم الله الأعظم وقيل إنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله وما سميت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها، وقيل ورود هذه الأسماء على نمط التعديد كالإيقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا إن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام إلا لأنه ليس من كلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل، وقيل إنما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فإنه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعداً من الأمى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة، فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله حكم الأقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن يضاهيهم فى شىء من الإحاطة بها فى أن ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد لصحة نبوته . واعلم أن المذكور فى الفواتح نصف أسامى حروف المعجم وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهى مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء

والعين والطاء والقاف والياء والنون، ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون، ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الأجناس مكثورة بالمذكورة منها. وقد علمت أن معظم الشيء ينزل منزلة كله فكأن الله تعالى عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما مر من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم. وإنما جاءت مفرقة على السور لأن إعادة التنبيه على التحدى به مؤلفاً منها لا غير أوصل إلى الغرض وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم تجيء على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص و ق و ن وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام. وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف سلك في الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثتها لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال: لا إله إلا هو الحي القيوم ولهذه الفواتح محل من الإعراب فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام وهو الرفع على الابتداء أو النصب أو الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) أي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام

اوذلك إشارة إلى الم، وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار إليهمؤنث وهو السورة لأن الكتاب إن كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وإن كان صفته فالإشارة به إلى الكتاب صريحاً لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفةله تقول: هند ذلك الإنسان أوذلك الشخص فعل كذا، ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسماً للسورة أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبرللمبتدأ الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب فى مقابلتهناقص كما تقول: هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وأن يكون المخبر مبتدأ محذوف أىهذه الم جملة وذلك الكتابجملة أخرى، وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلكمبتدأ خبرهالكتاب أىذلك الكتابالمنزلهوالكتاب الكامل (لَا رَيْبَ) لاشك وهومصدر رابنى إذا حصل فيك الريبة وحقيقةالريبة قلقالنفس واضطرابها ومنه قوله عليهالسلام: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإنالصدق طمأنينة، أىفإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفى كونه متعلقاً للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه لا أن أحداً لا يرتاب وإنما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لأن المراد فى إيلاء الريب حرف النفى نفى الريبعنه وإثبات أنه حق لاباطل كما يزعم الكفار ولو أولى الظرفلقصد إلى مايبعد عن المرادوهو أن كتاباً آخر فيه ريب لافيه كما قصد فىقولهتعالى: لافيهاغول، تفضيل خمرالجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هى والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبراً والتقدير لا ريب فيه (فِيهِ هُدًى) فيه بإشباع كل هاء مكى ووافقه حفص فى فيه مهاناً وهوالأصل كقولك مررت به ومن عنده وفى داره وكما لا يقال فى داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه، وقال سيبويه ما قاله مؤد إلى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء إذا الهاء المتحركة فى كلامهم بمنزلة الساكنة لأن الهاء خفية والخفى قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة فى

فى مقابلته فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وإنما قيل هدى (لِلْمُتَّقِينَ) والمتقون مهتدون لأنه كقولك للعزيز المكرم: أعزك الله وأكرمك، تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله: اهدنا الصراط المستقيم، أو لأنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام «من قتل قتيلاً فله سلبه» وقول ابن عباس رضى الله عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض، فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلاً ومريضاً ولم يقل: هدى للضالين. لأنهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جىء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع أن فيه تصديراً للسورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم: وقاه فاتقى ، ففاؤها واو ولامها ياء وإذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها فى التاء الأخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة ، وفى الشريعة من يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال من الهاء فى فيه والذى هو أرسخ عرقاً فى البلاغة أن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولاريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جىء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم: فيم لذتك، قال: فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لايحوم الشك حوله وحقا لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة. ففى الاولى الحذف والرمز إلى المطلوب بألطف وجه . وفى الثانية ماقى

التعريف من الفخامة. وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف. وفى الرابعة الحذف، ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية وإيراده منكرا ففيه إشعار بأنه هدى لا يكتنه كنهه، والإيجاز فى ذكر المتقين كامر (الَّذِينَ) فى موضع رفع أو نصب على المدح أى هم الذين يؤمنون أو أعنى الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره أولئك على هدى أوجر على أنه صفة للمتقين، وهى صفة واردة بيانا وكشفاً للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من الإيمان الذى هو أساس الحسنات، والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى أن النبى عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة، وسمى الزكاة قنطرة الإسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما فى ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك : زيد الفقيه المتكلم الطبيب، ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت (يُؤْمِنُونَ) يصدقون وهو إفعال من الأمن وقولهم: آمنه أى صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر واعترف (بِالْغَيْبِ) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبى عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشىء غيباً هذا إن جعلته صلة للإيمان وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيبة والإيمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الإيمان (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أى يؤدونها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها أو أريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشىء النافق الذى تتوجه إليه الرغبات وإذا أضيعت كانت كالشىء الكاسد الذى لا يرغب فيه، والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين أى الأليتين لأن المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده وقيل للداعى مصل تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم وما بمعنى الذى (يُنْفِقُونَ) يتصدقون أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهى

عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التي هي أختها أو هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقاً، وأنفق الشيء وأنفده أخوان كنفق الشيء ونفد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات، ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك: هو الشجاع والجواد، وقوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام … وليث الكتيبة في المزدحم

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد ولأنه إذا كان بعضه نازلاً وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين (وَبِالْآخِرَةِ) وهي تأنيث الآخر الذي هو ضد الأول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله: تلك الدار الآخرة، وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام (هُمْ يُوقِنُونَ) الإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى) الجملة في موضع الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها، ويجوز أن يجرى الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله، ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى

الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم: جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (مِّن رَّبِّهِمْ) أى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أى هدى ونحوه لقد وقعت على لحم أى على لحم عظيم (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أى الظافرون بما طلبوا الناجون مما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر، والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا أخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى، وجاء العطف هنا بخلاف قوله: أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون، لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للأولى فهى من العطف بمعزل، وهم فصل. وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف قرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الإشارة وتكريره ففيه تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون فى الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أى هو الذى أخبرت بتوبته، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك فى طلب ماطلبوا وينشطك لتقديم ماقدموا. اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة إليه وبين أن الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمى الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما فى قوله: إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم، لأن الجملة الأولى هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لا خبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار من الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت فى المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه وإن كان مبتدأ على تقرير فهو كالجارى عليه، والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون كأبى جهل وأبى لهب وأضرابهما (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) بهمزتين كوفى وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى: إلى كلمة سواء، أى مستوية

وارتفاعه على أنه خبر لأن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروامستو عليهم إنذارك وعدمه أويكون سواء خبرا مقدما وأأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء أى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإن وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدا لأنه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا، قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى (لَا يُؤْمِنُونَ) جملة مؤكدة للجملة قبلها أوخبر لإن، والجملة قبلها اعتراض أوخبر بعد خبر. والحكمة فى الإنذار مع العلم بالإصرار إقامة الحجة وليكون الإرسال عاما وليثاب الرسول (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)قال الزجاج الختم التغطية لأن فى الاستيثاق من الشىء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس: طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير، يعنى أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ماليس فيها من الإيمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق فى صدر العبد عندنا فلا يؤمن مادامت تلك الظلمة فى قلبه وعند المعتزلة أعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم: إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم فى الحقيقة الكافر إلا أنه تعالى لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب مثل: بنى الأمير المدينة، لأن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الأسد فى جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) وحد السمع كما وحد البطن فى قوله .

* كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * لأمن اللبس ولأن السمع مصدر فى أصله يقال: سمعت الشىء سمعا وسماعا ، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع فلمح الأصل وقيل المضاف محذوف أى وعلى مواضع سمعهم وقرىء وعلى أسماعهم (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) بالرفع خبر ومبتدأ، والبصر: نور العين وهو ما يبصر به الرائى، كما أن

البصيرة: نور القلب وهي مابه يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار. والغشاوة : الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة. والأسماع داخلة فى حكم الختم لا فى حكم التغشية لقوله: وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة بإضمار جعل وتكرير الجار فى قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم فى الموضعين قال الشيخ الإمام أبو منصور بن على رحمه الله: الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر فى نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لابد من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة فى حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة فى الأصلح فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه، والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. ويستعملان فى الجثة والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من التغطية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لايعلم كنهه إلا الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوباً وألسنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، وقال مجاهد أربع آيات من أول السورة فى نعت المؤمنين وآيتان فى ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية فى المنافقين نعى عليهم فيها تكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة. وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة. وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لايكاد يقال الأناس ويشهد

لأصله إنسان وأناسى وإنس وسموا به لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول فإنك تقول وزن قه افعل وليس معك إلا العين وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وإنما خصوا الإيمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذى لا حد له وهو الأبد الدائم الذى لا ينقطع وإنما سمى بالآخر لتأخره عن الأوقات المنقضية أو الوقت المعهود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنهم أوهموا فى هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبى الإيمان أوله وآخره وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع إلى مسائل المبدأ وهى العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهى العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة . وفى تكرير الباء إشارة إلى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام وإنما طابق قوله (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) وهو فى ذكر شأن الفاعل لا الفعل، قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهو فى ذكر شأن الفعل لا الفاعل لأن المراد إنكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين. ونحوه قوله تعالى: يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها، فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الإيمان فى الثانى بعد تقييده فى الأول لأنه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفى أصل الإيمان وفى ضمنه نفى المذكور أولا. والآية تنفى قول الكرامية: ان الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم. وتؤيد قول أهل السنة انه إقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء فى خبر ما مؤكدة للنفى لأنه يستدل به السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام. ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وماهم بمؤمنين نظرا إلى معناه (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) أى رسول الله لحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو على رحمه الله وغيره أى يظهرون غير ما فى أنفسهم فالخداع إظهار غير ما فى النفس وقد رفع الله منزلة النبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله فى زعمهم لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف

كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم فى ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم فى ذلك متاركتهم عن المحاربة التى كانت مع من سواهم من الكفار وإجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف: الوقف لازم على بمؤمنين لأنه لو وصل لصار التقدير وماهم بمؤمنين مخادعين فينتفى الوصل كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفى الإيمان عنهم وإثبات الخداع لهم. ومن جعل يخادعون حالا من الضمير فى يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير فى بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وماهم بمؤمنين فى حال خداعهم لايقف والوجه الأول (وَالَّذِينَ آمَنُوا) أى يخادعون رسول الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإضمار الكفر (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ) أى وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب فى الآخرة يرجع إليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون أبو عمرو ونافع ومكى للمطابقة وعذر الأولين أن خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشىء وحقيقته ثم قيل القلب والروح النفس لأن النفس بهما وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لايعدوهم إلى غيرهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) أن حاصل خداعهم يرجع إليهم والشعور علم الشىء علم حس من الشعار وهو ثوب يلى الجسد ومشاعر الإنسان حواسه لأنها آلات الشعور والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم، لتمادى غفلتهم كالذى لاحس له (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) أى شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد . فى الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد فى القلب (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً) أى ضعفاً عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق فى حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف فى زيادة الإيمان (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فعيل بمعنى مفعل أى مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) كوفى. أى بكذبهم فى قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر، فما مع الفعل بمعنى المصدر والكذب الإخبار عن الشىء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أى بتكذيبهم النبى عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة فى كذب كما بولغ فى صدق فقيل صدق ونظيرها بان الشىء

وبين (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لوقلت
ومن الناس من إذا قيل لهم (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) لكان صحيحا والفساد خروج الشيء
من حال استقامته وكونه منتفعاً به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة
والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة
من أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية، وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم
كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك
مما يؤدى إلى هيج الفتن بينهم (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة
يعني أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد
لأن إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما ينطلق زيد وإنما زيد كاتب
وما كافة لأنها تكفها عن العمل (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) أنهم
مفسدون لحذف المفعول للعلم به الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على
تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققاً كقوله تعالى: أليس ذلك بقادر،
ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم
وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة
فيه من جهة الاستئناف وما في ألا وإن من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله
لا يشعرون (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ)
نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره إلى الفساد وثانيهما
تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادي جهلهم
وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وإنما صح إسناد قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا مع أن إسناد
الفعل إلى الفعل لا يصح لأنه إسناد إلى لفظ الفعل والممتنع إسناد الفعل إلى معنى الفعل فكأنه
قيل وإذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب. وما في كما كافة كما في ربما أو مصدرية
كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو
عبد الله بن سلام وأشياعه أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون
في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما

فى موضع النصب لأنه صفة مصدر محذوف أى إيماناً مثل إيمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام فى أنؤمن للإنكار واللام فى السفهاء مشار بها إلى الناس وإنما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ) أنهم هم السفهاء وإنما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبر إن وهم فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبر إن (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا) وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه. الآية الأولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم (وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ) خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء أى إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه أن نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه أنها زائدة واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير أو من شاط إذا بطل ومن أسمائه الباطل (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وإنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن لأنهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الإيمان منهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الإيمان إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والأنصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجاً عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) تأكيد لقوله انا معكم لأن معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزىء بالشىء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به ودفع نقيض الشىء تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم

اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم إنا معكم إن كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان (اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ) أى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه. فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزىء بهم من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله تعالى هو الذى يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزىء بهم ولم يقل الله مستهزىء بهم ليكون طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤون (وَيَمُدُّهُمْ) أى يمهلهم عن الزجاج (فِى طُغْيَانِهِمْ) فى غلوهم فى كفرهم (يَعْمَهُونَ) حال أى يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسئلة الأصلح (أُولَٰئِكَ) مبتدأ خبره (الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ) أى استبدلوها به واختاروها عليه وإنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها فى قوم آمنوا ثم كفروا أو فى اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطياً لأنهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلاً لنا على أن من أخذ شيأ من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد المجازى ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم إذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازاً أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحاً له كقوله :

ولما رأيت النسر عز ابن دأية … وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر. والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم إلى آخر الآية فى محل الرفع خبر أولئك (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميماً للبيان ولضرب الأمثال فى إبراز خفيات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك فى الكتب السماوية ومن سور الإنجيل سورة الأمثال. والمثل فى أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً إلا قولاً فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد ناراً وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذى استوقد ناراً على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد أوقد. ووقود ووقود النار سطوعها. والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً (فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ) الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وهى فى الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء. وجواب فلما (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل مثل إذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئاً ثابتاً حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل

على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به. والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الإذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لأن ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم رأساً ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ) والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لَا يُبْصِرُونَ) وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلاً وإنما شبهت حالهم بحال المستوقد لأنهم غب الإضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط في ظلمات الكفر أبداً ولكن المراد ما استضاؤا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم إلى ظلمة العقاب السرمدى . وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التى اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) أى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا أو يتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشارعهم. وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم: هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذلك في الأسماء وما في الآية تشبيه بليغ في الأصح لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع إلى الشىء. وعنه أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ

السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) ثنى الله سبحانه وتعالى فى شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح. شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد ناراً وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى أو كمثل ذوى صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوى لدلالة يجعلون عليه . والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء إلا أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح فى قوله : وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء، وقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

بل جاء به مطوياً ذكره على سنن الاستعارة والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شىء يقدر شبهه به . بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها كقوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، الآية فالمراد تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله: واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئاً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة: شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق، والتمثيل الثانى أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذا أخر، وهم يتدرجون فى مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ. وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأو لأنها فى أصلها لتساوى

شيئين فصاعدا فى الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوى كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين يريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا، وقوله تعالى: ولا تطع منهم آثما أو كفوراً، أى الآثم والكفور سيان فى وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وأن الكيفيتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك، والصيب: المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضاً وتنكير صيب لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الأول والسماء هذه المظلة. وعن الحسن أنها موج مكفوف والفائدة فى ذكر السماء، والصيب لا يكون إلا من السماء، أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء، ففى التعريف مبالغة كما فى تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه، وقيل إنه يأخذ من البحر ويرتفع. ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لأنه قد قوى لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الأخفش وسيبويه. والرعد : الصوت الذى يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه، أو ملك يسوق السحاب والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشىء بريقاً إذا لمع والضمير فى فيه يعود إلى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فإن أريد به السحاب فظلماته إذا كان أسحم مطبقاً، ظلمتاه سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل. وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة أظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكاناً للرعد والبرق على إرادة السحاب به ظاهر وكذا إن أريد به المطر لأنهما ملتبسان به فى الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران فى الأصل، يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعى حكم الأصل بأن ترك جمعهما ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ) الضمير لأصحاب الصيب وإن كان محذوفاً كما فى قوله أوهم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم فى آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال: يكاد البرق يخطف أبصارهم، وإنما ذكر الأصابع ولم

يذكر الأنامل ورؤس الأصابع هى التى تجعل فى الآذان اتساعاً كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد إلى الرسغ ولأن فى ذكر الأصابع من المبالغة ماليس فى ذكر الأنامل وإنما لم يذكر الأصبع الخاص الذى تسد به الأذن لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لأنها مستحدثة غيرمشهورة (مِنَ الصَّوَاعِقِ) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعم فى آذانهم، والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهى نار لطيفة حديدة لاتمر بشىء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثم طفئت، ويقال سمعته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أى مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له، والموت فساد بنية الحيوان أوعرض لايصح معه إحساس معاقب للحياة (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) يعنى أنهم لا يفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لامحل لها (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) الخطف الأخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جداً وموضع يخطف نصب لأنه خبر كاد (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه، والعامل فيه جوابها وهو (مَشَوْا فِيهِ) أى فى ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين، وأضاء متعد أى كلما نور لهم ممشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعد أى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره، والمشى جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعى فإذا ازداد فهو عدو (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ) أظلم غير متعد وذكر مع أضاء كلما ومع أظلم إذا لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قَامُوا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قام الماء إذا جمد (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) بقصيف الرعد (وَأَبْصَارِهِمْ) بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما

ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا فى الشىء المستغرب كنحو قوله :

فلو شئت أن أبكى دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقوله تعالى: لوأردنا أن نتخذ لهواً. ولوأراد الله أن يتخذ ولداً (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى إن الله قادر على كل شىء، لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) قال علقمة ما فى القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لأهل مكة وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لأهل المدينة وهذا خطاب لمشركى مكة، ويا حرف وضع لنداء البعيد وأى والهمزة للقريب ثم استعمل فى مناداة من غفل وسها وإن قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فإذا نودى به القريب القاطن فذاك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معتنى به جداً، وقول الداعى يارب وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته، وأى وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذى وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل. وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء. فالذى يعمل فيه يا أى، وأى والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أى من الإضافة. وكثر النداء فى القرآن على هذه الطريقة لأن ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه قال ابن عباس رضى الله عنهما: كل عبادة فى القرآن هى توحيد (الَّذِي خَلَقَكُمْ) صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمون الآلهة أربابا. والخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وعند المعتزلة إيجاد الشىء على تقدير واستواء، وهذا بناء على أن المعدوم شىء عندهم لأن الشىء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود

خلـكم بالادغام أبو عمرو (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) اى اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجى والإطماع ولـكنه إطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم وفاؤه، وبه قال سيبويه . وقال قطرب هو بمعنى كى أى لـكى تتقوا (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ) أى صير ومحل الذى نصب على المدح أو رفع بإضمار هو (فِرَاشًا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كرية إذ الافتراش ممكن على التقديرين (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا كقوله تعالى: وجعلنا السماء سقفا محفوظا، وهو مصدر سمى به المبنى (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (فَأَخْرَجَ بِهِ) بالماء، نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولـكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على إنشاء الـكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولـكن له فى إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة، حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن فى (مِنَ الثَّمَرَاتِ) للتبعيض أو للبيان (رِزْقًا) مفعول له إن كانت من للتبعيض ومفعول به لأخرج إن كانت للبيان وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وإن كان الثمر المخرج بماء السماء، كثيرا، لأن المراد جماعة الثمرة ولأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية (لَكُمْ) صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) هو متعلق بالأمر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لا يجعل له ند ولا شريك ، ويجوز أن يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا. ودخول الفاء لأن الـكلام يتضمن الجزاء أى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالواحدانية فلا تتخذوا له شركاء. المثل والند ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء، ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق أو مفعول تعلمون متروك أى وأنتم من أهل العلم، وجعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك ـ لخلقهم أحياء قادرين وخلق الأرض التى هى مثواهم

ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وماسوّاه عزوجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الثمار رزقا لبنى آدم، فهذا كله دليل موصل إلى التوحيد مبطل للإشراك لأن شيئاً من المخلوقات لا يقدر على إيجاد شئ منها ، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر إعجاز القرآن فقال (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى (عَلَى عَبْدِنَا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء، والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازٌ ملكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا، شيئاً فشيئا لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة، ولا يرمى الناثر بخطبه ضربة ، فلو أنزله الله لأنزله جملة قال الله تعالى: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، فقيل إن ارتبتم فى هذا الذى وقع إنزاله هكذا على تدريج (فَأْتُوا بِسُورَةٍ) أى فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السو والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وواوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التى هى الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضاً فى نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشىء. وأما الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً فهى كثيرة ـ ولذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السورة وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم. منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً، ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومن ثم جزأ القراء

القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماساً، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه ويجل في نفسه، ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا. ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل (مِّن مِّثْلِهِ) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله يعني فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم أو لعبدنا أي فأتوا بمن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك . ورد الضمير إلى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله. فأتوا بعشر سور مثله. على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله. ولأن الكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً. وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه فإن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ولأن هذا التفسير يلائم قوله (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (مِّن دُونِ اللَّهِ) أي غير الله وهو متعلق بشهداءكم أي ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو من يشهد لكم بأنه مثل القرآن (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) إن ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي إن كنتم صادقين في دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام، قال لهم فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند. وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون التحدي به معجزاً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجيء بإن الذى للشك دون إذا الذى للوجوب وعبر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الأفعال والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا إذ لولم يعدل من لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال

فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا لأنها جملة اعتراضية، وحسّن هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا. ولا ولن أختان فى نفى المستقبل إلا أن فى لن تأكيدا وعن الخليل أصلها لا أن، وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونًا، وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفى المستقبل، وإنما علم أنه إخبار عن الغيب على ماهو به حتى صار معجزة لأنهم لو عارضوه بشىء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عدداً من الذابين عنه. وشرط فى اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله لأنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهى من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذى هو من حلية القرآن. والوقود ماترفع به النار يعنى الحطب وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح. وصلة الذى والتى تجب أن تكون معلوما للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى: ناراً وقودها الناس والحجارة. وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها إلى ماعرفوه أولا. ومعنى قوله تعالى: وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة وهى حجارة الكبريت فهى أشد توقداً وأبطأ خموداً وأنتن رائحة وألصق بالبدن أو الأصنام المعبودة فهى أشد تحسيراً وإنما قرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أنداداً ونحوه قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، أى حطبها فقرنهم بها محماة فى نار جهنم إبلاغا فى إيلامهم (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) هيئت لهم وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافاً لما يقوله جهم. سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطاً لاكتساب مايزلف وتثبيطا عن اقتراف مايتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب ثناه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به. وهو معطوف على فاتقوا كما تقول يابنى تميم احذروا

عقوبة ما جنيتم وبشر يافلان بنى أسد بإحسانى إليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق. والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال: أخبرنى مكان بشرنى عتقوا جميعاً، لأنهم أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم. والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس. والآية حجة على من جعل الأعمال إيمانا لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه. ولا يقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحاً لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان، ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ) أى بأن لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب بيشر عند سيبويه خلافاً للخليل وهو كثير فى التنزيل. والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان. والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الجملة فى موضع النصب صفة لجنات ، والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية. وأنهار الجنة تجرى فى غير أخدود. وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار فى خلالها مطردة والجرى الاطراد . والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل: نهر مصر، واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة

ر إسناد الجرى إلى الأنهار مجازى وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى : واشتعل الرأس شيباً، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة فى قوله تعالى: فيها أنهار من ماء غير آسن: الآية والماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كُلَّمَا رُزِقُوا) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله (مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِى) أى كلما رزقوا من الجنات — من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقاً قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وإنما المراد نوع من أنواع الثمار (رُزِقْنَا) أى رزقناه فحذف العائد (مِن قَبْلُ) أى من قبل هذا فلما قطع عن الإضافة بنى والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير فى به يرجع إلى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعاً لأن قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الأمر وتمادى الحال فى ظهور المزية وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل أوان أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف . وعنه عليه السلام « والذى نفس محمد بيده

إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة إلى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك» وقوله: «وأتوا به متشابها» جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا، ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مُّطَهَّرَةٌ) من مساوى الأخلاق لاطمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء بالحيض والاستحاضة ومالا يختص بهن من البول والغائط وسائر الأقذار والأدناس: ولم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لأن مطهرة أبلغ لأنها تكون للتكثير وفيها إشعار بأن مطهراً طهرهن وما ذلك إلا الله عزوجل (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فإنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول الآخر وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولأنه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال. قلنا الأول فى حقه هو الذى لا ابتداء لوجوده، والآخر هو الذى لا انتهاء له، وفى حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفى النقيصة والزوال وذا فى تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه وأنى يقع التشابه فى البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود * نـ ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا مايشبه هذا كلام الله فنزل (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً) أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف مايعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به، ويجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا: أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت، فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع ــ وفيه لغتان التعدى بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا، وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وماهذه إبهامية وهى

التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته عموماً كقولك: أعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى : فبما نقضهم ميثاقهم، كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة . وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين على أن ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشئ لأنه قطعة منه والبعوض فى أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فَمَا فَوْقَهَا) فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة ، أو فما زاد عليها فى الحجم كأنه أراد بذلك رد مااستنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بمادون البعوضة وهي النهاية فى الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا (فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ) الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب (مِن رَّبِّهِمْ) فى موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً) ويوقف عليه إذ لووصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقار كماقالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو : ياعجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التميز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده وأنه لامحالة ذاهب قلت: أمازيد فذاهب، ولذا قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شئ فزيدذاهب، وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وأنه فى معنى الشرط وفى إيراد الجملتين مصدرتين به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء، وماذا فيه وجهان : أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى وما استفهاما فيكون كلمتين ، وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الأول رفع بالابتداء وخبره ذامع صلته أى أراد والعائد محذوف وعلى الثانى منصوب المحل بأراد والتقدير أى شئ أراد الله والإرادة مصدر أردت

الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة، وقال معتزلة بغداد: إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة . فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما ، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة. وأهل الهدى كثير في أنفسهم وإنما يوصفون بالقلة بالقياس إلى أهل الضلال، ولأن القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة

إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

والإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى وإدناء المتوهم من الشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ألا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله لا حال أحقر منها وأقل ـ ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا ـ لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم إذا سمعوه كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وحشاش الأرض فقالوا : أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ، ولكن ديدن المحجوج والمبهوت

أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وإنكار اللائح (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) هومفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لأن يضل لم يستوف مفعوله. والفسق: الخروج عن القصد. والفاسق فى الشريعة: الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك مايبطله إن شاء الله (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) النقض: الفسخ وفك التركيب. والعهد: الموثق. والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد الله ماركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره، أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم، وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذى أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى : وإذ أخذ ربك من بنى آدم، الآية، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، (مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ) أصله من الوثاقة وهى إحكام الشيء والضمير للعهد وهو ماوثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو لله تعالى أى من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم مابين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق فى إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض. والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء ، وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى وأن يوصل فى موضع جر بدل من الهاء أى بوصله أو فى موضع رفع أى هو أن يوصل (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بقطع السبيل والتعويق عن الإيمان (أُولَٰئِكَ) مبتدأ (هُمُ) فصل والخبر (الْخَاسِرُونَ) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم مايصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ، ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا) نطفاً فى أصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة

والأموات جمع ميت كالأقوال جمع قيل ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضاً كقوله تعالى : بلدةميتاً (فَأَحْيَاكُمْ) فى الأرحام (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انقضاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تصيرون إلى الجزاء ، أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم إليه ترجعون للنشور وإنما كان العطف الأول بالفاء والبواقى بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن أريد النشور. وإن أريد إحياء القبر فنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور. وإنما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولأنها تشتمل على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ) أى لأجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الأول فظاهر وأما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لأن ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها . وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الأشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الأصل (جَمِيعاً) نصب على الحال من ما (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) الاستواء: الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أى قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شىء ومنه قوله تعالى: ثم استوى إلى السماء، أى أقبل وعمد إلى خلق السموات بعد ما خلق ما فى الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شىء آخر ، والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير فى (فَسَوَّاهُنَّ) مبهم يفسره (سَبْعَ سَمَوَاتٍ) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض ولا يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى: كانتا رتقا ، وهو الالتزاق (وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من

غير تفاوت مع خلق ما فى الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وَهُوَ وأخواته مدنى غير ورش، وَهْوَ هو وأبو عمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون فى عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن فى السماء الملائكة فأفسدت الجن فى الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورءوس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ) إذ نصب بإضمار اذكر. والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع (إِنِّى جَاعِلٌ) أى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض نخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أو خلفاء لأنه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك أو خليفة منى لأن آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى، قال الله تعالى: يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض، وإنما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم أو ليعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يجهل وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) أى يصب والواو فى (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ) للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان (بِحَمْدِكَ) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى: وقد دخلوا بالكفر، أى دخلوا كافرين (وَنُقَدِّسُ لَكَ) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح فى الأرض وقدس فيها إذا ذهب فيها وأبعد (قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أى أعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء، وما بمعنى الذى وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أى ما لا تعلمونه إنى حجازى وأبو عمرو (وَعَلَّمَ ءَادَمَ) هو اسم أعجمى وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم

آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس . (الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أى أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاعليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى : واشتعل الرأس شيباً ، ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى : أنبئونى بأسماء هؤلاء ـ و ـ أنبئهم بأسمائهم ، ولم يقل أنبئونى بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التى خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة . (ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) أى عرض المسميات . وإنما ذكر لأن فى المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت (فَقَالَ أَنبِئُونِي) أخبرونى (بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فى زعمكم أنى أستخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها مايستأهلون لأجله أن يستخلفوا . (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك أن يخفى عليك شىء أو عن الاعتراض عليك فى تدبيرك. وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلى للعبادة فكيف بعلم الشريعة ، وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحاً (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) وليس فيه علم الأسماء ، وما بمعنى الذى ، والعلم بمعنى المعلوم أى لامعلوم لنا ، إلا الذى علمتنا (إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ) غير المعلم (الْحَكِيمُ) فيما قضيت وقدرت ، والكاف اسم إن وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر إن ، أو أنت فصل والخبر العليم . والحكيم خبر ثان . (قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ) سمى كل شىء باسمه . (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون . (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون . (وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) تسرون . (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) أى اخضعوا له وأقروا بالفضل له ، عن أبى بن كعب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خروراً على الذقن . والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض . وكان السجود تحية لآدم عليه السلام فى الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس .

وكان سجود التحية جائزا فيا مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له «لاينبغى لمخلوق أن يسجد لأحد إلاالله تعالى» . (فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ) الاستثناء متصل لأنه كان من الملائكة كذا قاله على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ، ولأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ، ولهذا قال: مامنعك أن لاتسجد إذأمرتك، وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين . وقيل الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ، ولأنه أبى وعصى واستكبر والملائكة لايعصون الله ماأمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ، ولأنه قال:أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى، ولانسل للملائكة . وعن الجاحظ أن الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهوملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أَبَى) امتنع مما أمر به (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر عنه . (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الأمر. لابترك العمل بالأمر لأن ترك السجود لايخرج من الإيمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين فى علم الله أى وكان فى علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لأنه كان كافرا أبدا فى علم الله وهى مسئلة الموافاة (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أَنتَ) تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح عطف (وَزَوْجُكَ) عليه (الْجَنَّةَ) هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف ، وقالت المعتزلة : كانت بستانا باليمن لأن الجنة لاتكليف فيها ولا خروج عنها قلنا إنما لايخرج منها من دخلها جزاء. وقد دخل النبى عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها ، وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد . (وَكُلَا مِنْهَا) من ثمارها فحذف المضاف . (رَغَدًا) وصف للمصدر أى أكلا رغداً واسعاً (حَيْثُ شِئْتُمَا) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أى أى مكان من الجنة شئتما (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) أى الحنطة . ولذا قيل كيف لايعصى الإنسان وقوته من شجرة العصيان أوالكرمة لأنها أصل كل فتنة أو التينة . (فَتَكُونَا) جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهى . (مِنَ الظَّالِمِينَ) من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم . (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا)

أى من الشجرة ، أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها. وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهماعنها أو فأزلهما من الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدها. فأزالهما حمزة . وزلة آدم بالخطأ فى التأويل إما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه . وهذا دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلة على الأنبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى . فإنه اسم الفعل يقع على خلاف الأمر من غير قصد إلى الخلاف كزلة الماشى فى الطين. وقال مشايخ سمرقند لايطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لاتطلق المعصية . وإنما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه. (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) من النعيم والكرامة . أومن الجنة إن كان الضمير للشجرة فى عنها. وقد توصل إلى إزلالها بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم، لأنه منع من دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء. وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به . وقيل قام عند الباب فنادى. (وَقُلْنَا اهْبِطُوا) الهبوط النزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء. والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدل عليه قوله تعالى: قال اهبطا منها جميعا . (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) المراد به ما عليه الناس من التباغى والتمادى وتضليل بعضهم لبعض. والجملة فى موضع الحال من الواو فى اهبطوا أى اهبطوا متعادين . (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) موضع استقرار أو استقرار (وَمَتَاعٌ) وتمتع بالعيش . (إِلَى حِينٍ) إلى يوم القيامة أو إلى الموت . قال إبراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا. (فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) أى استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها . وبنصب آدم ورفع كلمات مكى على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى التنصل من الذنوب . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن أحب الكلام إلى الله تعالى ماقاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يا رب ألم تخلقنى بيدك . قال : بلى . قال : يا رب ألم تنفخ فىّ من روحك ، ألم تسبق رحمتك غضبك ، ألم تسكنى جنتك . وهو تعالى يقول: بلى بلى . قال:

فلِمَ أخرجتنى من الجنة . قال: بشؤم معصيتك . قال: فلو تبت أراجعى أنت إليها . قال:نعم (فَتَابَ عَلَيْهِ) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لأن حواء كانت تبعا له، وقد طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك . (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ) الكثير القبول للتوبة . (الرَّحِيمُ) على عباده . (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً) حال أى مجتمعين . وكرر الأمر بالهبوط للتأكيد ، أو لأن الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثانى من السماء إلى الأرض ، أو لما نيط به من زيادة قوله . (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى) أى رسول أبعثه إليكم، أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا. فى مقابلة قوله (فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ) أى بالقبول والإيمان به . (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فى المستقبل (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الأول كقولك إن جئتنى فإن قدرت أحسنت إليك. فلا خوف بالفتح فى كل القرآن يعقوب. (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ) مبتدأ والخبر (أَصْحَابُ النَّارِ) أى أهلها ومستحقوها. والجملة فى موضع الرفع خبر المبتدأ أعنى والذين (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله أو عبدالله . فإسرا هو العبد أو الصفوة ، وإيل هو الله بالعبرية ، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة . (اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها. وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم ، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به فى التوراة والإنجيل . (وَأَوْفُوا) أدوا وافيا تاما ، يقال وفيت له بالعهد فأنا واف به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به ، والاختيار أوفيت ، وعليه نزل التنزيل . (بِعَهْدِى) بما عاهدتمونى عليه من الإيمان بى والطاعة لى ، أو من الإيمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز . (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم. والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعا . وعن قتادة هما لئن أقمتم ولأكفرن . وقال أهل الإشارة : أوفوا فى دار محنتى ، على بساط خدمتى ، بحفظ حرمتى ، أوف فى دار نعمتى ، على بساط كرامتى ، بسرور رؤيتى . (وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد فى إفادة الاختصاص من إياك نعبد وإِيَّىَ منصوب بفعل مضمر دل عليه

ما بعده وتقديره فارهبوا إياى فارهبون وحذف الأول لأن الثانى يدل عليه وإنما لم ينتصب بقوله فارهبون لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لايجوز نصب زيد فى زيدا فاضربه باضرب الذى هوظاهر (وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ) يعنى القرآن (مُصَدِّقًا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا (لِّمَا مَعَكُمْ) من التوراة يعنى فى العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ) أى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أوولا يكن كل واحد منكم أول كافر به . وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته . والضمير فى به يعود إلى القرآن. (وَلَا تَشْتَرُوا) ولا تستبدلوا . (بِـَٔايَٰتِى) بتغييرها وتحريفها . (ثَمَنًا قَلِيلًا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها . وقيل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله . (وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ) نخافونى فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط يعقوب . (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَٰطِلِ) لبس الحق بالباطل خلطه . والباء ، إن كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشىء بالشىء خلطته به ، كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ماليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لايميز بين حقها وباطلكم . وإن كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم ، كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه . (وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) هومجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا ، أو منصوب بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، أى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن. وهما أمران متميزان. لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم فى التوراة ما ليس منها ، وكتمانهم الحق أن يقولوا لانجد فى التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) فى حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه . (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ) أى صلاة المسلمين وزكاتهم.(وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ) منهم لأن اليهود لا ركوع فى صلاتهم أى أسلموا واعملوا عمل أهل الإسلام. وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمراً بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة ، أى صلوها مع المصلين لامنفردين . والهمزة فى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم. (بِالْبِرِّ) أى سعة الخير والمعروف

رسه البَر لسمته . ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت . وكان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولايتبعونه . وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها .(وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) وتتركونها من البر كالمنسيات . (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) تبكيت أى تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم .(وَاسْتَعِينُوا) على حوائجكم إلى الله (بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ) أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها ومايجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدى جبار السموات والأرض ، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها ، وكان رسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نعى إليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال : واستعينوا بالصبر والصلاة . وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر . وقيل الصلاة الدعاء أى استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله فى دفعه . (وَإِنَّهَا) الضمير للصلاة أو للاستعانة . (لَكَبِيرَةٌ) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر . (إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله : (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ماعنده ويطمعون فيه . وفسر يظنون يتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون ، أى يعلمون أنه لابد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ، وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة ، والخشوع الإخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد ، وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف . (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) لايملك أمرهم فى الآخرة أحد سواه . (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) التكرير للتأكيد (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى . (عَلَى الْعَالَمِينَ) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة . (وَاتَّقُوا يَوْمًا) أى

يوم القيامة وهو مفعول به لاظرف . (لاَ تَجْزِى نَفْسٌ) مؤمنة . (عَن نَّفْسٍ) كافرة (شَيْئاً) أى لاتقضى عنها شيئاً من الحقوق التى لزمتها وشيئاً مفعول به أو مصدر أى قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوماً والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره لاتجزى فيه (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ) ولا تقبل بالتاء مكى وبصرى ، والضمير فى منها يرجع إلى النفس المؤمنة أى لاتقبل منها شفاعة للكافرة ، وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله : فاتنفعهم شفاعة الشافعين ، وتشبث المعتزلة بالآية فى نفى الشفاعة للعصاة مردود لأن المنفى شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى من كذب بها لم ينلها . (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) أى فدية لأنها معادلة للمفدى . (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يعاونون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة ، وذكّر لمعنى العباد أو الأناسى (وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ) أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الإسكاف والحجام ، وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس . (يَسُومُونَكُمْ) حال من آل فرعون أى يولونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلما ، وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنها بمعنى يبغونكم (سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ) ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزيدة أو مطالبة ، وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سيىء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ، ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيىء أشده وأفظعه . (يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ) يتركون بناتكم أحياء للخدمة ، وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ماشاء الله (وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ) محنة إن أشير بذلكم إلى صنع فرعون ، ونعمة أن أشير به إلى الانتجاء . (مِّن رَّبِّكُمْ) ، صفة لبلاء (عَظِيمٌ) صفة ثانية (وَإِذْ فَرَقْنَا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم ، وقرىء فرّقنا أى فصلنا يقال فرَق بين الشيئين وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثنى عشر على عدد الأسباط . (بِكُمُ ٱلْبَحْرَ) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم ، أو فرقناه بسببكم ، أو فرقناه ملتبساً بكم فيكون فى موضع الحال روى

أن بنى اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أين أصحابنا فنحن لانرضى حتى نراهم ، فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) إلى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وإنما قال (وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ) لأن الله تعالى وعده الوحى ووعده هو المجىء للميقات إلى الطور، وعدنا حيث كان بصرى ، لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب لهميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة ، وقال (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) لأن الشهور غررها بالليالى وأربعين مفعول ثان لواعدنا لاظرف لأنه ليس معناه واعدناه فى أربعين ليلة (ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ) أى إلها فحذف المفعول الثانى لاتخذتم ، وبابه بالإظهار مكى وحفص (مِنۢ بَعْدِهِۦ) من بعد ذهابه إلى الطور، (وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ) أى بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أى عبدتموه ظالمين . (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم) محونا ذنوبكم عنكم . (مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ) من بعد اتخاذكم العجل. (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) لكى تشكروا النعمة فى العفو عنكم. (وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ) يعنى الجامع بين كونه كتاباً منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات ، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذى فرق بينه وبين عدوه (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لكى تهتدوا (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ) للذين عبدوا العجل. (يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ) معبودا (فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ) هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت . وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم إبرياء من التفاوت إلى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة والبلادة (فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ) قيل هو على الظاهر وهو البخع . وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا . (ذَٰلِكُمْ) التوبة والقتل (خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) من الإصرار على المعصية . (فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ) المفضال بقبول التوبة وإن كثرت (ٱلرَّحِيمُ) يعفو الحوبة وإن كبرت . والفاء الأولى للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة . والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة

فاقتلوا أنفسكم إذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم . والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم . (وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً) عياناً وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس . أو على الحال من نرى أى ذوى جهرة . (فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ) أى الموت . قيل هى نار جاءت من السماء فأحرقتهم . روى أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة . فقال موسى سألته ذلك فأباه علىّ . فقالوا إنك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم . وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤيه لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت. قلنا إنما عوقبوا بكفرهم لأن قولهم: إنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم . ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم. ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد . (وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) إليها حين نزلت . (ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم) أحييناكم وأصله الإثارة (مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمة البعث بعد الموت. (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ) جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع (وَٱلسَّلْوَىٰ) كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه. وقلنا لهم (كُلُوا مِن طَيِّبَـٰتِ) لذيذات أو حلالات (مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا) يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا (وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان (وَإِذْ قُلْنَا) لهم بعدما خرجوا من التيه . (ٱدْخُلُوا هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ) اى بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريت لأنها تجمع الخلق أمروا بدخولها بعد التيه (فَكُلُوا مِنْهَا) من طعام القرية وثمارها . (حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) واسعا (وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ) باب القرية أو باب القبة التى كانوا يصلون إليها ، وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى

عليه السلام وإنما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده . (سُجَّدًا) حال وهو جمع ساجد ، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله تعالى وتواضعاًله . (وَقُولُوا حِطَّةٌ) فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة ، والأصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة ، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات . وقيل أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها . وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم. وعن عكرمة هو لا إله إلا الله . (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) جمع خطيئة وهي الذنب ، يغفر مدني تغفر شامي . (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة . (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى إلى معمول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود، يعني وضعوا مكان حطة قولا غيرها أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ماأمروا به ولم يمتثلوا أمر الله . وقيل قالوا مكان حطة حنطة . وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا . (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا) عذابا . وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم . (مِنَ السَّمَاءِ) صفة لرجز (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بسبب فسقهم. روى أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) موضع إذ نصب كأنه قيل واذكروا إذ استسقى أي استدعى أن يسقى قومه . (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر. واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روى أنه حجر طوري حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا ، أو للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر ، وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. (فَانْفَجَرَتْ) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة ، أو فإن ضربت فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة لاتقع إلا في كلام بليغ. (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) على عدد الأسباط

وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان ، وعينا تمييز . (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) كل سبط . (مَّشْرَبَهُمْ) عينهم التى يشربون منها . وقلنا لهم (كُلُوا) من المن والسلوى . (وَاشْرَبُوا) من ماء العيون . (مِن رِّزْقِ اللَّهِ) أى الكل مما رزقكم الله . (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ) لا تفسدوا فيها . والعيث أشد الفساد (مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة أى لا تمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه . (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ) هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى . وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل . ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف . أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ) سله وقل له أخرج لنا (يُخْرِجْ لَنَا) يظهر لنا ويوجد (مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا) هو ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما يأكل الناس. (وَقِثَّائِهَا) يعنى الخيار (وَفُومِهَا) هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أرفع وأجل . (اهْبِطُوا مِصْرًا) من الأمصار أى انحدروا إليه من التيه. وبلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ . أو مصر فرعون وإنما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لإرادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف (فَإِنَّ لَكُم) فيها (مَّا سَأَلْتُمْ) أى فإن الذى سألتم يكون فى الأمصار لا فى التيه . (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) أى الهوان والفقر يعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه . فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية . عليهم الذلة حمزة وعلى وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم أبو عمرو . وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) من قولك باء

فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له . أى صاروا أحقاء بغضبه. وعن الكسائى حفوا (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب . (بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) بالهمزة نافع وكذا بابه . أى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء . وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم . والنبي من النبأ لأنه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعِل أو بمعنى مفعَل. أو من نبا أى ارتفع. والنبوة المكان المرتفع. (بِغَيْرِ الْحَقِّ) عندهم أيضا فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئاً يستحقون به القتل عندهم فى التوراة . وهو فى محل النصب على الحال من الضمير فى يقتلون أى يقتلونهم مبطلين (ذَٰلِكَ) تكرار للإشارة. (بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصى واعتدائهم حدود الله فى كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء . وقيل هو اعتداؤهم فى السبت. ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتلهم الأنبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ماعصوا (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون . (وَالَّذِينَ هَادُوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهودا إذا دخل فى اليهودية وهو هائد والجمع هود (وَالنَّصَارَىٰ) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة . والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى أحمرى سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح (وَالصَّابِئِينَ) الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا خرج من الدين . وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. وقيل هم يقرءون الزبور (مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا (وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثوابهم (عِندَ رَبِّهِمْ) فى الآخرة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ومحل من آمن الرفع إن جملته مبتدأ خبره فلهم أجرهم ، والنصب إن جملته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه . فخبر إن فى الوجه الأول الجملة كما هى ، وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ) بقبول ما فى التوراة . (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) أى الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق . وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها . فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله

ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألق عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم (خُذُوا مَآءَاتَيْنَـٰكُم) من الكتاب أى التوراة (بِقُوَّةٍ) بجد وعزيمة (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولاتنسوه ولاتغفلوا عنه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) رجاء منكم أن تكونوا متقين . (ثُمَّ تَوَلَّيْتُم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به . (مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ) من بعد القبول (فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة. (لَكُنتُم مِّنَ الْخَـٰسِرِينَ) الهالكين فى العذاب . (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ) عرفتم فيتعدى إلى مفعول واحد (الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى السَّبْتِ) هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت . وقد اعتدوا فيه أى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد . وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا فى السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد . فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم . (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا) بتكويننا إياكم (قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد . (فَجَعَلْنَـٰهَا) يعنى المسخة (نَكَـٰلًا) عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه . (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا) لما قبلها . (وَمَا خَلْفَهَا) ومابعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت فى كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين . (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها . (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ) أى واذكروا إذ قال موسى . وهو معطوف على نعمتى فى قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى . وكذلك هـذا فى الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت إنجائنا إياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه . والظروف التى تأتى إلى قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه . (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن) أى بأن (تَذْبَحُوا بَقَرَةً) قال المفسرون أول القصة مؤخر فى التلاوة وهو قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها . وذلك أن رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنوعمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها

ليحيا فيخبرهم بقاتله . (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) أتجعلنا مكان هزء أوأهل هزءأوالهزء نفسه لفرط الاستهزاء. هزأ بسكون الزاى والهمزة حمزة، وبضمتين والواو حفص غيرهما بالتثقيل والهمزة. (قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ) العياذ واللياذ من واد واحد . (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) لأن الهزء فى مثل هذا من باب الجهل والسفه ، وفيه تعريض بهم أى أنتم جاهلون حيث نسبتمونى إلى الاستهزاء . (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ) سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها ، لأن ما وإن كانت سؤالا عن الجنس ، وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ماموقع كيف ، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن ، وما هى خبر ومبتدأ . (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ) مسنة ، وسميت فارضاً لأنها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لأنه صفة لبقرة، وقوله : (وَلَا بِكْرٌ) فتية عطف عليه . (عَوَانٌ) نصف.(بَيْنَ ذَٰلِكَ) بين الفارض والبكر ، ولم يقل بين ذينك مع أن بين يقتضى شيئين فصاعدا لأنه أراد بين هذا المذكور ، وقد يجرى الضمير مجرى اسم الإشارة فى هذا ، قال أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله :

فيها خطوط من سواد وبلق ۝ كأنه فى الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل كأنها . وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما ، فقال أردت كأن ذاك (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) أى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير . (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا) موضع ما رفع لأن معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أى شىء لونها . (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع، وهو توكيد لصفراء وليس خبراً عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ، ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ، وفى ذكر اللون فائدة التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده (تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) لحسنها والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه عن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى : تسر الناظرين ، (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها ، وعن

النبي عليه السلام «لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم» والاستقصاء شؤم (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا (وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ماخفى علينا من أمر القاتل وإن شاء الله اعتراض بين اسم إن وخبرها وفى الحديث «لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد» أى لولم يقولوا إن شاء الله (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ) لاذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ، يعنى لم تذلل للكراب وإثارة الأرض (وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ، ولا الأولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لاذلول تثير الأرض أى تقلبها للزراعة وتسقى الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية (مُسَلَّمَةٌ) عن العيوب وآثار العمل . (لَا شِيَةَ فِيهَا) لالمة فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها ، وهى فى الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لون آخر . (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) أى بحقيقة وصف البقرة وما بقى إشكال فى أمرها ، جئت وبابه بغير همز أبو عمرو (فَذَبَحُوهَا) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة فى ظهور القاتل ، روى أنه كان فى بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إنى استودعتكها لابنى حتى يكبر وكان براً بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه ، فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير ، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة ، وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخاً والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافاً للمعتزلة (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا) بتقدير واذكروا ، خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم . (فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أى يدفع ، أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح ، أو لأن الطرح فى نفسه دفع ، وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التى هى فاء الكلمة ليمكن الإدغام ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنا وزيدت همزة الوصل لأنه لايمكن الابتداء بالساكن ، فادارأتم بغير همز أبو عمرو . (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ) مظهر لامحالة ما كتمتم من أمر القتل لايتركه مكتوماً ، وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ وهـذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و (قَتَلْتُمْ) والضمير فى (اضْرِبُوهُ) يرجع إلى النفس، والتذكير بتأويل الشخص والإنسان ، أو إلى القتيل لما دل عليه ما كنتم تـكتمون . (بِبَعْضِهَا) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها ، والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة (كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ) عليه ، روى أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعـد ذلك ، وقوله كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطاباً للمنكرين فى زمن النبي عليه السلام وإما أن يكون خطاباً للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة . (وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ) دلائله على أنه قادر على كل شىء (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) فتعملون على قضية عقولـكم وهى أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء جميعها لعدم الاختصاص ، والحـكمة فى ذبح البقرة وضربه ببعضها وإن قدر على إحيائه بلا واسطة التقرب به ، الإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد فى الأمور والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتـكثير سؤال وغير ذلك ، وقيل إنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لأنها أفضل قرابينهم، ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى أن يهون معبودهم عنـدهم ، وكان ينبغى أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولـكنه تعالى إنما قص قصص بنى إسرائيل تعديداً لما وجدمنهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها ، وهاتان القصتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع . فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك . والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة . وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لـكانت قصة واحدة ولذهب المراد فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها ليعلم أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة . وقيل هذه القصة تشير إلى أن من أراد إحياء قلبه

بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات . ومعنى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم) استبعاد القسوة (مِّن بَعْدِ) ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها . وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ . من بعد (ذَٰلِكَ) إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ماتقدم من الآيات المعدودة (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) منها . وأشد معطوف على الكاف تقديره أو مثل أشد قسوة . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . أو هى فى أنفسها أشد قسوة . يعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا . أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة . وإنما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة . وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) ما بمعنى الذى فى موضع النصب وهو اسم إن واللام للتوكيد. والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ) أصله يتشقق وبه قرأ الأعمش فقلبت التاء شينا وادغمت (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) يعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ماينشق انشقاقا بالطول أوبالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لاتندى (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ) يتردى من أعلى الجبل (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) قيل هو مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لاتنقاد ولا تفعل ما أمرت به . وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتمييز . وليس شرط خلق الحياة والتمييز فى الجسم أن يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا قوله: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، الآية . يعنى وقلوبهم لاتخشى (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وبالياء مكى وهو وعيد (أَفَتَطْمَعُونَ) الخطاب لرسول الله والمؤمنين . (أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ) أن يؤمنوا لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى : فآمن له لوط ، يعنى اليهود . (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) طائفة فيمن سلف منهم . (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) أى التوراة (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) كما حرفوا صفة رسول الله ﷺ وآية الرجم . (مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم . (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك . (وَإِذَا لَقُوا) أى المنافقون أو اليهود . (الَّذِينَ آمَنُوا) أى المخلصون من أصحاب محمد عليه السلام.

(قَالُوا) أى المنافقون (ءامَنَّا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به . (وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ) الذين لم ينافقوا (إِلَىٰ بَعْضٍ) إلى الذين نافقوا (قَالُوا) عاتبين عليهم (أَتُحَدِّثُونَهُم) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام (بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بما بين الله لكم فى التوراة من صفة محمد عليه السلام (لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد . وقيل هذا على إضمار المضاف أى عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم فى الآخرة يقولون كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لاتتابعونه (أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) جميع (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان (وَمِنْهُمْ) ومن اليهود (أُمِّيُّونَ) لايحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لاَيَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ) التوراة (إِلاَّ أَمَانِيَّ) إلا ماهم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار إلا أياما معدودة ، أو إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ماتمنيت منذ أسلمت ؛ أو إلا ما يقرءون من قوله

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

أى لايعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرءون أشياء أخذوها من أحبارهم . والاستثناء منقطع (وَإِنْ هُمْ) وماهم (إِلاَّ يَظُنُّونَ) لايدرون مافيه فيجحدون نبوتك بالظن . ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فَوَيْلٌ) فى الحديث ويل واد فى جهنم (لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ) المحرف (بِأَيْدِيهِمْ) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا . وذكر الأيدى للتأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) عوضا يسيرا (فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) من الرشا (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل . وعن مجاهد رضى الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا) أى عهد إليكم

أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار (فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ) متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده (أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أم إما أن تكون معادلة أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه مالا تعلمون . أو منقطعة أي بل أتقولون على الله مالا تعلمون (بَلَىٰ) إثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (مَن كَسَبَ سَيِّئَةً) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما إذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص، وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج. وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة، خطيئاته مدني (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر . وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه . وتنصره قراءة أبي لاتعبدوا ، وقوله وقولوا والقول مضمر . لايعبدون مكي وحمزه وعلي لأن بني إسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة كلها غيب. ومعناه أن لايعبدوا فلما حذفت أن رفع (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أي وأحسنوا ليلتئم عطف الأمر وهو قوله وقولوا عليه (وَذِي الْقُرْبَىٰ) القرابة (وَالْيَتَامَىٰ) جمع يتيم وهو الذي فقد أباه قبل الحلم إلى الحلم لقوله عليه السلام لايتم بعد البلوغ (وَالْمَسَاكِينِ) جمع مسكين وهو الذي أسكنته الحاجة (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) قولا هو حسن في نفسه لإفراط حسنه . حسنا حمزة وعلي (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) عن الميثاق ورفضتموه (إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ) قيل هم الذين أسلموا منهم (وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولية ، عن المواثيق . (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ) أي لايفعل ذلك بعضكم ببعض . جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا . وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها . أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود

على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ) استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم. أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ) صلة هؤلاء . وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ) غير مراقبين ميثاق الله (تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم) بالتخفيف كوفى أى تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف إحدى التاءين . ثم قيل هى الثانية لأن الثقل بها . وقيل الأولى . ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ) بالمعصية والظلم (وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ) تفدوهم أبو عمرو . أسرى تفدوهم مكي وشامى . أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم على. فدى وفادى بمعنى . وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير فى (وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ) للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره (إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ) بفداء الأسرى (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) بالقتال والإجلاء . قال السدى : أخذ الله عليكم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء (فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ) هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض (مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ) فضيحة وهوان (فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ) وهو الذى لا روح فيه ولا فرج أو إلى أشد من عذاب الدنيا (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالياء مكي ونافع وأبو بكر (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ) اختاروها على الآخرة اختيار المشترى (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ) التوراة . آتاه جملة (وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ) يقال قفاه إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به إذا أتبعه إياه . ى وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشمياء أرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم (وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ رْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ) هى بمعنى الخادم ، ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا لم يثبت فى لأبنية، البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات (وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ) أى الطهارة وبالسكون حيث كان مكى . أى بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب . أو بجبريل عليه السلام لأنه يأتى

بما فيه حياة القلوب . وذلك لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله . أو بالإنجيل كما قال فى القرآن:روحا من أمرنا ، أو باسم الله الأعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره (أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ) تحب (أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ) تعظمتم عن قبوله (فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) كزكريا ويحيى عليهما السلام. ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل . أولأن المراد وفريقا تقتلونه بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة . والمعنى ولقد آتينا يا بنى إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به . فوسط مابين الفاء وماتعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى هى خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ماجاء به محمد عليه السلام ولاتفقهه مستعار من الأغلف الذى لم يختن (بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق . وإنما طردهم بكفرهم وزيغهم (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) فقليلا صفة مصدر محذوف أى فإيمانا قليلا يؤمنون . وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم . غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . أوأوعية للعلوم فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا (وَلَمَّا جَآءَهُمْ) أى اليهود (كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ) أى القرآن (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) من كتابهم لايخالفه (وَكَانُوا مِن قَبْلُ) يعنى القرآن (يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) يستنصرون على المشركين إذ قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا) ماموصولة أى ماعرفوه وهو فاعل جاء (كَفَرُوا بِهِ) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم . واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا ، وجواب لما الأولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه . أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد وما فى (بِئْسَمَا) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل

بئس أى بئس شيئاً (اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ) أى باعوه والمخصوص بالذم . (أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) يعنى القرآن . (بَغْيًا) مفعول له أى حسدا وطلبا لما ليس لهم ، وهو علة اشتروا (أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ) لأن ينزل. أوعلى أن ينزل أى حسدوه على أن ينزل الله . (مِن فَضْلِهِ) الذى هو الوحى (عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وهو محمد عليه السلام . (فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام ، أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يدا لله مغلولة وغير ذلك . (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) مذل بئسما وبابه غير مهموز أبو عمرو وينزل بالتخفيف مكى وبصرى . (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لهولاء اليهود . (آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) يعنى القرآن ، أو مطلق يتناول كل كتاب (قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا) أى التوراة . (وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة . (وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة . (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ) أى فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضى ويدل عليه قوله (مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) أى من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لاتسوغ قتل الأنبياء قيل قتلوا فى يوم واحد ثلثمائة نبى فى بيت المقدس (وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ) بالآيات التسع وأدغم الدال فى الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) إلها (مِن بَعْدِهِ) من بعد خروج موسى عليه السلام إلى الطور . (وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ) هو حال أى عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها، أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتكم الظلم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى . (وَاسْمَعُوا) ما أمرتم به فى التوراة (قَالُوا سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لاسماع طاعة (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، وقوله: فى قلوبهم، بيان لمكان الإشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بِكُفْرِهِمْ) بسبب كفرهم واعتقادهم

التشبيه . (قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَٰنُكُمْ) بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجل ، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان إليهم . (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له . (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أي الجنة . (عِندَ اللَّهِ) ظرف ، ولكم خبر كان (خَالِصَةً) حال من الدار الآخرة أي سالمة لكم ليس لأحد سواكم فيها حتى يعني إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً (مِّن دُونِ النَّاسِ) هو للجنس . (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فيما تقولون لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها تخلصاً من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة أن كل واحد منهم كان يحب الموت ويحن إليه . (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) هو نصب على الظرف أي لن يتمنوه ماعاشوا (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله: ولن تفعلوا، ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ) تهديد لهم (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ) مفعولا وجدهم وأحرص (عَلَىٰ حَيَوٰةٍ) التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) هو محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس ثم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة أو أريد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لايؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لايستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لايعلمون ذلك وقوله : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف، وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الأعاجم زى هزارسال . وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن

الله والضمير في (وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ) لأحدهم وقوله (أَنْ يُعَمَّرَ) فاعل بمزحزحه أى وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنحاء . قال فى جامع العلوم وغيره: لو يعمر بمعنى أن يعمر، فلو هنا نائبة عن أن وأن مع الفعل فى تأويل المصدر وهو مفعول يود أى يود أحدهم تعمير ألف سنة (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) أى بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكى وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفى غير حفص وبكسر الراء والجيم بلاهمز غيرهم. ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبدالله لأن جبر هو العبد بالسريانية وإيل اسم الله روى ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبى ﷺ وسأله عمن يهبط عليه بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكيناً فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لايسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أى ذنب تقتلونه (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) فإن جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى إضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته (عَلَىٰ قَلْبِكَ) أى حفظه إياك وخص القلب لأنه محل الحفظ كقوله: نزل به الروح الأمين على قلبك، وكان حق الكلام أن يقال على قلبى ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وإنما استقام أن يقع فإنه نزله جزاء للشرط لأن تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه فى إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فإنه نزل الوحى على قلبك (بِإِذْنِ اللَّهِ) بأمره (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) رد على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) بصرى وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدنى وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) أى لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن

عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومن عاداهم عاداه الله (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله ﷺ ماجئتنا بشىء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواوفى (أَوَكُلَّمَا) الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما (عَٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُۥ) نقضه ورفضه وقال (فَرِيقٌ مِّنْهُم) لأن منهم من لم ينقض (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) بالتوراة وليسوا من الدين فى شىء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ) محمد ﷺ (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ) أى التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كِتَٰبَ ٱللَّهِ) يعنى التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله ﷺ المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد مالزمهم تلقيه بالقبول . (وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ) مثل لتركهم وإعراضهم عنه. مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات إليه (كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنه كتاب الله (وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ) أى نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها (عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ) أى على عهد ملكه وفى زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ماسمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها فى كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ) هم الذين (كَفَرُوا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامى وحمزة وعلى (يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ) فى موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم (وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ) الجمهور على أن ما بمعنى الذى هو نصب عطف على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ماتتلو أى واتبعوا ما أنزل على الملكين (بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذى أنزل عليهما هو علم

السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا إن كان فيه رد ما لزم فى شرط الإيمان ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه لئلا يغتر به كان مؤمناً قال الشيخ أبو منصور الماتريدى رحمه الله القول بأن السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان فى ذلك رد مالزم فى شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا. ثم السحر الذى هو كفر يقتل عليه الذكور لا الأناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوى فيه الذكر والمؤنث وتقبل توبته إذا تاب ومن قال لاتقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أى قذف فى قلوبهما مع النهى عن العمل قيل إنهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بنى آدم فكانا يحكمان فى الأرض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ) ومايعلم الملكان أحداً (حَتَّىٰ يَقُولَا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) ابتلاء واختبار من الله . (فَلَا تَكْفُرْ) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفراً (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ـ و ـ يعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من أحد أى فيتعلم الناس من الملكين (مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه. وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعنده المعتزلة هو تخييل وتمويه (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ) بالسحر (مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بعلمه ومشيئته (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) فى الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التى تجر إلى الغواية (وَلَقَدْ عَلِمُوا) أى اليهود (لَمَنِ اشْتَرَاهُ) أى استبدل ماتتلوا الشياطين من كتاب الله (مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) من نصيب (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) باعوها وإنما نفى العلم عنهم بقوله (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لايعلمون (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا) برسول الله والقرآن (وَاتَّقَوْا) الله فتركوا

ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لأثيب من عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشىء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمنى كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا) كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم راعنا يارسول الله أى راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهى راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو انظرنا من نظره إذا انتظره (وَاسْمَعُوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ﷺ ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وَلِلْكَافِرِينَ) ولليهود الذين سبوا رسول الله ﷺ (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحى وكذلك الرحمة (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) يعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شىء من الوحى والله يختص بالنبوة من يشاء (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) فيه إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطريق التراخى فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منكروه أعنى اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصا أو دلالة وشرطه

التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافاً للمعتزلة وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم، والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله. والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب أو ننسأها مكي وأبو عمرو أي نؤخرها من نسأت أي أخرت (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب (أَوْ مِثْلِهَآ) فى ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) أى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ) يلى أمركم (وَلَا نَصِيرٍ) ناصر يمنعكم من العذاب (أَمْ تُرِيدُونَ) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ) روى أن قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا إلها (وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) قصده ووسطه (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم) أن يردوكم (مِّن بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا) حال من كم أى يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد واقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم (حَسَدًا) مفعول له أى لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير (مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) يتعلق بود أى ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك (مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) أى من بعد علمهم بأنكم على الحق أو بحسدا أى حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ) بالقتال (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فهو يقدر على الانتقام منهم (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرها (تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ) تجدوا ثوابه عنده (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير فى (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ

نَصَرَىٰ) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلامن كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلامن كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى إلى قوله تعالى: وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء ، وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان للفظ من، وجمع الخبر لمعناه (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهى أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الأمانى الباطلة أمانيهم . والأمنية أفعولة من التمنى مثل الأضحوكة (قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلامن كان هوداً أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى دعواكم (بَلَىٰ) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) من أخلص نفسه له لايشرك به غيره (وَهُوَ مُحْسِنٌ) مصدق بالقرآن (فَلَهُ أَجْرُهُ) جواب من أسلم. وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ) أى على شىء يصح ويعتد به والواو فى (وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَٰبَ) للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب. وحق من حمل التوراة والإنجيل وآمن به ألا يكفر بالباقى لأن كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك القول الذى سمعت به (قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) أى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة، قالوا لأهل كل دين ليسوا على شىء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى أى أحد أظلم وأن يذكر ثانى مفعولى منع لأنك تقول منعته كذا

ومثله وما منعنا أن نرسل بالآيات . وما منع الناس أن يؤمنوا . ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن أى من أن يذكر وأن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم ، والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الأذى ، ومنعهم الناس أن يصلوا فيه، أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجدالحرام عام الحديبية. وإنما قيل مساجدالله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لأن الحكم ورد عاما وإن كان السبب خاصاً كقوله تعالى : ويل لكل همزة، والمنزول فيه الأخنس بن شريق (وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ) بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم كما أريد العموم بمساجد الله (أُوْلَٰٓئِكَ) المانعون (مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (إِلَّا خَآئِفِينَ) حال من الضمير فى يدخلوها أى على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم. روى أنه لايدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرا خيفة أن يقتل. وقال قتادة : لايوجد نصرانى فى بيت المقدس إلا بولغ ضربا ونادى رسول الله ﷺ ألا لايحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ) قتل وسبى للحربى وذلة بضرب الجزية للذمى (وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أى النار (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها (فَأَيْنَمَا) شرط (تُوَلُّوا) مجزوم به أى ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى : فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، والجواب (فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس فقدجعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان (إِنَّ اللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) أى هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا. هو حجة على الشافعى رحمه

الله فيا إذا استدبر وقيل فأينما تولو للدعاء والذكر (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزيز ابن الله قالوا شامى فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ماقبلها وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سُبْحَانَهُ) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافى الملك (كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) منقادون لايمتنع شىء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين فى كل عوض من المضاف إليه أى كل مافى السموات والأرض أو كل من جعلوه لله ولداً له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم . وجاء بما الذى لغير أولى العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ماسخركن لنا (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى مخترعهما ومبدعهما لاعلى مثال سبق. وكل من فعل مالم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتى فى دين الإسلام مالم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم (وَإِذَا قَضَى أَمْرًا) أى حكم أو قدر (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) هو من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم. وإنما المعنى أن ماقضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولاتوقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لايتوقف ولايمتنع ولا يكون منه إباء. وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الأجسام فأنى يتصور التوالد ثمّ. والوجه الرفع فى فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أى فهو يكون . أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب. وقلنا إن كن ليس بأمر حقيقة إذ لافرق بين أن يقال وإذا قضى أمرا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون وإذا كان كذلك فلامعنى للنصب. وهذا لأنه لوكان أمراً فإما أن يخاطب به الموجود والموجود لايخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لايخاطب (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به (لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ) جحودا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى (قَدْ بَيَّنَّا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) أى لقوم ينصفون فيوقنون

أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا) للمؤمنين بالثواب (وَنَذِيرًا) للكافرين بالعقاب (وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ الْجَحِيمِ) ولا نسألك عنهم مالهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كنذيراً وبشيراً وبالحق أى وغير مسؤل أو مستأنف. قراءة نافع ولا تسئل على النهى ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعرى ما فعل أبواى (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى الإسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ) الذى رضى لعباده (هُوَ الْهُدَىٰ) أى الإسلام. وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون إلى اتباعه ماهو هدى إنما هو هوى. ألا ترى إلى قوله (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع (بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى من العلم بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ) من عذاب الله (مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ناصر (الَّذِينَ) مبتدأ (ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ) صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والإنجيل أو أصحاب النبى عليه السلام والكتاب القرآن (يَتْلُونَهُ) حال مقدرة من هم لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه ونصب على المصدر (حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أى يقرءونه حق قراءته فى الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبى ﷺ (أُوْلَـٰئِكَ) مبتدأ خبره (يُؤْمِنُونَ بِهِ) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا. والجملة خبر آخر (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يَـٰبَنِى إِسْرَٰءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) أى أنعمتها عليكم (وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ) وتفضيلى إياكم على عالمى زمانكم (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون. والجمل الأربع وصف ليوما أى واتقوا يوما لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه. وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصى منهم وختم قصة بنى اسرائيل بما بدأ به (وَإِذِ)

أى واذكر إذ (ابْتَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ) اختبره بأوامر ونواه . والاختبار منا لظهور مالم نعلم ومن الله لإظهار ماقد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الأمر الخفى فى الشاهد والغائب جميعاً فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى . وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك . وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه: ابراهيم ربه، برفع ابراهيم وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما أى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا (فَأَتَمَّهُنَّ) أى قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى ومعناه فى قراءة أبى حنيفة رحمه الله فأعطاه ماطلبه لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ماسأل ابراهيم ربه فى قوله: رب اجعل هذا بلدا آمنا. واجعلنا مسلمين لك. وابعث فيهم رسولا منهم. ربنا تقبل منا. والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى الجسد الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من الشرائع عشر فى براءة التائبون الآية وعشر فى الأحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى المؤمنين والمعارك إلى قوله يحافظون وقيل هى مناسك الحج (قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) هو اسم من يؤتم به أى يأتمون بك فى دينهم (قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى) أى واجعل من ذريتى إماما يقتدى به . ذرية الرجل أولاده ذكورهم وإناثهم فيه سواء. فعيلة من الذرء أى الخلق فأبدلت الهمزة ياء (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّٰلِمِينَ) بسكون الياء حمزة وحفص أى لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أى أهل الكفر . أخبر أن إمامة المسلمين لاتثبت لأهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى: وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين . والمحسن المؤمن والظالم الكافر . قالت المعتزلة هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للإمامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم . ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق وقيل إنه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيا (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ) أى الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار

يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه (وَأَمْنًا) وموضع أمن فإن الجانى يأوى إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا فى الملتجىء إلى الحرم . (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه . وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر فقال «هذا مقام ابراهيم» فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام «لم أومر بذلك» . فلم تغب الشمس حتى نزلت. وقيل مصلى مدعى. ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه . وقيل الحرم كله مقام ابراهيم . واتخذوا شامى ونافع بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها (وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) أمرناهما (أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ) بفتح الياء مدنى وحفص أى بأن طهرا أو أى طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها (لِلطَّائِفِينَ) للدائرين حوله (وَالْعَاكِفِينَ) المجاورين الذين عكفوا عنده أى أقاموا لايبرحون أو المعتكفين . وقيل للطائفين للنزاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) والمصلين جمع راكع وساجد (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا) أى اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بَلَدًا آمِنًا) ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول أول . وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) لأنه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل (مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) من أهله بدل البعض من الكل أى وارزق المؤمنين من أهله خاصة. قاس الرزق على الإمامة فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (وَمَن كَفَرَ) أى وارزق من كفر (فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا إلى حين أجله فأمتعه شامى (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) الجئه (إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع الذى يصير إليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (وَإِذْ يَرْفَعُ) حكاية حال ماضية (إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ) هى جمع قاعدة وهى الأساس والأصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة . ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (مِنَ الْبَيْتِ) بيت الله وهو الكعبة (وَإِسْمَاعِيلُ) هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة (رَبَّنَا) أى يقولان ربنا . وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (تَقَبَّلْ مِنَّا) تقربنا إليك ببناء هذا البيت (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ) لدعائنا

(الْعَلِيمُ) بضمائرنا ونياتنا وفى إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن، والمعنى زدنا إخلاصا وإذعانا لك (وَمِن ذُرِّيَّتِنَا) واجعل من ذريتنا (أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) ومن للتبعيض أو التبيين وقيل أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام وإنما خصا بالدعاء ذريتهما لأنهم أولى بالشفقة كقوله تعالى: قوا أنفسكم وأهليكم نارا، (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أى وبصرنا متعبداتنا فى الحج أو عرفناها. وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو التعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكى قاسه على فخذ فى فخذ وأبو عمرو يشم الكسرة (وَتُبْ عَلَيْنَا) مافرط منا من التقصير أو استتابا لذريتهما (إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ) فى الأمة المسلمة (رَسُولًا مِّنْهُمْ) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام ، قال عليه السلام «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى» (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ) يقرأ عليهم ويبلغهم ماتوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة وفهم القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ) الغالب الذى لايغلب (الْحَكِيمُ) فيما أوليت (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) استفهام بمعنى الجحد وإنكار أن يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة إبراهيم. والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (إِلَّا مَن) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من (سَفِهَ نَفْسَهُ) أى جهل نفسه أى لم يفكر فى نفسه. فوضع سفه موضع جهل وعدى كما عدى أو معناه سفه فى نفسه فحذف فى كما حذف من فى قوله واختار موسى قومه أى من قومه وعلى فى قوله : ولا تعزموا عقدة النكاح. أى على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) بيان لخطأ رأى من يرغب عن ملته لأن من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه (إِذْ قَالَ) ظرف لاصطفيناه، أو انتصب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لايرغب عن ملة مثله (لَهُ رَبُّهُ

أَسْلِمْ) أذعن أوأطع أوأخلص دينك لله (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أى أخلصت أوانقدت (وَوَصَّىٰ) واوصى مدنى وشامى (بِهَا) بالملة أو بالكلمة وهى أسلمت لرب العالمين (إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) هو معطوف على إبراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يَا بَنِيَّ) على إضمار القول (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ) أى أعطاكم الدين الذى هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك لاتصلّ إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى صلاته (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحى أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون مامات نبى إلا على اليهودية كأنه قيل أتدّعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت (إِذْ قَالَ) بدل من إذ الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ) ما استفهام فى محل النصب بتعبدون أى أىّ شىء تعبدون وما عام فى كل شىء أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب (مِن بَعْدِي) من بعد موتى (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ) أعيد ذكر الإله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار (إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب قال عليه السلام فى العباس «هذا بقية آبائى» (إِلَٰهًا وَاحِدًا) بدل من إله آبائك كقوله: بالناصية ناصية كاذبة، أو نصب على الاختصاص أى نريد بإله آبائك إلها واحدا (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تِلْكَ) إشارة إلى الأمة المذكورة التى هى إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ) أى ان أحداً لاينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لاينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لاينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) أى قالت

اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تَهْتَدُوا) لأنه جواب الأمر (قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) بل نتبع ملة إبراهيم (حَنِيفاً) حال من المضاف إليه نحو رأيت وجه هند قائمة. والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعي اتباع ملة إبراهيم وهو على الشرك (قُولُوا) هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل (ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا) أى القرآن (وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ والأسباط حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر ويعدى أنزل بإلى وعلى فلذا ورد هنا بإلى وفى آل عمران بعلى (وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) أى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) لله مخلصون (فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا) ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك. فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم والهاء يعود إلى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى : والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله فى الآية الآخرى : وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أى فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذى بدليل قراءة أبى بالذى آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أى فإن دخلوا فى الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها (وَّإِن تَوَلَّوْا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول فى الإيمان بها (فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) أى فما هم إلا فى خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق فى شىء (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وإجلاء بعضهم ومعنى السين أن ذلك كائن لامحالة وإن تأخر إلى حين (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما ينطقون به (الْعَلِيمُ) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله ﷺ أى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك (صِبْغَةَ اللَّهِ) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب

عن قوله: آمنا بالله. وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم. وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً) تمييز أي لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على أن قوله: صبغة الله. داخل في مفعول قولوا آمنا أي قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون وردّ قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه. وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ) أي أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) نشترك جميعا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالا فلنا كذلك (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) أي نحن له موحدون نخصه بالإيمان وأنتم به مشركون، والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره (أَمْ تَقُولُونَ) بالتاء شامي وكوفي غير أبي بكر. وأمْ على هذا معادلة للهمزة في أتحاجوننا يعني أي الأمرين تأتون: المحاجة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء أو منقطعة أي بل أتقولون. يقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون الهمزة إلا منقطعة (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى) ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهما رادا عليهم بقوله: (قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ) يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله: ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلما. (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية. والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة

لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته. ومن فى قوله من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان إذا شهدت له فى أنها صفة لها (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كررت للتأكيد أولأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثانى أسلاف اليهود والنصارى (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ) الخفاف الأحلام فأصل السفه الخفة، وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أوالمشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم. وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم فقبل الرمى يراش السهم (مَا وَلَّاهُمْ) ماصرفهم (عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) يعنون بيت المقدس. والقبلة الجهة التى يستقبلها الإنسان فى الصلاة لأن المصلى يقابلها (قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له (يَهْدِي مَن يَشَاءُ) من أهلها (إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) طريق مستو. أى يرشد من يشاء إلى قبلة الحق وهى الكعبة التى أمرنا بالتوجه إليها أو الأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة وطوراً إلى بيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب (أُمَّةً وَسَطًا) خيارا . وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أى كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. أى كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا (لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (عَلَى النَّاسِ) صلة شهداء (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) عطف على لتكونوا. روى أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد

عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم. والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع فى الأشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جىء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى : كنت أنت الرقيب عليهم . وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم. واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فإذا اجتمعوا على شىء وشهدوا به لزم قبوله . وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخراً لأن المراد فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا) أى وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل روى أن رسول الله ﷺ كان يصلى بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول إلى الكعبة (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة إلا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه يرجع فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الأزل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم فى الأزل بأنه موجود كائن لأنه ليس بموجود فى الأزل فكيف يعلمه موجودا فإذا صار موجودا يدخل تحت علمه الأزلى فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى : ليميز الله الخبيث من الطيب. فوضع العلم موضع التميز لأن العلم به يقع التميز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه فى النار لنعلم أيذوب (وَإِن كَانَتْ) أى التحويلة أو الجهة أو القبلة وإن هى المخففة واللام فى (لَكَبِيرَةً) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان

واللام فارقة (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أى هداهم الله فحذف العائد أى إلا على الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أى صلاتكم إلى بيت المقدس سمى الصلاة إيمانا لأن وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها فى الجماعة دليل الإيمان. ولما توجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رَّحِيمٌ) لا يضيع أجورهم ، والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما فى الرحمن الرحيم (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ) ترددوجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء . وكان رسول ﷺ يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة موافقة لإبراهيم ومخالفة لليهود ، ولأنها أدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (قِبْلَةً تَرْضَاهَا) تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته . (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى نحوه. وشطر نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى فى جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائى . وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين . روى أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة. (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ) من الأرض وأردتم الصلاة (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ) أى التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله ﷺ أنه يصلى إلى القبلتين . (مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء مكى وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالأول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإباء والثانى وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أراد ذوى العناد منهم (بِكُلِّ ءَايَةٍ) برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق (مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما فى كتبهم من نعتك أنك على الحق وجواب القسم المحذوف سد

مسد جواب الشرط (وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) حسم لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه إلى قبلتهم ووحدت القبلة وإن كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم فى البطلان (وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) يعنى أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هى الكعبة وأن دين الله هو الإسلام (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) لمن المرتكبين الظلم الفاحش . وفى ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى . وقيل الخطاب فى الظاهر للنبى عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين إذ لو وصل لصار (الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) صفة للظالمين . وهو مبتدأ والخبر (يَعْرِفُونَهُ) أى محمدا عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة . والأول أظهر لقوله (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) قال عبد الله بن سلام أنا أعلم به منى بابنى فقال له عمر ولم قال: لأنى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه . (وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ) أى الذين لم يسلموا (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) حسدا وعنادا (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن الله تعالى بينه فى كتابهم (الْحَقُّ) مبتدأ خبره (مِن رَّبِّكَ) واللام للجنس أى الحق من الله لامن غيره . يعنى أن الحق ماثبت أنه من الله كالذى أنت عليه . ومالم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل . أو للعهد والإشارة إلى الحق الذى عليه رسول الله ﷺ . أو خبر مبتدإ محذوف أى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال . (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فى أنه من ربك (وَلِكُلٍّ) من أهل الأديان المختلفة . (وِجْهَةٌ) قبلة . وقرىء بها . والضمير فى (هُوَ) لكل . وفى (مُوَلِّيهَا) للوجهة . أى هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى . أى الله موليها إياه . هو مولاها شاى أى هو مولى تلك الجهة قد وليها . والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم (فَاسْتَبِقُوا) أنتم (الْخَيْرَاتِ) فاستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره . (أَيْنَ مَا تَكُونُوا) أنتم وأعداؤكم (يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة يصلى

إليها جنوبية أوشمالية أوشرقية أوغربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة الكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعاً ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) ومن أى بلد خرجت للسفر (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) إذا صليت . (وَإِنَّهُ) وإن هذا المأمور به (لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وبالياء أبو عمرو . (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد مالم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أى قد عرفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج فى القبلة بما قد بين فى قوله: ولكل وجهة هو موليها. لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة فى خلاف مافى التوراة من تحويل القبلة . وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لأنهم يسوقونه سياق الحجة . (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) استثناء من الناس أى لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحباً لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء عليهم السلام أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه إلى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسمعيل أبى العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم ثم استأنف منبها بقوله : (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فإنهم لايضرونكم (وَاخْشَوْنِي) فلاتخالفوا أمرى (وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) أى عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتى عليكم بهدايتى إياكم إلى الكعبة . (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولكى تهتدوا إلى قبلة ابراهيم. الكاف فى (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ) إما أن يتعلق بما قبله أى ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بإرسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب. فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الأول لا. (رَسُولًا مِّنكُمْ) من العرب (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ) يقرأ عليكم (آيَاتِنَا) القرآن (وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ)

القرآن(وَالْحِكْمَةَ) السنةوالفقه (وَيُعَلِّمُكُم مَّالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) مالاسبيل إلى معرفته إلا بالوحي (فَاذْكُرُونِي) بالمذرة (أَذْكُرْكُمْ) بالمغفرة أو بالثناء والعطاء ، أو بالسؤال والنوال، أوبالتوبةوعفوالحوبة،أوبالإخلاص والخلاص ، أوبالمناجاةوالنجاة.(وَاشْكُرُوا لِي) ماأنعمت بهعليكم (وَلَا تَكْفُرُونِ) ولاتجحدوانعمائى . (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) فبه تنال كل فضيلة (وَالصَّلَوٰةِ) فإنها تنهى عن كل رذيلة (إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ) بالنصر والمعونة (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ) نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعةعشر رجلا . (أَمْوَٰتٌ) أى هم أموات (بَلْ أَحْيَاءٌ) أى هم أحياء (وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ) لاتعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لاتعلم حسا . عن الحسن رضى الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشياً فيصل إليهم الوجع . وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها . (وَلَنَبْلُوَنَّكُم) ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ماأنتم عليه من الطاعة أم لا (بِشَيْءٍ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه. وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه مايقل إليهم . ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال . وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها . (مِّنَ الْخَوْفِ) خوف الله والعدو (وَالْجُوعِ) أى القحط أوصوم شهر رمضان (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) بموت المواشى أوالزكاة. وهوعطف على شىء. أوعلى الخوف أى وشىء من نقص الأموال. (وَالْأَنفُسِ) بالقتل والموت . أوبالمرض والشيب (وَالثَّمَرَٰتِ) ثمرات الحرث أوموت الأولاد لأن الولد ثمرة الفؤاد (وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ) على هذه البلايا أوالمسترجعين عند البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وفى الحديث « من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه » . وطفىء سراج رسول الله ﷺ فقال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقيل أمصيبة هى؟ قال . «نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو مصيبة» والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من من يتأتى منه البشارة . (الَّذِينَ) نصب صفة للصابرين. ولاوقف عليه بل يوقف على راجعون. ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون . والأول الوجه لأن الذين ومابعده بيان للصابرين . (إِذَا أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ) مكروه. اسم فاعل من أصابته شدة أى

لحقته. ولا وقف على مصيبة لأن (قَالُوا) جواب إذا . وإذا وجوابها صلة الذين . (إِنَّا لِلَّهِ) إقرار له بالملك . (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إقرار على نفوسنا بالهلك (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) الصلاة: الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة. وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم. والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة. (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله. قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أى الصلاة والرحمة والاهتداء. (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ) هما علمان للجبلين . (مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ) قصد الكعبة (أَوِ اعْتَمَرَ) زار الكعبة، فالحج: القصد. والاعتمار: الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الأعيان (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ) فلا إثم عليه (أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) أى يتطوف فأدغم التاء فى الطاء . وأصل الطوف المشى حول الشيء والمراد هنا السعى بينهما قيل كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبه فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح . وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى . وكذا قوله (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) أى بالطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى أى يتطوع فأدغم التاء فى الطاء (فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ) مجاز على القليل كثيرا (عَلِيمٌ) بالأشياء صغيرا أو كبيرا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) من أحبار اليهود (مَا أَنزَلْنَا) فى التوراة (مِنَ الْبَيِّنَاتِ) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (وَالْهُدَىٰ) الهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام (مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ) أوضحناه (لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) فى التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه (أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) عن الكتمان وترك الإيمان (وَأَصْلَحُوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وَبَيَّنُوا) وأظهروا ما كتموا (فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ)أقبل توبهم(وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم

يتوبوا (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ذكر لعنهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا. والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون إذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى: كلما دخلت أمة لعنت أختها (خَٰلِدِينَ) حال من هم فى عليهم (فِيهَا) فى اللعنة أو فى النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) من الإنظار أى لا يمهلون أولا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) فرد فى ألوهيته لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها (لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) تقرير للوحدانية بنفى غيره وإثباته. وموضع هو رفع لأنه بدل من موضع لا إله ولا يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى والمعنى فى الآية على ذلك والنصب يدل على أن الاعتماد على الأول ورفع (الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) أى المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شىء سواه بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ . أو على البدل من هو لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف . ولما عجب المشركون من إله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فى اللون والطول والقصر وتعاقبهما فى الذهاب والمجىء (وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس ومن فى (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ) لابتداء الغاية وفى (مِن مَّآءٍ) مطر لبيان الجنس لأن ماينزل من السماء مطر وغيره. ثم عطف على أنزل (فَأَحْيَا بِهِ) بالماء (الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها ثم عطف على فأحيا (وَبَثَّ) وفرق (فِيهَا) فى الأرض (مِن كُلِّ دَآبَّةٍ) هى كل مايدب (وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ) الريح حمزة وعلى أى وتقليبها فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح. وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب (وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ) فى الهواء (لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها. وفى الحديث «ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها» أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (وَمِنَ النَّاسِ) أى ومع هذا البرهان النير من الناس (مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا) أمثالا من الأصنام (يُحِبُّونَهُمْ) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كَحُبِّ اللَّهِ) كتعظيم الله والخضوع له أى يحبون الأصنام كما يحبون الله

يعنى يسوون بينهم وبينه فى محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه . وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (وَالَّذِينَ ءامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) من المشركين لآلهتهم لأنهم لايعدلون عنه إلى غيره بحال، والمشركون يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون (وَلَوْ يَرَى) ترى نافع وشامى على خطاب الرسول أو كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما (الَّذِينَ ظَلَمُوا) إشارة إلى متخذى الأنداد (إِذْ يَرَوْنَ) يرون شامى (الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) حال (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) شديد عذابه أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شىء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالايدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لأن لو إذا جاء فيمايشوق إليه أو يخوف منه قلمايوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب . ولو يليها الماضى . وكذا إذ وضعها لتدل على الماضى، وإنما دخلتا على المستقبل هنا لأن إخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضى (إِذْ تَبَرَّأَ) مدغمة الذال فى التاء حيث وقعت عراقى غير عاصم. وهو بدل من إذ يرون العذاب (الَّذِينَ اتُّبِعُوا) أى المتبعون وهم الرؤساء (مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) من الأتباع (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) الواو فيه للحال أى تبرءوا فى حال رؤيتهم العذاب (وَتَقَطَّعَتْ) عطف على تبرأ (بِهِمُ الْأَسْبَابُ) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) أى الاتباع (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَتَبَرَّأَ) نصب على جواب التمنى لأن لو فى معنى التمنى والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا) الآن (كَذَلِكَ) مثل ذلك الإراء الفظيع (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) أى عبادتهم الأوثان (حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) ندامات . وهى مفعول ثالث ليريهم ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم (وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا) أمر إباحة (مِمَّا فِي الْأَرْضِ) من للتبعيض لأن كل مافى الأرض ليس بمأكول (حَلَالاً) مفعول كلوا أو حال مما فى الأرض (طَيِّباً) طاهرا من كل شبهة (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) طرقه التى يدعوكم إليها بسكون الطاء أبو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر ، والخطوة فى الأصل مابين قدمى الخاطى يقال

اتبع خطواته إذا اقتدى به واستن بسنته (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ظاهر العداوة لاخفاء به. وأبان متعد ولازم . ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى : والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أى الشيطان لأنه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهراً فإنه يريهم فى الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم فى الباطن (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أى لايأمركم بخير قط إنما يأمركم (بِالسُّوءِ) بالقبيح (وَالْفَحْشَاءِ) وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم : وقيل السوء مالاحد فيه والفحشاء مافيه حد (وَأَن تَقُولُوا) فى موضع الجر بالعطف على بالسوء أى وبأن تقولوا (عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل مايضاف إلى الله تعالى مما لايجوز عليه (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ) الضمير للناس . وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفاف قيل هم المشركون. وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول ﷺ إلى الإيمان واتباع القرآن ، (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا) وجدنا (عَلَيْهِ آبَاءَنَا) فإنهم كانوا خيراً منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم (لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) من الدين (وَلَا يَهْتَدُونَ) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) المضاف محذوف أى ومثل داعى الذين كفروا (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) يصيح والمراد (بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) البهائم والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان فى أنهم لايسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لاتسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ولاتفقه شيئاً آخر كما يفهم العقلاء. والنعيق: التصويت، يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضأن والنداء مايسمع والدعاء قد يسمع وقد لايسمع (صُمٌّ) خبر مبتدإ مضمر أى هم صم (بُكْمٌ) خبر ثان (عُمْيٌ) عن الحق خبر ثالث (فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الموعظة ثم بين أن ماحرمه المشركون حلال فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) من مستلذاته أومن حلالاته (وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) الذى رزقكموها (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم ثم بين المحرم فقال (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) وهى كل مافارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وإنما لإثبات المذكور ونفى ماعداه أى ماحرم عليكم

إلا الميتة (وَالدَّمَ) يعنى السائل لقوله فى موضع آخر : أودما مسفوحا . وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد والكبد والطحال» (وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ) يعنى الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) أى ذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله وأصل الإهلال رفع الصوت أى رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (فَمَنِ اضْطُرَّ) أى ألجىء بكسر النون بصرى وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعنى النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غَيْرَ) حال أى أكل غير (بَاغٍ) للذة وشهوة (وَلَا عَادٍ) متعد مقدار الحاجة . وقول من قال غير باغ على الإمام ولا عاد فى سفر حرام ضعيف لأن سفر الطاعة لايبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر يبيح بلاسفر ولأن بغيه لايخرج عن الإيمان فلا يستحق الحرمان . والمضطر يباح له قدر مايقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لأن الإباحة للاضطرار فتقدر بقدر ماتندفع الضرورة (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى الأكل (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رَّحِيمٌ) حيث رخص ، ونزل فى رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبى عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) فى صفة محمد عليه السلام (وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) أى عوضاً أو ذا ثمن (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) ملء بطونهم تقول : أكل فلان فى بطنه وأكل فى بعض بطنه (إِلَّا النَّارَ) لأنه إذا أكل مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار . ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التى هى بدل منه قال : * يأكلن كل ليلة إكافا * أى ثمن إكاف فسماه إكافا لتلبسه به بكونه ثمناً له . (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله : اخسئوا فيها ولا تكلمون . (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أولا يثنى عليهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم لحرف النفى مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبر إن والجمل الثلاث معطوفة على خبر إن فقد صار لإن أربعة أخبار من الجمل . (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فأى شىء أصبرهم على عمل يؤدى إلى النار . وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أى ذلك

العذاب بسبب أن الله نزل مانزل من الكتب بالحق . (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا) أى أهل الكتاب (فِى الْكِتَٰبِ) هو للجنس أى فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل (لَفِى شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه لفى شقاق بعيد عن الهدى (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا) أى ليس البر توليتكم (وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) والخطاب لأهل الكتاب لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه منسوخ (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) بر (مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ) أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والأول أجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضى وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به برمن آمن وقام بهذه الأعمال ليس البر بالنصب . على أنه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامى وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرىء ولكن البار (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم البعث (وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ) أى جنس كتب الله أو القرآن (وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ) أى على حب الله أو حب المال أو حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه (ذَوِى الْقُرْبَىٰ) أى القرابة وقدمهم لأنهم أحق . قال عليه الصلاة والسلام: «صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة» (وَالْيَتَٰمَىٰ) والمراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وإنما أطلق لعدم الإلباس (وَالْمَسَٰكِينَ) المسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لاشىء له كالسكير للدائم السكر (وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر المنقطع وهو جنس وإن كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له أو الضيف (وَالسَّآئِلِينَ) المستطعمين (وَفِى الرِّقَابِ) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم أوفى الأسارى (وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ) المكتوبة (وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ) المفروضة قيل هو تأكيد للأول وقيل المراد بالأول نوافل الصدقات والمبار (وَالْمُوفُونَ) عطف على من آمن (بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا) الله والناس (وَالصَّٰبِرِينَ) نصب على المدح والاختصاص إظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال . (فِى الْبَأْسَآءِ) الفقر والشدة

(وَالضَّرَّاءِ) المرض والزمانة (وَحِينَ الْبَأْسِ) وقت القتال (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) أى أهل هذه الصفة هم الذين صدقو فى الدين (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) روى أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحا كموا إلى رسول الله ﷺ حين جاء الله بالإسلام فنزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) أى فرض (عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه إذا اتبعه ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار (فِي الْقَتْلَى) جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الْحُرُّ بِالْحُرِّ) مبتدأ وخبر أى الحر مأخوذ أومقتول بالحر (وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ) وقال الشافعى رحمه الله لايقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى: أن النفس بالنفس. كما بين الذكر والأنثى وبقوله عليه السلام «المسلمون تتكافأ دماؤهم» وبأن التفاضل غير معتبر فى الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) قالوا العفو ضد العقوبة. يقال عفوت عن فلان إذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه وهو يتعدى بعن إلى الجانى وإلى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفو عن السيئات وإذا اجتمعا عدى إلى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق» وقال الزجاج من عفى له أى من ترك له القتل بالدية وقال الأزهرى العفو فى اللغة الفضل ومنه : يسألونك ماذا ينفقون قل العفو. ويقال عفوت لفلان بمال إذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عما لى عليه إذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شىء من العفو على أن الفعل مسند إلى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والأخ ولى المقتول وذكر بلفظ الأخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والإسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه. وقيل أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه لمن، وفى إليه للأخ أوللمتبع الدال عليه فاتباع لأن المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة وليؤد إليه المطلوب أى القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه وإنما قيل شىء من العفو ليعلم أنه إذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة

م العفو وسقط القصاص ومن فسر عُفى بترك جعل شيء مفعولا به، وكذا من فسره بأعطى يعنى أن الولى إذا أعطى له شيء من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل إليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بأنه خبر مبتدأ مضمر أى فالواجب اتباع (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) فإنه كان فى التوراة القتل لا غير وفى الإنجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا. والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالإيمان بعد وجود القتل ولبقاء الأخوة الثابتة بالإيمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) نوع من العذاب شديد الألم فى الآخرة (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) كلام فصيح لما فيه من الغرابة إذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لأن المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه مما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة. أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ياذوى العقول (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) القتل حذرا من القصاص (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى إذا دنا منه فظهرت أماراته (إِن تَرَكَ خَيْرًا) مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه إن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال: قال الله تعالى: إن ترك خيرا. والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب (الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) وكانت الوصية للوارث فى بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه فى شرح المنار، وقيل هى غير منسوخة لأنها نزلت فى حق من ليس بوارث بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثى عهد بالإسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا لا يراد بكتب فرض (بِالْمَعْرُوفِ) بالعدل وهو أن لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حَقًّا) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا (عَلَى الْمُتَّقِينَ) على الذين يتقون الشرك

(فَمَن بَدَّلَهُ) فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود (بَعْدَ مَا سَمِعَهُ) أى الإيصاء (فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) فما إثم التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لأنهما بريئان من الحيف (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقول الموصى (عَلِيمٌ) بجور المبدل (فَمَنْ خَافَ) علم وهـذا شائع فى كلامهم يقولون أخاف أن ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجارى مجرى العلم (مِن مُّوصٍ) موَصٍّ كوفى غير حفص (جَنَفاً) ميلا عن الحق بالخطإ فى الوصية (أَوْ إِثْماً) تعمدا للحيف (فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا فى حال حياة الموصى أى فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا إثم على هذا الموصى بما قال أولا (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ) أى فرض (عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كَمَا كُتِبَ) أى كتابة مثل ما كتب فهوصفة مصدر محذوف (عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) على الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار أن كل أحد له صوم أيام أى أنتم متعبدون بالصيام فى أيام كما تعبد من كان قبلكم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) المعاصى بالصيام لأن الصيام أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء أو لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين إذ الصوم شعارهم وانتصاب (أَيَّامًا) بالصيام أى كتب عليكم أن تصوموا أياماً (مَّعْدُودَاتٍ) موقتات بعدد معلوم أى قلائل وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً) يخاف من الصوم زيادة المرض (أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أو راكب سفر (فَعِدَّةٌ) فعليه عدة أى فأفطر فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أى أمر أن يصوم أياماً معدودة مكانها (مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) سوى أيام مرضه وسفره. وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف واللام لأن الأصل فى معنى صفة أن تستعمل فى الجمع بالألف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا (فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) نصف صاع من بر أو صاع من غيره. فطعام بدل من فدية. فدية طعام مساكين مدنى وابن ذكوان وكان ذلك فى

بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الإفطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله : فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ولهذا كرر قوله: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر. لأنه لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فأضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخاً (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) فزاد على مقدار الفدية (فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلى (وَأَن تَصُومُوا) أيها المطيقون (خَيْرٌ لَّكُمْ) من الفدية وتطوع الخير وهذا فى الابتداء وقيل وأن تصوموا فى السفر والمرض خير لكم لأنه أشق عليكم (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) شرط محذوف الجواب (شَهْرُ رَمَضَانَ) مبتدأ خبره (الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) أى ابتدئ فيه إنزاله وكان فى ليلة القدر أو أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله تعالى: كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدأ محذوف أى هو شهر والرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولأنهم سموا الشهور بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فإن قلت ما وجه ما جاء فى الحديث «من صام رمضان إيماناً واحتساباً» مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعاً قلت هو من باب الحذف لأمن الإلباس . القران حيث كان غير مهموز مكى وانتصب (هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) على الحال أى أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فمن كان شاهداً أى حاضراً مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء فى ليصمه ولا يكون مفعولا به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه عدة أى صوم عدة (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض (وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الإعادة فقد عدل عن موجب هذا (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ)

عدة ماأفطرتم بالقضاء إذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا المدة (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) شرع ذلك يعنى جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص فى إباحة الفطر فقوله: لتكملوا علة الأمر بمراعاة المدة ولتكبروا علة ماعلم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك. وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل لتكبروا الله أى لتعظموه حامدين على ما هداكم إليه ولتكملوا بالتشديد أبو بكر. ولما قال إعرابى لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) علما وإجابة لتعاليه عن القرب مكاناً (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) الداعى دعانى فى الحالين سهل ويعقوب ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون فى الوصل غيرهم بغير ياء فى الحالين ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فإجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى، وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة إعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بمدة وقد يكون فى الآخرة وقد تكون الخيرة له فى غيره (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أنى أجيبهم إذا دعونى لحوائجهم (وَلْيُؤْمِنُوا بِي) واللام فيهما للأمر (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد وهو ضد الغى كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلى العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبى عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديراً بذلك فنزل (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) أى الجماع (إِلَىٰ نِسَائِكُمْ) عدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) وقيل لباس أى ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة

والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم فى مباشرتهن (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وَعَفَا عَنكُمْ) مافعلتم قبل الرخصة (فَالْئَنَ بَٰشِرُوهُنَّ) جامعوهن فى ليالى الصوم وهو أمر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة أى لاتباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ماوضع الله له النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ) هو أول مايبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود (مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) وهو مايمتد من سواد الليل شبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما (مِنَ الْفَجْرِ) بيان أن الخيط الأبيض من الفجر لامن غيره واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للآخر أو من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغاً كما أن قولك رأيت أسداً مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها. وعن عدى ابن حاتم قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت إليهما فلم يتبين لى الأبيض من الأسود فأخبرت النبى عليه السلام بذلك فقال إنك لعريض القفا أى سليم القلب لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفى قوله (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) أى الكف عن هذه الأشياء دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفى الوصال وعلى وجوب الكفارة فى الأكل والشرب وعلى أن الجنابة لاتنافى الصوم (وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى الْمَسَٰجِدِ) معتكفون فيها. بين أن الجماع يحل فى ليالى رمضان لكن لغير المعتكف والجملة فى موضع الحال وفيه دليل على أن الاعتكاف لايكون إلا فى المسجد وأنه لايختص به مسجد دون مسجد (تِلْكَ) الأحكام التى ذكرت (حُدُودُ اللَّهِ) أحكامه المحدودة (فَلَا تَقْرَبُوهَا) بالمخالفة والتغيير (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَٰتِهِ) شرائعه (لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) المحارم (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم) أى لايأكل بعضكم مال بعض (بِالْبَٰطِلِ) بالوجه الذى لم

يمحه الله ولم يشرعه (وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل فى حكم النهى يعنى ولاتلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام (لِتَأْكُلُوا) بالتحاكم (فَرِيقًا) طائفة (مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ) بشهادة الزور أو بالأيمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم وقال عليه السلام للخصمين إنما أنا بشروأنتم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ماأسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإن ماأقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه أى ألقاه فى البئر للاستقاء (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق. قال معاذ بن جبل يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ) جمع هلال سمى به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) أى معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الأنصار إذا احرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقباً فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) أى ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف فى رفع البر هنا لأن الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل إلاوجها واحداً وهوالرفع إذ الباء لاتدخل إلا على خبر ليس (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) بر (مَنِ اتَّقَىٰ) ماحرم الله. البيوت وبابه مدنى وبصرى وحفص وهو الأصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هى توجب الخروج من كسر إلى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها. معلوم أن كل مايفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا فى خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر فى شىء وأنتم تحسبونها براً فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل أن يكون ذلك على طريق

الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت الحج لأنه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وإن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر وماينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) وباشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولااعتراض شك فى ذلك حتى لايسئل عنه لمافى السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لايسئل عمايفعل وهم يسئلون (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيم أمركم به ونهاكم عنه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) لتفوزوابالنعيم السرمدى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) المقاتلة فى سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين(الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هى أول آية نزلت فى القتال فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة (وَلَا تَعْتَدُوا) فى ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوها أو بالمثلة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الأخذ والغلبة (وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)أى من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله ﷺ بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) أى شركهم بالله أعظم من القتل الذى يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التى يتمنى عندها الموت (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ) أى ولاتبدءوا بقتالهم فى الحرم حتى يبدءوا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) فى الحرم فعندنا يقتلون فى الأشهر الحرم لافى الحرم إلا أن يبدءوا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وإن كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل فى الأمكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم إلاعند البداءة منهم كذا فى شرح التأويلات

(كَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْكَـٰفِرِينَ) مبتدأ وخبر. ولاتقاتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم حمزة وعلى (فَإِنِ انتَهَوْا)عن الشرك والقتال (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لما سلف من طغيانهم (رَّحِيمٌ) بقبول توبتهم وإيمانهم (وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كى أوالى أن (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لايعبد دونه شىء (فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى الظَّـٰلِمِينَ) فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان إلا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أوفلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه . قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذوالقعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) مبتدأ خبره (بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) أى هـذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (وَالْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص. من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحوذلك ولاتبالوا وأكد ذلك بقوله(فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)من شرطية والباء غيرزائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلاتعتدوا إلى مالايحل لكم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالنصر(وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ) تصدقوا فى رضا الله وهوعام فى الجهاد وغيره(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) أى أنفسكم والباء زائدة أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الإنفاق فى سبيل الله لأنه سبب الهلاك أوعن الإسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد (وَأَحْسِنُوا)الظن بالله فى الإخلاف(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) إلى المحتاجين (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان وقيل الإتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه إتمامهما وبه نقول إن العمرة تلزم بالشروع ولاتمسك للشافعى رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لأنه أمر بإتمامها وقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع أو إتمامهما أن تحرم بهما

من دورة أهلك أوأن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيهما حلالا أو أن لاتتجر معهما (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) يقال أحصر فلان إذامنعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر إذا حبسه عدو عن المضى وعندنا الإحصار يثبت بكل منع من عدو أومرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر أو عرج فقدحل أى جاز له أن يحل وعليه الحج من قابل وعندالشافعى رحمه الله الإحصار بالعدووحده وظاهر النص يدل على أن الإحصار يتحقق في العمرة أيضا لأنه ذكر عقبهما (فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية يعنى فإن منعتم من المضى إلى البيت وأنتم محرمون بحج أوعمرة فعليكم إذاأردتم التحلل مااستيسر من الهدى من بعير أوبقرة أوشاة فارفع بالابتداء أى فعليكم مااستيسر أو نصب أى فأعدوا لهمااستيسر (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ)الخطاب للمحصرين أى لاتحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في أن دم الإحصار لا يذبح إلا في الحرم على الشافعى رحمه الله إذعنده يجوز في غير الحرم (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا) فمن كان منكم بهمرض يحوجه إلى الحلق (أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) وهو القمل أوالجراحة (فَفِدْيَةٌ) فعليه إذاحلق فدية (مِّن صِيَامٍ) ثلاثة أيام (أَوْ صَدَقَةٍ) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أَوْ نُسُكٍ) شاة وهو مصدر أوجمع نسيكة (فَإِذَا أَمِنتُمْ) الإحصار أى فإذالم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة (فَمَن تَمَتَّعَ)استمتع (بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل إذاحل من عمرته انتفع باستباحة ماكان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج (فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) هو هدى المتعة. وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر . (فَمَن لَّمْ يَجِدْ)الهدى(فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت الحج وهو أشهره مابين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) في وقوعها بدلا عن الهدى أو في الثواب . أو المراد رفع الإبهام فلا يتوهم في الواو أنها بمعنى الإباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين . ألا ترى أنه لو جالسهما أوواحدا منهما كان ممتثلا (ذلك) إشارة إلى التمتع عندنا إذلا تمتع ولا قران لحاضرى المسجدالحرام عندنا وعند الشافعى

رحمه الله إلى الحكم الذى هو وجوب الهدى أوالصيام ولم يوجب عليهم شيئا (لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) هم أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن لم يتقه (الْحَجُّ) أى وقت الحج كقولك البرد شهران (أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهى شوال وذو القعدة وعشر ذو الحجة . وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها وكذا الإحرام عند الشافعى رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت أى الأشهر لبعض الثالث . أو لأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما (فَمَن فَرَضَ) ألزم نفسه بالإحرام (فِيهِنَّ الْحَجَّ) فى هذه الأشهر (فَلَا رَفَثَ) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (وَلَا فُسُوقَ) هو المعاصى أو السباب لقوله عليه السلام «سباب المؤمن فسوق» أو التنابز بالألقاب لقوله تعالى : بئس الاسم الفسوق(وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)ولامراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن . والمراد بالنفى وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لاتكون وقرأ أبو عمرو ومكى الأولين بالرفع لحملهما على معنى النهى كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولاشك ولا خلاف فى الحج ثم حث على الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى. ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ) اعلم بأنه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات .كان أهل اليمن لايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وَتَزَوَّدُوا) أى تزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ) أى الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم أوتزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها (وَاتَّقُونِ) وخافوا عقابى وهو مثل دعان(يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)ياذوى العقول يعنى أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له . ونزل فى قوم زعموا أن لاحج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا) فى أن تبتغوا فى مواسم الحج (فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ)عطاء

وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فَإِذَا أَفَضْتُم) دفعتم بكثرة من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة. وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (مِّنْ عَرَفَٰتٍ) هى علم للموقف سمى بجمع كأذرعات. وإنما صرفت لأن التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها . وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) هو قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه الميقدة . والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة . ووصف بالحرام لحرمته. وقيل المشعر الحرام مزدلفة، وسميت المزدلفة جمعا لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أى دنا منها أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى أى يتقربون بالوقوف فيها (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ) ما مصدرية أو كافة أى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ) من قبل الهدى (لَمِنَ الضَّآلِّينَ) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة . قالوا : هذا أمر لقريش بالإفاضة من عرفات إلى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه. وقيل الإفاضة من عرفات مذكورة فهى الإفاضة من جمع إلى منى. والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) من مخالفتكم فى الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم فى أعمال الحج (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بكم (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ) فإذا فرغتم من عباداتكم التى أمرتم بها فى الحج ونفرتم (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ) أى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم . والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون فى ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم . وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) أى أكثر . وهو فى موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر فى قوله كذكركم كما تقولون كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا وذكرا تمييز (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ) فمن الذين يشهدون

الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا) اجعل إيتاءنا أى إعطاءنا فى الدنيا خاصة يعنى الجاه والغنى (وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ) نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة . والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لأن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أى من الذين قيل فيهم (وَمِنْهُم) ومن الذين يشهدون الحج (مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً) نعمة وعافية . أو علماً وعبادة . (وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً) عفوا ومغفرة . أو المال والجنة . أو ثناء الخلق ورضا الحق . أوالإيمان والأمان . أوالإخلاص والخلاص . أو السنة والجنة . أو القناعة والشفاعة . أو المرأة الصالحة والحور العين . أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة . (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) احفظنا من عذاب جهنم . أو عذاب النار امرأة السوء . (أُوْلَٰٓئِكَ) أى الداعون بالحسنتين (لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا) من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا أو سمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين وأن لكل فريق نصيباً من جنس ما كسبوا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته . وروى أنه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى فى مقدار لمحة (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ) هى أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير فى أدبار الصلوات وعند الجمار (فَمَن تَعَجَّلَ) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر . وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل . يقال تعجل فى الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر (فِى يَوْمَيْنِ) من هذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الأيام الثلاثة (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ) فلا يأثم بهذا التعجل (وَمَن تَأَخَّرَ) حتى رمى فى اليوم الثالث (فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ) الصيد أو الرفث والفسوق أو هو مخير فى التعجل . والتأخر وإن كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم

من جمل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما (وَاتَّقُوا اللهَ) في جميع الأمور (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) حين يبعثكم من القبور. كان الأخنس ابن شريق حلو المنطق إذا لقي رسول الله ﷺ ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق فنزل فيه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) في يتعلق بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو بيعجبك أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة (وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ) أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد الجدال والعداوة للمسلمين، والخصام المخاصمة والإضافة بمعنى في لأن أفعل يضاف إلى ما هو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد في الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (وَإِذَا تَوَلَّىٰ) عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق (سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ) كما فعل بثقيف فإنه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) أي الزرع والحيوان أو إذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ) للأخنس (اتَّقِ اللهَ) في الإفساد والإهلاك (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه أو الباء للسبب أي أخذته العزة من أجل الإثم الذي في قلبه وهو الكفر (فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ) أي كافيه (وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) أي الفراش جهنم. ونزل في صهيب حين أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ) يبيعها (ابْتِغَاءَ) لابتغاء (مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) حيث أثابهم على ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) وبفتح السين حجازي وعلي، وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه أو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم (كَافَّةً) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا أي جميعا أو من السلم لأنها تؤنث

كأنهم أمروا أن يدخلوا فى الطاعات كلها أو فى شعب الإسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) وساوسه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ظاهر العداوة (فَإِن زَلَلْتُم) ملتم عن الدخول فى السلم (مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ) أى الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب لا يمنعه شىء من عذابكم (حَكِيمٌ) لا يعذب إلا بحق وروى إن قارئاً قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابى لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لأنه إغراء عليه (هَلْ يَنظُرُونَ) ما ينتظرون (إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) أى أمر الله وبأسه كقوله: أو يأتى أمر ربك. فجاءها بأسنا أو المأتى به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله بيأسه للدلالة عليه بقوله: فاعلموا أن الله عزيز (فِي ظُلَلٍ) جمع ظلة وهى ما أظلك (مِّنَ الْغَمَامِ) السحاب . وهو للتهويل إذ الغمام مظنة الرحمة أنزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول (وَالْمَلَائِكَةُ) أى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) أى وتم أمر إهلاكهم وفرغ منه (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) أى أنه ملك العباد بعض الأمور فترجع إليه الأمور يوم النشور ترجع الأمور حيث كان شامى وحمزة وعلى (سَلْ) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة إلى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل . وهو أمر للرسول أو لكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيامة (بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام وكم استفهامية أو خبرية (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ)هى آياته وهى أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها، أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ) من بعد ما عرفها وصحت عنده لأنه إذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن استحقه (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها أو الله تعالى يخلق الشهوات فيهم ولأن جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا (وَيَسْخَرُونَ

مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) لأنهم فى جنة عالية وهم فى وهم فى نار هاوية (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير تقتير يعنى أنه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً) متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه فى السفينة فاختلفوا (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبدالله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الأوجه (مُبَشِّرِينَ) بالثواب للمؤمنين (وَمُنذِرِينَ) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ) أى مع كل واحد منهم كتابه (بِالْحَقِّ) بتبيان الحق (لِيَحْكُمَ) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) فى دين الإسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ) فى الحق (إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ) أى الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أى ازدادوا فى الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب (مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ) على صدقه (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) مفعول له أى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه (مِنَ الْحَقِّ) بيان لما اختلفوا فيه (بِإِذْنِهِ) بعلمه (وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ أَمْ حَسِبْتُمْ) أم منقطعة لا متصلة لأن شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أى أيهما عندك وجوابه زيد إن كان عنده زيد أو عمرو إن كان عنده عمرو وأما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة، والتقدير بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده . لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات

التي هي أبلغ أم حسبتم (أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم) أى ولم يأتكم وفى لما معنى التوقع يعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر (مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا) مضوا أى حالهم التي هي مثل فى الشدة (مِن قَبْلِكُم) من النبيين والمؤمنين (مَّسَّتْهُمُ) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (الْبَأْسَاءُ) أى البؤس (وَالضَّرَّاءُ) المرض والجوع (وَزُلْزِلُوا) وحركوا بأنواع البلايا وأزعجوا إزعاجا شديداً شبيها بالزلزلة (حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين فيها (مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر، يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم له * ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها عن الحسن هى فى التطوع (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجزى عليه (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) فرض عليكم جهاد الكفار (وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها .

* فإنما هي إقبال وإدبار * كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) فأنتم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة (وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا) وهو القعود عن الغزو (وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) ما هو خير لكم (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم ونزل فى سرية بعثها رسول الله ﷺ فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) أى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال

فى الشهر الحرام (قِتَالٍ فِيـــهِ) بدل الاشتمال من الشهر وقرىء عن قتـال فيه على تـكرير العامل كقوله: للذين استضعفوا لمن آمن منهم . (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أى إثم كبير قتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأنها قد وصفت بفيه وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم: (وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أى منع المشركين رسـول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وَكُفْرٌ بِهِ) أى بالله عطف على صد (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) عطف على سبيل الله أى وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء فى به أى كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولـكن تقول وبزيد ولو كان معطوفاً على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ) أى أهل المسجد الحرام وهم رسـول الله ﷺ والمؤمنون وهو عطف على صد أيضاً (مِنْهُ) من المسجد الحرام وخبر الأسماء الثلاثة (أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ) أى مما فعلته السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطإ والبناء على الظن (وَالْفِتْنَةُ) الإخراج أو الشرك (أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) فى الشهر الحرام أو تعذيب الـكفار المسلمين أشد قبحاً من قتل هؤلاء المسلمين فى الشهر الحرام (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ) أى إلى الـكفر وهو إخبار عن دوام عداوة الـكفار للمسلمين وأنهم لا ينفـكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونـكم كى يردوكم وقوله تعالى (إِنِ اسْتَطَاعُوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك إن ظفرت بى فلا تبق على وأنت واثق بأنه لا يظفر بك (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) أى يمت على الردة (فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الاسلام وفى الآخرة من الثواب وحسن المـآب (وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وبها احتج الشافعى رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله والأصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله نزل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) تركوا مكة

وعشائرهم (وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) المشركين ولا وقف عليه لأن (أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) خبر إن قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) نزل فى الخمر أربع آيات نزل بمكة: ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا. فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم إن عمر ونفرا من الصحابة قالوا يارسول الله أفتنا فى الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن ابن عوف، جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ماغلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا إذا ستره لتغطيتها العقل، والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهى المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الأقداح فى خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لانصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفى حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما فى تعاطيهما بدليل (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلى (وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ) بالتجارة فى الخمر والتلذذ بشربها وفى الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد (وَإِثْمُهُمَآ) وعقاب الإثم فى تعاطيهما (أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ

ٱلْعَفْوَ) أى الفضل أى أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل فى أول الإسلام فرضا فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل وإذا كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا فى موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذى وينفقون صلته أى ما الذى ينفقون فجاء الجواب العفو أى هو العفو فإعراب الجواب كإعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كَذَٰلِكَ) الكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف أى تبيينا مثل هذا التبيين (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِى ٱلدُّنْيَا) أى فى أمر الدنيا (وَٱلْآخِرَةِ) وفى يتعلق بتتفكرون أى تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم أو تتفكرون فى الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق بيبين أى يبين لكم الآيات فى أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزل (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) أى مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم (وَإِن تُخَالِطُوهُمْ) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (فَإِخْوَٰنُكُمْ) فهم إخوانكم فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ) لأموالهم (مِنَ ٱلْمُصْلِحِ) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ) إعناتكم (لَأَعْنَتَكُمْ) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم (حَكِيمٌ) لا يكلف إلا وسعهم وطاقتهم ولما سأل مرثد النبى ﷺ عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (وَلَا تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ) أى لا تتزوجوهن يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره زوجه (وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها (وَلَا تُنكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ) ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين (حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) ثم بين علة ذلك فقال (أُولَٰٓئِكَ) وهو إشارة إلى المشركات والمشركين (يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ) إلى الكفر الذى هو عمل أهل

النار فحقهم أن لايوالوا ولا يصاهروا (وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم (بِإِذْنِهِ) بعلمه أو بأمره (وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله ﷺ عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن فنزل (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) هو مصدر يقال حاضت محيضاً كقولك جاء مجيئًا (قُلْ هُوَ أَذًى) أى المحيض شيء يستقذر ويؤذى من يقربه (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ) فاجتنبوهن أى فاجتنبوا مجامعتهن وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين ثم عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الإزار ومحمد رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضى الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن (حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) بالتشديد كوفى غير حفص أى يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن أى ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفى أقل منه لايقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف وعند الشافعى رحمه الله لايقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) فجامعوهن فجمع بينهما (مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّٰبِينَ) من ارتكاب مانهوا عنه أو العوادين إلى الله تعالى وإن زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لاييأس (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) بالماء أو المتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع فى الحيض أو من الفواحش. كان اليهود يقولون إذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله. أى إن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان

الحرث تنبيها على أن المطلوب الأصلى فى الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذى نيط به هذا المطلوب (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لايحظر عليكم جهة دون جهة وقوله: هوأذى فاعتزلوا النساء. من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم. من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها فى المحاورات والمكاتبات (وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ) ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فلا تجترئوا على المناهى (وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ) صائرون إليه فاستعدوا للقائه (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالثواب يامحمد وإنما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلاواو ثم مع الواو ثلاثا لأن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول كأنه وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهى اسم ما تعرضه دون الشىء من عرض العود على الإناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث فى يمينى فيترك البرّ إرادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه» وقوله (أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) عطف بيان لأيمانكم أى للأمور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والإصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أى ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأيمانكم (عَلِيمٌ) بنياتكم (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الأيمان وهو أن يحلف على شىء يظنه على ما حلف عليه والأمر

بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم وعند الشافعى رحمه الله هو ما يجرى على لسانه من غير قصد للحلف نحو لاوالله وبلى والله (وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم) ولـكن يعاقبكم (بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) بمااقترفته من إثم القصد إلى الـكذب فى اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف مايقوله وهواليمين الغموس وتعلق الشافعى بهذا النص على وجوب الـكفارة فى الغموس لأن كسب القلب العزم والقصد، والمؤاخذة غير مبينةهناوبينت فى المائدة فكان البيان ثمة بياناهنا، وقلنا المؤاخذةهنا مطلقةوهى فى دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلايصح حمل البعض على البعض (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) حيث لم يؤاخذكم باللغوفى أيمانكم (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ) يقسمون وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنه ومن فى (مِن نِّسَائِهِمْ) يتعلق بالجار والمجرور أى للذين كما تقول لك منى نصرة ولك منى معونة أى للمؤلين من نسائهم (تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) أى استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر لا بيؤلون لأن آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك أن تقول عدى بمن لما فى هذا القسم من معنى البعد فـكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فَإِن فَاءُو) فى الأشهر لقراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن أى رجعـوا إلى الوطء عن الإصرار بتركه (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) حيث شرع الـكفارة (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) بترك الفىء فتربصوا إلى مضى المدة (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لإيلائه (عَلِيمٌ) بنيته وهووعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة، وعند الشافعى رحمه الله معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعدمضى المدة لأن الفاء للتعقيب وقلناقوله: فإن فاءوا. وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلـكم هذا الشهر فإن أحمدتـكم أقمت عندكم إلى آخره والالم أقم إلا ريثما أتحول (وَالْمُطَلَّقَاتُ) أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) خـبر فى معنى الأمر وأصل الـكلام ولتتربص المطلقات، وإخراج الأمر فى صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فـكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفى

ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام «دعي الصلاة أيام أقرائك» وقوله «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان» ولم يقل طهران وقوله تعالى: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر. فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ولأنه لو كان طهراً كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة لأنه إذا طلقها لآخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده وإذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا، والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لايقع على مادونه ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أي يتربصن مضى ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعاً ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) من الولد أو من دم الحيض أو منهما وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) لأن من آمن بالله وبعقابه لايجترئ على مثله من العظائم (وَبُعُولَتُهُنَّ) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) أي أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على أن الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (فِي ذَٰلِكَ) في مدة ذلك التربص، والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة (إِنْ أَرَادُوا) بالرجعة (إِصْلَاحًا) لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الأمر والنهي (بِالْمَعْرُوفِ) بالوجه الذي لاينكر في الشرع

وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بأمرها وإن اشتركا في اللذة والاستمتاع أو بالإنفاق وملك النكاح (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) لا يعترض عليه في أموره (حَكِيمٌ) لا يأمر إلا بما هو صواب وحسن (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في أن الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة في طهر واحد لأن الله تعالى أمرنا بالتفريق لأنه وإن كان ظاهره الخبر فمعناه الأمر وإلا يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى لأن الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية إن زوجي قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أي الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثالث (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ) برجعة والمعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف (أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ) أيها الأزواج أو الحكام لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) مما أعطيتموهن من المهور (إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) إلا أن يعلم الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فَإِنْ خِفْتُمْ) أيها الولاة وجاز أن يكون أول خطاب للأزواج وآخره للحكام (أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر إلا أن يخافا حمزة على البناء للمفعول وإبدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه إقامة حدود الله (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) أي ما حد من النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فَلَا تَعْتَدُوهَا) فلا تجاوزوها بالمخالفة (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّٰلِمُونَ) الضارون أنفسهم (فَإِن طَلَّقَهَا) مرة ثالثة بعد المرتين فإن قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعى رحمه الله فى قول فكأن هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أى فإن طلقها الثالثة ببدل لحكم التحليل كذا (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ) من بعد التطليقة الثالثة (حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج وفيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها والإصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف فى أصول الفقه والفقه فيه أنه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلصا لم تحل له إلا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه (فَإِن طَلَّقَهَا) الزوج الثانى بعد الوطء (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) على الزوج الأول وعليها (أَن يَتَرَاجَعَا) أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج (إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) إن كان فى ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا) وبالنون المفضل (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يفهمون ما بين لهم (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أى فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة وإما أن يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا) مفعول له أو حال أى مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا (لِّتَعْتَدُوا) لتظلموهن أو لتلجئوهن إلى الافتداء (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) يعنى الإمساك للضرار (فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بتعريضها لعقاب الله (وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَٰتِ اللَّهِ هُزُوًا) أى جدوا بالأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا يقال لمن لم يجد فى الأمر إنما أنت لاعب وهازئ (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام وبنبوة محمد عليه السلام (وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَٰبِ وَالْحِكْمَةِ) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يَعِظُكُم بِهِ) بما أنزل عليكم وهو حال (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما امتحنكم به (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد و وعيد (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أى انقضت

عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لأن النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد المدة وفى الأولى الرجعة وذا يكون فى المدة (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) فلا تمنعوهن، العضل: المنع والتضييق (أَن يَنكِحْنَ) من أن ينكحن (أَزْوَٰجَهُنَّ) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه إشارة إلى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء المدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج سموا أزواجا باسم مايؤول إليه أوللاولياء فى عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته أن ترجع إلى الزوج الأول أو للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم) إذا تراضى الخطاب والنساء (بِالْمَعْرُوفِ) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط أوبمهر المثل والكفء لأن عند عدم أحدهما للاولياء أن يتعرضوا، والخطاب فى (ذَٰلِكَ) للنبى ﷺ أولكل واحد(يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فالموعظة إنماتنجع فيهم (ذَٰلِكُمْ) أى ترك العضل والضرار (أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) أى لكم من أدناس الآثام أو أزكى وأطهر أفضل وأطيب (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) مافى ذلك من الزكاء والطهر (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك (وَالْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ) خبر فى معنى الأمر المؤكد كيتربصن وهذا الأمر على وجه الندب أو على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبى إلا ثدى أمه أو لم توجد له ظئر أوكان الأب عاجزا عن الاستئجار أوأراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع (حَوْلَيْنِ) ظرف (كَامِلَيْنِ) تامين وهو تأكيد لأنه مما يتسامح فيه فإنك تقول: أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) بيان لمن توجه إليه الحكم أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة والحاصل أن الأب يجب عليه إرضاع ولده دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهى مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم ما دامت زوجة أو معتدة (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ) الهاء يعود إلى اللام الذى بمعنى الذى، والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية كعليهم فى المغضوب عليهم وإنما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم إذالاولاد للآباء والنسب إليهم لا إليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن

إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله: واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئا. (رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) بلا إسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولايتضارا (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) وجدها أوقدر إمكانها. والتكليف الإلزام ما يؤثره فى الكلفة وانتصاب وسعها على أنه مفعول ثان لتكلف لاعلى الاستثناء ودخلت إلابين المفعولين (لَا تُضَارَّ) مكى وبصرى بالرفع على الإخبار ومعناه النهى وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أوتضارر بفتحها الباقون لاتضار على النهى والأصل تضارر أسكنت الراء الأولى وأدغمت فى الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا) أى لاتضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وأن تقول بعدما ألفها الصبى أطلب له ظئراوما أشبه ذلك (وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ) أى ولايضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مماوجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهى تريد ارضاعه وإذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أى لاتضر والدة ولدها فلا تسىء غذاءه وتعهده ولاتدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أويقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد وإنما قيل بولدها وبولده لأنه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لهاعليه وكذلك الوالد (وَعَلَى الْوَارِثِ) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وعلى وارث الصبى عند عدم الأب (مِثْلُ ذَٰلِكَ) أى مثل الذى كان على أبيه فى حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن أبى ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذارحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وعلى الوارث ذى الرحم المحرم مثل ذلك ، وعند الشافعى رحمه الله لانفقة فيما عدا الولاد (فَإِنْ أَرَادَا) يعنى الأبوين (فِصَالًا) فطاما صادراً (عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ) بينهما (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فى ذلك

زادا على الحولين أو نقصا وهــذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأى من شرت العسل إذا استخرجته وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لأن للأب النسبة والولاية وللأم الشفقة والعناية (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ) أى لا ولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى معدى إلى مفعولين أى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعنى غــــير الأم عند إبائها أو عجزها (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم) إلى المراضع (مَّآ ءَاتَيْتُم) ما أردتم إيتاءه من الأجرة أتيتم مكى من أتى إليه إحساناً إذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا أى مفعولا والتسليم ندب لاشرط للجواز (بِٱلْمَعْرُوفِ) متعلق بسلمتم أى سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها (وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ) تقول توفيت الشىء واستوفيته إذا أخذته وافيا تاما أى تستوفى أرواحهم (وَيَذَرُونَ) ويتركون (أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أى يعتددن أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به وإنما احتيج إلى تقديره لأنه لابد من عائد يرجع إلى المبتدأ فى الجملة التى وقعت خبرا يتوفون المفضل أى يستوفون آجالهم (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) أى وعشر ليال والأيام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا إلى الأيام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) فإذا انقضت عدتهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أيها الأئمة والحكام (فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ) من التعرض للخطاب (بِٱلْمَعْرُوفِ) بالوجــه الذى لاينكره الشرع (وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بالبواطن (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ) الخطبة الاستنكاح، والتعريض أن تقول لها إنك لجميلة أو صالحة ومن غرضى أن أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيــه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إنى أريد أن أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شىء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * فكأنه

إمالة الكلام إلى غرض يدل على الغرض (أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ) أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) لامحالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) جماعا لأنه مما يسر أى لاتقولوا فى العدة إنى قادر على هذا العمل (إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) وهو أن تعرضوا ولاتصرحوا وإلا متعلق بلا تواعدوهن أى لاتواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولاتعزموا عقد عقدة النكاح أو ولاتقطعوا عقدة النكاح لأن حقيقة العزم القطع ومنه الحديث «لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» وروى لمن لم يبيت الصيام أى ولاتعزموا على عقدة النكاح (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لأنها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أى غايته (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ) من العزم على مالا يجوز (فَاحْذَرُوهُ) ولا تعزموا عليه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) لايعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولاجامعها (لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) لاتبعة عليكم من إيجاب مهر (إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) شرط ويدل على جوابه لاجناح عليكم والتقدير إن طلقتم النساء فلاجناح عليكم (مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ) مالم تجامعوهن وماشرطية أى إن لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لأن الفعل واقع بين اثنين (أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى إن سمى لها مهر وإن لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف مافرضتم فقوله فنصف مافرضتم إثبات للجناح المنفى ثمة (وَمَتِّعُوهُنَّ) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (عَلَى الْمُوسِعِ) الذى له سعة (قَدَرُهُ) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان (وَعَلَى الْمُقْتِرِ) الضيق الحال (قَدَرُهُ) ولا تجب المتعة عندها إلا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (مَتَاعًا) تأكيد لمتعوهن أى تمتيعاً (بِالْمَعْرُوفِ) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حَقًّا) صفة لمتاعا أى متاعا

واجبا عليهم أوحق ذلك حقا (عَلَى الْمُحْسِنِينَ) على المسلمين أوعلى الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام «من قتل قتيلا فله سلبه» وليس هذا الإحسان هو التبرع بما ليس عليه إذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التى سمى لها مهرا فى الطلاق قبل المس فقال (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ) أن مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر أى من قبل مسكم إياهن (وَقَدْ فَرَضْتُمْ) فى موضع الحال (لَهُنَّ فَرِيضَةً) مهرا (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ) يريد المطلقات وأن مع الفعل فى موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف مافرضتم فى جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون أن الواو فى الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر فى لفظه للعامل (أَوْ يَعْفُوَا) عطف على محله (الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) هو الزوج كذا فسره على رضى الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبى حنيفة والشافعى على الجديد رضى الله عنهم وهذا لأن الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى أن الواجب شرعا هو النصف إلا أن تسقط هى الكل أو يعطى هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعى فى القديم هو الولى قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه (وَأَن تَعْفُوا) مبتدأ خبره (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أى عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة بإسقاط كله خير لها أو للأزواج (وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ) التفضل (بَيْنَكُمْ) أى ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على تفضلكم (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها (وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ) بين الصلوات أى الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر عند أبى حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا» وقال عليه السلام «إنها الصلاة التى شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب» وفى مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولأنها بين صلاتى الليل وصلاتى النهار وفضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس

بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لأنها فى وسط النهار أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل أوصلاة المغرب لأنها بين الأربع والثنى ولأنها بين صلاتى مخافتة وصلاتى جهر أو صلاة العشاء لأنها بين وترين أو هى غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل (وَقُومُوا لِلَّهِ) فى الصلاة (قَـٰنِتِينَ) حال أى مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله فى قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائماً أو مطيلين القيام (فَإِنْ خِفْتُمْ) فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره (فَرِجَالًا) حال أى فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أَوْ رُكْبَانًا) وحدانا بإيماء ويسقط عنه التوجه إلى القبلة (فَإِذَا أَمِنتُمْ) فإذا زال خوفكم (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) فصلوا صلاة الأمن (كَمَا عَلَّمَكُم) أى ذكرا مثل ما علمكم (مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) من صلاة الأمن (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم) بالنصب شامى وأبو عمرو وحمزة وحفص أى فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أى فعليهم وصية (مَّتَاعًا) نصب بالوصية لأنها مصدر أو تقديره متعوهن متاعا (إِلَى الْحَوْلِ) صفة لمتاعا (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ماتقول أو بدل من متاعاً والمعنى أن حق الذين يتوفون من أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا فى أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا. إلى قوله: أربعة أشهر وعشرا. والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس. مع قوله تعالى: قد نرى تقلب وجهك فى السماء. (فَإِنْ خَرَجْنَ) بعد الحول (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ) من التزين والتعرض للخطاب (مِن مَّعْرُوفٍ) مما ليس بمنكر شرعا (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فيما حكم (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ) أى نفقة العدة (بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا) نصب على المصدر (عَلَى الْمُتَّقِينَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) هو فى موضع الرفع لأنه خبر لعل، وإن أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهى على سبيل الندب (أَلَمْ تَرَ) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجيب (إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ) من قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله

ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بنى إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وَهُمْ أُلُوفٌ) فى موضع النصب على الحال وفيه دليل على الألوف الكثيرة لأنها جمع كثرة وهى جمع ألف لا آلف (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له (فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا) أى فأماتهم الله وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون فى سبيل الله (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم أولما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فأماتهم كان عطفا عليه معنى (إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ذلك والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال فى سبيل الله وهو قوله (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) فحرض على الجهاد بعد الإعلام لأن الفرار من الموت لا يغنى وهذا الخطاب لأمة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عَلِيمٌ) بما يضمرونه (مَّن) استفهام فى موضع رفع بالابتداء (ذَا) خبره (الَّذِي) نعت لذا أو بدل منه (يُقْرِضُ اللهَ) صلة الذى سمى ما ينفق فى سبيل الله قرضا لأن القرض ما يقبض بيدل مثله من بعد. سمى به لأن القرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفأر والانقراض فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وأنه يجزيهم عليه لا محالة (قَرْضًا حَسَنًا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة فى الجهاد لأنه لما أمر بالقتال فى سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد (فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى عطفا على يقرض أو هو مستأنف أى فهو يضاعفه فيضعفه شامى فيضعفه مكى (أَضْعَافًا) فى موضع المصدر (كَثِيرَةً) لا يعلم كنهها إلا الله وقيل الواحد بسبعمائة (وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما

وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة ويبسط حجازى وعاصم وعلى (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازيكم على ما قدمتم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ) الأشراف لأنهم يملئون القلوب جلالة والعيون مهابة (مِن بَنِى إِسْرَٰءِيلَ) من للتبعيض (مِن بَعْدِ مُوسَىٰ) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (إِذْ قَالُوا) حين قالوا (لِنَبِىٍّ لَّهُمُ) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر فى تدبير الحرب عن رأيه وننتهى إلى أمره (نُّقَٰتِلْ) بالنون والجزم على الجواب (فِى سَبِيلِ اللَّهِ) صلة نقاتل (قَالَ) النبى (هَلْ عَسَيْتُمْ) عسيتم حيث كان نافع (إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أَلَّا تُقَٰتِلُوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) وأى داع لنا إلى ترك القتال وأى غرض لنا فيه (وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا) الواو فى وقد للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون إذا بلغ الأمر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ) أى أجيبوا إلى ملتمسهم (تَوَلَّوْا) أعرضوا عنه (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ) هو اسم أعجمى كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (مَلِكًا) حال (قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) أى كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له (وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) الواو للحال (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ) أى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك فى سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ) الطاء فى اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين أنفع

مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وَزَادَهُ بَسْطَةً) مفعول ثان (فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) قالوا كان أعلم بنى اسرائيل بالحرب والديانات فى وقته وأطول من كل إنسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لابد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما لأنه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب (وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ) أى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء إيتاءه وليس ذلك بالوراثة (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) أى واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عَلِيمٌ) بمن يصطفيه للملك فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ)أى صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل ولا يفرون(فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)سكون وطمأنينة (وَبَقِيَّةٌ) هى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشىء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام (مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ) أى مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما (تَحْمِلُهُ الْمَلَٰئِكَةُ) يعنى التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه والجملة فى موضع الحال وكذا فيه سكينة. ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك نعت لبقية (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إن فى رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ) خرج(بِالْجُنُودِ) عن بلده إلى جهاد العدو وبالجنود فى موضع الحال أى مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم) مختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر (بِنَهَرٍ) وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق فى الجهاد من المعذر (فَمَن شَرِبَ مِنْهُ) كرعا (فَلَيْسَ مِنِّى) فليس من أتباعى وأشياعى (وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ) ومن لم يذقه من طعم الشىء إذا ذاقه (فَإِنَّهُ مِنِّى) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو واستثنى (إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ) من قوله فمن شرب منه فليس منى والجملة الثانية فى حكم المتأخرة عن الاستثناء إلا أنها قدمت للعناية(غُرْفَةً بِيَدِهِ)غرفة حجازى وأبو عمرو بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فَشَرِبُوا مِنْهُ) أى فكرعوا (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم ثلثمائة وثلاثة

عشر رجلا (فَلَمَّا جَاوَزَهُ) أى النهر (هُوَ) طالوت (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) أى القليل (قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ) أى لاقوة لنا (بِجَالُوتَ) هوجبار من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ) يوقنون بالشهادة قيل الضمير فى قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه وروى أن الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غَلَبَتْ) خبرها (فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)بنصره(وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ) بالنصر (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) خرجوا لقتالهم (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ) اصبب (عَلَيْنَا صَبْرًا) على القتال (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بتقوية قلوبنا وإلقاء الرعب فى صدور عدونا (وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ) أعنا عليهم (فَهَزَمُوهُم) أى طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده(بِإِذْنِ اللَّهِ)بقضائه (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ) كان ايشا أبو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله إلى نبيهم أن داود هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه لجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائبا(وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ)فى مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنواسرائيل على ملك قط قبل داود (وَالْحِكْمَةَ) والنبوة (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ) هو مفعول به (بَعْضَهُم) بدل من الناس دفاع مدنى مصدر دفع أو دافع (بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ) أى ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أوولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد(وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ) بإزالة الفساد عنهم وهودليل على المعتزلة فى مسئلة الأصلح (تِلْكَ) مبتدأ خبره (ءَايَٰتُ اللَّهِ) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبى (نَتْلُوهَا) حال من آيات الله والعامل فيه معنى الإشارة أو آيات الله

بدل من تلك وتتلوها الخبر (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) باليقين الذى لايشك فيه أهل الكتاب لأنه فى كتبهم كذلك (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تِلْكَ الرُّسُلُ) إشارة إلى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى هذه السورة من آدم إلى داود أو التى ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون فى صفة الإيمان ويتفاوتون فى الطاعات بعد الإيمان ثم بين ذلك بقوله (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ) أى كلمه الله حذف العائد من الصلة يعنى منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ) مفعول أول (دَرَجَٰتٍ) مفعول ثان أى بدرجات أو إلى درجات يعنى ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد ﷺ لأنه هو المفضل عليهم بإرساله إلى الكافة وبأنه أوتى مالم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفى هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العلم الذى لا يشتبه على أحد والمتميز الذى لا يلتبس وقيل أريد به محمد وابراهيم وغيرهما من أولى العزم من الرسل (وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ) كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك (وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) قويناه بجبريل أو بالإنجيل (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ) أى مااختلف لأنه سببه (الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم) من بعد الرسل (مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ) المعجزات الظاهرات (وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا) بمشيئتى ثم بين الاختلاف فقال (فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ) بمشيئتى يقول الله أجريت أمور رسلى على هذا أى لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) كرره للتأكيد أى لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا إذ لا يجرى فى ملكى إلا ما يوافق مشيئتى وهذا يبطل قول المعتزلة لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) أثبت الإرادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم) فى الجهاد فى سبيل الله أو هو عام فى كل صدقة واجبة (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ) أى من قبل أن يأتى يوم لاتقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الإنفاق لأنه

لا بيع فيه حتى تبتاعوا ماتنفقونه (وَلَا خُلَّةٌ) حتى يساعكم أخلاؤكم به (وَلَا شَفَٰعَةٌ)
أى للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة أوإلا بإذنه (وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)أنفسهم
بتركهم التقديم ليوم حاجتهم أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لابيع فيه ولا خلة ولا
شفاعة مكى وبصرى (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)لاسم اسمه وخبره وما أبدل من موضعه فى موضع
الرفع خبر المبتدأ وهو الله (ٱلْحَىُّ) الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء (ٱلْقَيُّومُ) الدائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه (لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ) نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور (وَلَا نَوْمٌ)
عن المفضل السنة ثقل فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو تأكيد للقيوم لأن
من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما وقد أوحى إلى موسى عليه السلام قل لهؤلاء
إنى أمسك السموات والأرض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا (لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ) ملكا وملكا (مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) ليس لأحد أن
يشفع عنده إلا بإذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة
إلا إذا أذن له فى الكلام وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السماوات والأرض لأن فيهم العقلاء
(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ) من معلومه يقال فى الدعاء اللهم اغفر علمك فينا أى
معلومك (إِلَّا بِمَا شَآءَ) إلا بما علم (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) أى علمه ومنه
الكراسة لتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم وهو
كقوله تعالى ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما أوملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك أوعرشه كذا
عن الحسن أوهو سرير دون العرش فى الحديث «ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة
بفلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة» أوقدرته بدليل قوله (وَلَا يَـُٔودُهُۥ)
ولا يثقله ولا يشق عليه (حِفْظُهُمَا) حفظ السموات والأرض (وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ) فى ملكه وسلطانه
(ٱلْعَظِيمُ) فى عزه وجلاله أوالعلى المتعالى عن الصفات التى لاتليق به العظيم المتصف بالصفات
التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وإنما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف
لأنها وردت على سبيل البيان فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه
عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق

والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ماورد، منه ماروى عن على رضى الله عنه عن النبي ﷺ من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله. وقال عليه السلام «سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى ـ وقال ـ ما قرئت هذه الآية فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ـ وقال ـ من قرأ آية الكرسى عند منامه بعث إليه ملك يحرسه حتى يصبح ـ وقال ـ من قرأ هاتين الآيتين حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وإن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى : آية الكرسى وأول حم المؤمن إلى إليه المصير لاشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذاكراً له كان أفضل من سائر الأذكار وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد» (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) أى لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام وقيل هو إخبار فى معنى النهى وروى أنه كان لأنصارى ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما إلى رسول الله ﷺ فقال الأنصارى يارسول الله أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال (قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ) بالشيطان أو الأصنام (وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ) تمسك (بِالْعُرْوَةِ) أى المعتصم والمتعلق (الْوُثْقَىٰ) تأنيث الأوثق أى الأشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لَا انفِصَامَ لَهَا) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحله شبهة (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لإقراره (عَلِيمٌ) باعتقاده (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أرادوا أن يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (إِلَى النُّورِ) إلى الإيمان

والهداية ووحدلا تحاد الإيمان (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) مبتدأ والجملة وهى (أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّـٰغُوتُ) خـبره (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـٰتِ) وجمع لأن الطاغوت فى معنى الجمع يعنى والذين صمموا على الـكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبهة فى الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين والذين كفروا أوليـاؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذى يظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة (أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ) ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود الذى كان يدعى الربوبية بقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ) فى معارضته ربوبية ربه والهاء فى ربه يرجع إلى إبراهيم أو إلى الذى حاج فهو ربهما (أَنْ ءَاتَـٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) لأن آتاه الله يعنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الـكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة فى الأصلح أو حاج وقت أن آتاه الله الملك (إِذْ قَالَ) نصب بحاج أو بدل من إن آتاه إذا جعـل بمعنى الوقت (إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ) رب حمزة (الَّذِى يُحْـيِـى وَيُمِيتُ) كأنه قال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت (قَالَ) نمرود (أَنَا أُحْـيِـى وَأُمِيتُ) يريد أعفو عن القتل وأقتل فانقطع اللعين بهذا عند المخاصمة فزاد إبراهيم عليه السلام مالا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث (قَالَ إِبْرَٰهِيمُ) عليه السلام (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) وهذا ليس بانتقال من حجة إلى حجة كما زعم البعض لأن الحجة الأولى كانت لازمة ولـكن لما عاند اللعين حجة الإحياء بتخلية واحد وقتل آخر كله من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الـكواكب من المغرب إلى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى إلى غير جهة حركة النمل فقال إن ربى يحرك الشمس قسراً على غير حركتها فإن كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ) تحير ودهش (وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ) أى لا يوفقهم وقالوا إنما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله تعالى صرفه عنه وقيل إنه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيى وأميت أن الذى ينسب إليه الإحياء والإماتة أنا لا غيرى والآية تدل على إباحة التكلم فى علم الـكلام والمناظرة فيه لأنه قال: ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه. والمحاجة تكون بين اثنين فدل على أن ابراهيم حاجه

أيضا ولولم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لـكن الأنبياء عليهم السلام معصومين عن ارتـكاب الحرام ولأنا أمرنا بدعاء الـكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإذا دعونا هم إلى ذلك لابد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون إلا بعد المناظرة كذا فى شرح التأويلات (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ) معناه أو أرأيت مثـل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلة تعجيب أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذى حاج ابراهيم أو كالذى مر وقال صاحب الـكشف فيه الـكاف زائدة والذى عطف على قوله إلى الذى حاج عن الحسن أن المار كان كافراً بالبعث لانتظامه مع نمرود فى سلك ولـكلمة الاستبعاد التى هى أنى يحيي والأكثر أنه عزير أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام وأنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيى (عَلَىٰ قَرْيَةٍ) هى بيت المقدس حين خربه بختنصر وهى التى خرج منها الألوف (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي) أى كيف (هَٰذِهِ) أى أهل هذه (اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) أى أحياه (قَالَ) له ملك (كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) بناء على الظن وفيـه دليل جواز الاجتهاد روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم (قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ) روى أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً ولبناً فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لَمْ يَتَسَنَّهْ) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن لامها هاء لأن الأصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أى عاملته سنة أو واو لأن الأصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء فى الوصل وبإثباتها فى الوقف حمزة وعلى (وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه أو وانظر إليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ) فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ مامعه وقيل الواو عطف على محذوف أى لتعتبر ولنجعلك. قيل أتى قومه راكبا حمارا وقال :

أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب (وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ) أى عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم (كَيْفَ نُنشِزُهَا) نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازى وبصرى نحييها (ثُمَّ نَكْسُوهَا) أى العظام (لَحْماً) جعل اللحم كاللباس مجازاً (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شىء قدير (قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كقولهم ضربنى وضربت زيداً ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى أمر إحياء الموتى قال اعلم على لفظ الأمر حمزة وعلى أى قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى) بصرى (كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَىٰ) موضع كيف نصب بتحى (قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى) وإنما قال له أو لم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضرورى واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك أراد طمأنينة القلب (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ) طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) وبكسر الصاد حمزة أى أملهن واضممهن إليك (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التى بحضرتك وفى أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة جزأ بضمتين وهمز أبو بكر (ثُمَّ ادْعُهُنَّ) قل لهن تعالين بإذن الله (يَأْتِينَكَ سَعْياً) مصدر فى موضع الحال أى ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن على أرجلهن وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن كل جثة إلى رأسها (وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ) لا يمتنع عليه ما يريده

(حَكِيمٌ) فيا يدبر لايفعل إلا مافيه الحكمة، ولما برهن على قدرته على الإحياء حث على الانفاق فى سبيل الله وأعلم أن من أنفق فى سبيله فله فى نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) لابد من حذف مضاف أى مثل نفقتهم (كَمَثَلِ حَبَّةٍ) أومثلهم كمثل باذر حبة (أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر والممثل به موجود فى الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة فى الأرض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض، والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع أقراء (وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ) أى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعّفَ شاىء ويضعّفُ مكى (وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ) واسع الفضل والجود (عَلِيمٌ) بنيات المنفقين (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا) هو أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها (وَلَآ أَذًى) هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) أى ثواب انفاقهم (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من بخس الأجر (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وإنما قال هنا: لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) رد جميل (وَمَغْفِرَةٌ) وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسئول أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى) وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة (وَٱللَّهُ غَنِيٌّ) لا حاجة له إلى منفق يمن ويؤذى (حَلِيمٌ) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير إبطالا مثل إبطال الذى (يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

الْآخِرِ) أى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ) مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بحجر أملس عليه تراب (فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) مطر عظيم القطر (فَتَرَكَهُ صَلْدًا) أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه (لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا) لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا أو الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تطلبوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق وإنما قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق لأنه أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ماداموا مختارين الكفر (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) أى وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أى للإبتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) بستان (بِرَبْوَةٍ) مكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى (أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا) ثمرتها أكلها نافع ومكى وأبو عمرو (ضِعْفَيْنِ) مثلى ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل (فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص الهمزة فى (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ) للإنكار (أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ) لصاحب البستان (فِيهَا) فى الجنة (مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها أو أن النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر والواو

فى (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ) أولاد صغار للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الماء فى أصابه (فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ) ريح تستدير فى الأرض ثم تستطع نحو السماء كالعمود (فِيهِ) فى الإعصار وارتفع (نَارٌ) بالظرف إذ جرى الظرف وصفا لإعصار (فَاحْتَرَقَتْ) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة (كَذَٰلِكَ) كهذا البيان الذى بين فيما تقدم (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) فى التوحيد والدين (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) فتنتبهوا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة فى أموال التجارة (وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ) ولا تقصدوا المال الردىء (مِنْهُ تُنْفِقُونَ) تخصونه بالإنفاق وهو فى محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة (وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ) وحالكم أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ) إلا بأن تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن صدقاتكم (حَمِيدٌ) مستحق للحمد أو محمود (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ) فى الإنفاق (الْفَقْرَ) ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا والوعد يستعمل فى الخير والشر (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ) فى الإنفاق (مَغْفِرَةً مِنْهُ) لذنوبكم وكفارة لها (وَفَضْلًا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه فى الآخرة (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) يوسع على من يشاء (عَلِيمٌ) بأفعالكم ونياتكم (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ) ومن يؤت يعقوب أى ومن يؤته الله الحكمة (فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) تنكير تعظيم أى أوتى خيرا أى خير كثير (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا

الألْبَٰبِ) وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الإنفاق (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ) فى سبيل الله أو فى سبيل الشيطان (أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ) فى طاعة الله أو فى معصيته (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو ينذرون فى المعاصى أو لا يفون بالنذور (مِنْ أَنصَارٍ) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ) فنعم شيئا إبداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعما هى بكسر النون وإسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم (وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ) وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء (فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) فالإخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر فى الفرائض أفضل لنفى التهمة حتى إذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل (وَيُكَفِّرُ) بالنون وجزم الراء مدنى وحمزة وعلى بالياء ورفع الراء شامى وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ) والنون على معنى نحن نكفر (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الإبداء والإخفاء (خَبِيرٌ) عالم (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك إلى الله (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) من مال (فَلِأَنفُسِكُمْ) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أى رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله إلى الله أو هذا نفى معناه النهى أى ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه

وأجلها (وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ولا تنقصون كقوله: ولم تظلم منه شيئا. أى لم تنقص الجار فى (لِلْفُقَرَاءِ) متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الصدقات للفقراء (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هم الذين أحصرهم الجهاد فنعهم من التصرف (لَا يَسْتَطِيعُونَ) لاشتغالهم به (ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) بحالهم يحسبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الأعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) إلحاحا قيل هو نفى السؤال والإلحاح جميعا كقوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * يريد نفى المنار والاهتداء به والإلحاح هو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشىء يعطاه وفى الحديث «إن الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السآل الملحف» وقيل معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) لا يضيع عنده (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) هما حالان أى مسرين ومعلنين يعنى يعممون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية أو فى على رضى الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع (لَا يَقُومُونَ) إذا بعثوا من قبورهم (إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ) أى المصروع لأنه تخبط فى المعاملة فجوزى على المقابلة، والخبط:

الضرب على غير استواء كخبط العشواء (مِنَ الْمَسِّ) من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم إلا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض (ذَٰلِكَ) العقاب (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَالُوٓا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا) ولم يقل إنما الربا مثل البيع مع أن الكلام فى الربا لا فى البيع لأنه جيء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا) إنكار لتسويتهم بينهما إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه (فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فَانتَهَىٰ) فتبع النهى وامتنع (فَلَهُۥ مَا سَلَفَ) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم (وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به (وَمَنْ عَادَ) إلى استحلال الربا عن الزجاج أو إلى الربا مستحلا (فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخليد الفساق (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا) يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (وَيُرْبِى الصَّدَقَٰتِ) ينميها ويزيدها أى يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث «مانقصت زكاة من مال قط» (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) عظيم الكفر باستحلال الربا (أَثِيمٍ) متماد فى الإثم بأكله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَوٰا) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روى أنها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل

بالمال والربا (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) كاملى الإيمان فإن دليل كماله امتثال المأمور به (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم يؤيده قراءة الحسن فأيقنوا فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لأن هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وَإِن تُبْتُمْ) من الارتباء (فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ) المديونين بطلب الزيادة عليها (وَلَا تُظْلَمُونَ) بالنقصان منها (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ) وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو إعسار (فَنَظِرَةٌ) فالحكم أو فالأمر نظرة أى إنظار (إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وَأَن تَصَدَّقُوا) بالتخفيف عاصم أى تتصدقوا برءوس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف إحدى التاءين والتشديد على الإدغام (خَيْرٌ لَّكُمْ) فى القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام «لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة» (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ) ترجعون أبو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هى آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً أو احداً وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات (ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) أى جزاء ما كسبت (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقصان الحسنات وزيادة السيآت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ) أى إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذاً (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج وإنما احتيج إلى ذكر الدين ولم يقل إذا تداينتم إلى أجل مسمى ليرجع الضمير إليه فى قوله (فَاكْتُبُوهُ) إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال وإنما أمر بكتابة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والأمر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الأجل فى السلم (وَلْيَكْتُب

بَيْنَكُمْ) بين المتداينين (كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) هومتعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه دليل أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ) ولا يمتنع واحد من الكتاب (أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بأن يكتب (فَلْيَكْتُبْ) تلك الكتابة لا يعدل عنها (وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) ولا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته وإقراره به فيكون ذلك إقراراً على نفسه بلسانه والإملال والإملاء لغتان (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الإملاء فيكون جحوداً لكل حقه (وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا) ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئاً فى الإملاء فيكون جحوداً لبعض حقه (فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا) أى مجنوناً لأن السفه خفة فى العقل أو محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أَوْ ضَعِيفًا) صبياً (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ) لعى به أو خرس أو جهل باللغة (فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ) الذى يلى أمره ويقوم به (بِالْعَدْلِ) بالصدق والحق (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (مِنْ رِجَالِكُمْ) من رجال المؤمنين. والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا) فإن لم يكن الشهيدان (رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على أن غير المرضى شاهد (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) لأجل أن تنسى إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى إن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله: ومن عاد فينتقم الله منه. فتذكر بالنصب مكى وبصرى من الذكر لا من الذكر (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) لأداء الشهادة أو للتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالأول للفرض والثانى للندب (وَلَا تَسْأَمُوا) ولا تملوا قال الشاعر:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

والضمير فى (أَنْ تَكْتُبُوهُ) للدين أو الحق (صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا) على أى حال كان الحق

من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم فى الثياب لأن مايكال أو يوزن لايقال فيه الصغير والكبير وإنما يقال فى الذرعى ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصراً أو مشبعاً أو (إِلَى أَجَلِهِ) إلى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذَٰلِكُمْ) إشارة إلى أن تكتبوه لأنه فى معنى المصدر أى ذلك الكتب (أَقْسَطُ) أعدل من القسط وهو العدل (عِندَ اللَّهِ) ظرف لأقسط (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) وأعون على إقامة الشهادة وبنى أفعلا التفضيل أى أقسط وأقوم من أقسط وأقام على مذهب سيبويه (وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا) وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك فى المقدار والصفات وإذا رجعوا إلى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واو لأنه من الدنو (إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً) عاصم أى إلا أن تكون التجارة تجارة أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة أى إلا أن تقع تجارة حاضرة أو هى ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تُدِيرُونَهَا) وقوله (بَيْنَكُمْ) ظرف لتديرونها ومعنى إدارتها بينهم تعاطيها يداً بيد (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا) يعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزاً يداً بيد فلا بأس أن لاتكتبوها لأنه لايتوهم فيه مايتوهم فى التداين (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزاً أو كالئا لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة والأمر للندب (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارِر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولايضارَر والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى مايطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزاً أولا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وَإِن تَفْعَلُوا) وإن تضاروا (فَإِنَّهُ) فإن الضرار (فُسُوقٌ بِكُمْ) مأثم (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى مخالفة أوامره (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) شرائع دينه (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لايلحقه سهو ولا قصور (وَإِن كُنتُمْ) أيها المتداينون (عَلَىٰ سَفَرٍ) مسافرين (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ) فرهان مكى وأبو عمرو أى فالذى يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن فى الأصل مصدر سمى به ثم كسر تكسير الأسماء وله

كان السفر مظنة لأعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد لاأن السفر شرط تجوير الارتهان وقوله (مَّقْبُوضَةٌ)يدل على اشتراط القبض لا كمازعم مالك أن الرهن يصح بالإيجاب والقبول بدون القبض (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا) فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ) دينه والائتمن افتعل من الأمن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وأن يؤدى إليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عنه بترك الارتهان منه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) فى إنكار حقه (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ) هذا خطاب للشهود (وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه أو بالابتداء وآثم خبره مقدم والجملة خبر إن وإنما أسند إلى القلب وحده والجملة هى الآثمة لا القلب وحده لأن كتمان الشهادة أن يضمرها فى القلب ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى ولأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التى إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من كتمان الشهادة وإظهارها (عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شىء (لِّلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) خلقا وملكا (وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ) يعنى من السوء (يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) يكافئكم ويجازيكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الإنسان لأن ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن مااعتقده وعزم عليه والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فأما إذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع ليس باختياره فإنه لا يعاقب على ذلك

عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام «إن الله عفا عن أمتى ما حدثت به أنفسها مالم تعمل أوتتكلم به» والجمهور على أن الحديث فى الخطرة دون العزم وأن المؤاخذة فى العزم ثابتة وإليه مال الشيخ أبومنصور وشمس الأئمة الحلوانى رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة. الآية وعن عائشة رضى الله عنها ماهم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا وفى أكثر التفاسير أنه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ماحدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول إلى قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفى بعضها أنها نسخت بهذه الآية والمحققون على أن النسخ يكون فى الأحكام لا فى الأخبار (فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) برفعهما شامى وعاصم أى فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالإدغام أبو عمرو وكذا فى الإشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن أبى عمر مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس فى العربية ما يؤذن بجهل عظيم (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قَدِيرٌ) قادر (ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ) إن عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى (كُلٌّ) راجعا إلى الرسول والمؤمنون أى كلهم (ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ) ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر الأول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلى يعنى القرآن أو الجنس (لَا نُفَرِّقُ) أى يقولون لانفرق بل نؤمن بالكل (بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ) أحد فى معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وَقَالُوا سَمِعْنَا) أجبنا قولك (وَأَطَعْنَا) أمرك (غُفْرَانَكَ) أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع وفيه إقرار بالبعث والجزاء والآية

تدل على بطلان الاستثناء فى الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب الكبائر (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا) يحكى عنهم أو مستأنف (إِلَّا وُسْعَهَا) إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لايرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف كذا فى شرح التأويلات وقال صاحب الكشاف الوسع مايسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان فى طاقة الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال للانكماش والعس تنكمش فى الشر وتتكلف للخير (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أَوْ أَخْطَأْنَا) ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ خلافا للمعتزلة لإمكان التحرز عنهما فى الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) عبء يأصر حامله أى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك (كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا) كاليهود (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) من العقوبات النازلة بمن قبلنا (وَاعْفُ عَنَّا) امح سيئاتنا (وَاغْفِرْ لَنَا) واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالأول للكبائر والثانى للصغائر (وَارْحَمْنَا) بتثقيل ميزاننا مع إفلاسنا أو الأول من المسخ والثانى من الخسف والثالث من الغرق (أَنتَ مَوْلَانَا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولى أمورنا (فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فمن حق المولى أن ينصر عبيده فى الحديث «من قرأ آمن الرسول إلى آخره فى ليلة كفتاه» وفيه «من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل» ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روى عن على رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة والله أعلم .

سورة آل عمران نزلت بالمدينة وهى مائتا آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الٓمٓ اللَّهُ) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعنى سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالى الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها إذ لو كان كذلك لوجب فتحها فى حم ولا يصح أن يقال إن فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت إلى الميم لأن تلك الهمزة همزة وصل تسقط فى الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز إثباتها وإثباتها غير جائز وأسكن يزيد والأعشى الميم وقطعا الألف والباقون بوصل الألف وفتح الميم والله مبتدأ (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا إله فى الوجود إلا هو وهو فى موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحى أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت (نَزَّلَ) أى هو نزل (عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (بِالْحَقِّ) حال أى نزله حقا ثابتا (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) لما قبله (وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ) هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين وإنما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (مِن قَبْلُ) من قبل القرآن (هُدًى لِّلنَّاسِ) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس (وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) أى جنس الكتب لأن الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) من كتبه المنزلة وغيرها (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ) أى فى العالم فعبر عنه بالسماء والأرض أى هو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ) من الصور المختلفة (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ) فى سلطانه (الْحَكِيمُ) فى تدبيره روى أنه لما قدم وفد بنى نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة

فاسموا فى أن عيسى إن لم يكن ولدا لله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا أن الله تعالى حى لايموت وعيسى يموت وأن ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لايقدر على ذلك وانه لايخفى عليه شىء فى الأرض ولافى السماء وعيسى لايعلم إلا ماعلم وإنه صور عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية (هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (مِنْهُ) من الكتاب (ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها (وَأُخَرُ) وآيات أخر (مُتَشَٰبِهَٰتٌ) مشتبهات محتملات. مثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولايجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شىء أو المحكم ما أمر الله به فى كل كتاب أنزله نحو قوله : قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الآيات، وقضى ربك ألاتعبدوا إلا إياه. الآيات والمتشابه ماوراءه أو مالا يحتمل إلا وجها واحداً وما احتمل أوجها أو ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله أو الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لايعمل به وإنما لم يكن كل القرآن محكما لما فى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم والقرائح فى استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل مايذهب إليه المبتدع مما لايطابق المحكم ويحتمل مايطابقه من قول أهل الحق (مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ) وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) أى لايهتدى إلى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه إلا الله(وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله إلا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور أفهام

البشر عن الوقوف على مالم يجعل لهم إليه سبيلا ويعضده قراءة أبى ويقول الراسخون وعبدالله إن تأويله إلا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أى بالمتشابه أو بالكتاب (كُلٌّ) من متشابهه ومحكمه (مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه (وَمَا يَذَّكَّرُ) وما يتعظ وأصله يتذكر (إِلَّآ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) لا تملها عن الحق بخلق الميل فى القلوب (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أى قولوها وكذلك التى بعدها وهى (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ) أى تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم (لَّا رَيْبَ فِيهِ) لا شك فى وقوعه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) الموعد والمعنى أن الإلهية تنافى خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله أى لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) برسول الله (لَن تُغْنِيَ) تنفع أو تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا) من الأشياء (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) حطبها (كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) الدأب مصدر دأب فى العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغنى أى لن تغنى عنهم مثل مالم تغن عن أولئك كداب بلا همز حيث كان أبو عمرو (كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أى قد كذبوا (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أى جازيته عليه (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) شديد عقابه فالإضافة غير محضة (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) هم مشركو مكة (سَتُغْلَبُونَ) يوم بدر (وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) من الجهنام وهى بئر عميقة .وبالياء فيهما حمزة وعلى(وَبِئْسَ الْمِهَادُ) المستقر جهنم (قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ) الخطاب لمشركى قريش (فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا) يوم بدر (فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) وهم المؤمنون

(وَأُخْرَىٰ) وفئة أخرى (كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ) يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم . ترونهم نافع أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة أومثلى أنفسهم ولايناقض هذا ماقال فى سورة الأنفال ويقللكم فى أعينهم لأنهم قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان . وقفوهم إنهم مسؤلون . وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة وإظهار الآية . ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله (رَأْيَ الْعَيْنِ) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لالبس فيها (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى أعين العدو (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فى تكثير القليل (لَعِبْرَةً) لعظة (لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) لذوى البصائر (زُيِّنَ لِلنَّاسِ) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله: إنا جعلنا ما على الأرض زينة لنبلوهم . دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن: الشيطان (حُبُّ الشَّهَوَاتِ) الشهوة توقان النفس إلى الشىء ، جعل الأعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة أوكأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (مِنَ النِّسَاءِ) والإماء داخلة فيها (وَالْبَنِينَ) جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والإناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون فى الطباع والمعدون للدفاع (وَالْقَنَاطِيرِ) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (الْمُقَنطَرَةِ) المنضدة أو المدفونة (مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالإنفاق وفضة لأنها تتفرق بالإنفاق والفض التفريق (وَالْخَيْلِ) سميت به لاختيالها فى مشيها (الْمُسَوَّمَةِ) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (وَالْأَنْعَامِ) هى الأزواج الثمانية (وَالْحَرْثِ) الزرع (ذَٰلِكَ) المذكور (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع بها فى الدنيا (وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) المرجع ثم زهدهم فى الدنيا فقال (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ) من التى تقدم (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ماهو خير من ذلكم لجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره

(تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ) أى رضا الله (وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ) عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات (الَّذِينَ يَقُولُونَ) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد (رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا) إجابة لدعوتك (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) إنجازاً لوعدك (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)بفضلك(الصَّـٰبِرِينَ) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (وَالصَّـٰدِقِينَ) قولا باخبار الحق وفعلا بإحكام العمل ونية بإمضاء العزم (وَالْقَـٰنِتِينَ) الداعين أو المطيعين (وَالْمُنفِقِينَ) المتصدقين (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) المصلين أو طالبين المغفرة وخص الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء ولأنه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يابنى لا يكن الديك أكيس منك ينادى بالأسحار وأنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كما لهم فى كل واحدة منها وللاشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح (شَهِدَ اللَّهُ) أى حكم أو قال (أَنَّهُ) أى بأنه (لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ) بمـا عاينوا من عظيم قدرته (وَأُوْلُوا الْعِلْمِ) أى الأنبياء والعلماء (قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ) مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو، وإنما جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرورا كبا لم يجز لعدم الالباس فإنك لو قلت جاءنى زيد وهندرا كبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح وكرر (لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ) للتأكيد (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)رفع على الاستئناف أى هو العزيز وليس بوصف لهو لأن الضمير لايوصف يعنى أنه العزيز الذى لايغالب الحكيم الذى لايعدل عن الحق (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَـٰمُ) جملة مستأنفة وقرئ أن الدين على البدل من قوله أنه لا إله إلا هو أى شهد الله أن الدين عند الله الإسلام قال عليه السلام «من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة إن لعبدى عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة» (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ) أى أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام

وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير بن الله (إِلاَّ مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ) أنه الحق الذى لامحيد عنه (بَغْياً بَيْنَهُمْ) أى ما كان ذلك الاختلاف إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لاشبهة فى الإسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعدما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله (وَمَن يَكْفُرْ بِئَايَٰتِ ٱللَّهِ) بحججه ودلائله (فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) سريع المجازاة (فَإِنْ حَآجُّوكَ) فإن جادلوك فى أن دين الله الإسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ) أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعنى أن دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشىء بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه: قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ) عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت أنا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والأعشى والبرجمى (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ) من اليهود والنصارى (وَٱلْأُمِّيِّۦنَ) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (ءَأَسْلَمْتُمْ) بهمزتين كوفى يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يقتضى حصول الإسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الأمر أى أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون أى انتهوا (فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوا) فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى (وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ) أى لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ) فيجازيهم على إسلامهم وكفرهم (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِئَايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الأنبياء (بِغَيْرِ حَقٍّ) حال مؤكدة لأن قتل النبى لايكون حقا (وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ) ويقاتلون حمزة (بِٱلْقِسْطِ) بالعدل (مِنَ ٱلنَّاسِ) أى سوى الأنبياء قال عليه السلام «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة

فقام مائة واثناعشر رجلا من عباد بنى إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم» (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) دخلت الفاء فى خبر إن لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لأن إن لا تغير معنى الابتداء فهى للتحقيق فكأن دخولها كلا دخول ولوكان مكانها ليت أولعل لامتنع دخول الفاء (أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) أى ضاعت (فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) جمع لوفق رءوس الآى وإلا فالواحد النكرة فى النفى يعم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان (يُدْعَوْنَ) حال من الذين (إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ) أى التوراة أو القرآن (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أوليحكم النبى روى أنه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على أى دين أنت قال النبى عليه السلام على ملة ابراهيم قالا إن ابراهيم كان يهوديا قال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا (ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب (وَهُم مُّعْرِضُونَ) وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) أى ذلك التولى والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل وهى أربعون يوما أوسبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره (وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أى غرهم افتراؤهم على الله وهوقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا إلا مدة يسيرة (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ) فكيف يكون حالهم فى ذلك الوقت (لَّا رَيْبَ فِيهِ) لا شك فيه (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) جزاء ما كسبت (وَهُمْ) يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه فى معنى كل الناس (لَا يُظْلَمُونَ) بزيادة فى سيئاتهم ونقصان فى حسناتهم (قُلِ اللَّهُمَّ) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى ياألله وبالتفخيم (مَالِكَ الْمُلْكِ) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أى يامالك الملك (تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك (وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ) أى تنزعه

فالملك الأول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل . روى أنه عليه السلام حين فتح مكة وعدأمته ملك فارس والروم قالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت (وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ) بالملك (وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ) بنزعه منه (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) أى الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر أولأن الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه إلى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك (إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ولا يقدر على شىء أحد غيرك إلا بإقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة. قال عليه السلام «ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يومافيوما» أوملك قيام الليل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتذل بأضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) فالإيلاج إدخال الشىء فى الشىء وهو مجاز هنا أى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) الحيوان من النطفة أو الفرخ من البيضة أو المؤمن من الكافر (وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) النطفة من الإنسان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن (وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وإن كان معلوما عنده ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى، فإن العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة، وإن العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام « كما تكونوا يولى عليكم الحى من الميت والميت من الحى» بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى غير أبى بكر (لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك وقد كرر ذلك فى القرآن والحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم فى الإيمان (مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)

يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ) أى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شىء لأن موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان (إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَـٰةً) إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أى إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة (وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) أى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ) أى مصيركم إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر (قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ) من ولاية الكفار أوغيرها مما لا يرضى الله (يَعْلَمْهُ اللهُ) ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أى هو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيكون قادرا على عقوبتكم (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) يوم منصوب بتود والضمير فى بينه لليوم أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أى مسافة بعيدة أو باذكر ويقع تجد على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود، ثم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد أن الرفع شاذ وكرر قوله (وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى: إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم. ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ) محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأنس به وقيل هى اتباع النبى عليه السلام فى

أقواله وأفعاله وأحواله إلا ماخص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكير كثير الخلوة دائم الصمت لايبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) قيل هى علامة المحبة (فَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أى فإن تتولوا (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى لايحبهم (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ) اختار (ءَادَمَ) أباالبشر (وَنُوحًا) شيخ المرسلين (وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ) اسماعيل وإسحق وأولادهما (وَءَالَ عِمْرَانَ) موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (عَلَى الْعَالَمِينَ) على عالمى زمانهم (ذُرِّيَّةً) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ) مبتدأ وخبره فى موضع النصب صفة لذرية يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل فى آل ابراهيم رسول الله ﷺ وقيل بعضها من بعض فى الدين (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (إِذْ قَالَتِ) وإذ منصوب به أو بإضمار اذكر (امْرَأَتُ عِمْرَانَ) هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ) أوجبت (مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) هو حال من ما وهى بمعنى الذى أى معتقا لخدمة بيت المقدس لايد لى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أى خالص (فَتَقَبَّلْ مِنِّي) منىَّ مدنى وأبو عمرو، والتقبل: أخذ الشىء على الرضا به (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا) الضمير لما فى بطنى وإنما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ) أنثى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وإنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت إلى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشىء الذى وضعت وما علق به من عزائم الأمور وضعتُ شامى وأبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الأول يوقف

عندقوله أنثى وقوله: والله أعلم بما وضعت. ابتداء إخبار من الله تعالى (وَلَيْسَ الذَّكَرُ) الذى طلبت (كَالأُنْثَىٰ) التى وهبت لها واللام فيهما للعهد (وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) معطوف على إنى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وإنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وَإِنِّى) وإنى مدنى (أُعِيذُهَا بِكَ) أجيرها (وَذُرِّيَّتَهَا) أولادها (مِنَ الشَّيْطَٰنِ الرَّجِيمِ) الملعون فى الحديث «مامن مولود يولد إلاوالشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها» (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بِقَبُولٍ حَسَنٍ) قيل القبول اسم مايقبل به الشىء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك أوبأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة. روى أن حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رءوس بنى اسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى أختها فقالوا لاحتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص (وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ماكانت ثمرتهُ مثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التصدير فنبتت نباتا (وَكَفَّلَهَا) وكفلها: قبلها أوضمن القيام بأمرها. وكفّلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زَكَرِيَّا) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا. غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى: دائم الذكر والتسبيح (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لايدخل عليها إلاهو وحده (وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم

ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا) من أين لك هذا الرزق الذى لايشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ) فلاتستبعد. قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هُنَالِكَ) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولدأمها حنة فى الكرامة على الله وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً) ولداً والذرية يقع على الواحد والجمع (طَيِّبَةً) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ) مجيبه (فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ) قيل ناداه جبريل عليه السلام وإنما قيل الملائكة لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والإمالة حمزة وعلى (وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ) وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات، وقال ابن عطاء مافتح الله تعالى على عبد حالة سنية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (أَنَّ اللَّهَ) بكسر الألف شامى وحمزة على إضمار القول أو لأن النداء قول. الباقون بالفتح أى بأن الله (يُبَشِّرُكَ) يبشرك وما بعده حمزة وعلى من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بِيَحْيَىٰ) هو غير منصرف إن كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مُصَدِّقًا) حال منه (بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) أى مصدقاً بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة الله لأن تكونه بكن بلا أب أو مصدقاً بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وَسَيِّدًا) هو الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لأنه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون (وَحَصُورًا) هو الذى لايقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أى منعها من الشهوات (وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ) ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة الصالحين (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ) استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك (وَقَدْ بَلَغَنِىَ

الْكِبَرُ) كقولهم أدركته السن العالية أى أثر فى الكبر وأضعفنى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ) لم تلد (قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الأفعال العجيبة (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّى) لِىَ مدنى وأبو عمرو (ءَايَةً) علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة بالشكر إذا جاءت (قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى لا تقدر على تكليم الناس (ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا) إلا إشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك واشتقى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لأنه لما أدّى مؤدّى الكلام وفهم منه مايفهم منه سمى كلاما أو هو استثناء منقطع وإنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة عن تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ) أى فى أيام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة والأدلة الظاهرة وإنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشى من حين الزوال إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى (وَإِذْ) عطف على إذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر إذ (قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ) روى أنهم كلموها شفاها(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَٰكِ)أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وَطَهَّرَكِ) مما يستقذر من الأفعال (وَاصْطَفَٰكِ) آخرا (عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء (يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ) أديمى الطاعة أو أطيلى قيام الصلاة (وَاسْجُدِى) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ) أى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة أو وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) يعنى أن ذلك من الغيوب التى لم تعرفها إلا بالوحى(وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين أو هى الأقلام التى كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها(أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون (وَمَا كُنتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها (إِذْ قَالَتِ الْمَلَـٰئِكَةُ) أى اذكر (يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ) أى بعيسى (مِّنْهُ) فى موضع جر صفة لكلمة (اسْمُهُ) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر (الْمَسِيحُ) خبره والجملة فى موضع جر صفة لكلمة. والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله: وجعلنى مباركا أينما كنت. وقيل سمى مسيحا لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لايستوطن مكانا (عِيسَى) بدل من المسيح (ابْنُ مَرْيَمَ) خبر مبتدأ محذوف أى هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأن اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وإنما قال ابن مريم إعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه (وَجِيهًا)ذاجاه وقدر (فِى الدُّنْيَا) بالنبوة والطاعة (وَالْآخِرَةِ) بعلو الدرجة والشفاعة (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) برفعه إلى السماء، وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أى وثابتا من المقربين وكذا (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ) أى ومكلما الناس (فِى الْمَهْدِ) حال من الضمير فى يكلم أى ثابتا فى المهد وهو ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر (وَكَهْلًا) عطف عليه أى ويكلم الناس طفلا وكهلا أى يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحالة الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء (وَمِنَ الصَّـٰلِحِينَ) حال أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات (قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) أى إذا قدر تكون شىء كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن إخبارا عن سرعة تكون الأشياء بتكوينه (وَيُعَلِّمُهُ) مدنى وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها. الباقون بالنون على أنه كلام مبتدأ (الْكِتَـٰبَ) أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله (وَالْحِكْمَةَ) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة : البيان باللسان (وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا) أى ونجعله رسولا أو يكون فى موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا (إِلَىٰ بَنِى إِسْرَٰءِيلَ أَنِّى) بأنى (قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) بدلالة تدل على صدق فيما أدعيه من النبوة (أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم إنى نافع

على الاستئناف (مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) أى أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير (فَأَنفُخُ فِيهِ) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فَيَكُونُ طَيْرًا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (بِإِذْنِ اللهِ) بأمره قيل لم يخلق شيئا غير الخفاش (وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ) الذى ولد أعمى (وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ) كرر بإذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى أنه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون إليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويافلان خبئ لك كذا وهو قوله (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ) وما فيهما بمعنى الذى أو مصدرية (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) فيما سبق (لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ) أى قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) رد على قوله بآية من ربكم أى جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم. وماحرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الإبل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك (وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) كرر للتأكيد (فَاتَّقُوا اللهَ) فى تكذيبى وخلافى (وَأَطِيعُونِ) فى أمرى (إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ) إقرار بالعبودية ونفى للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فَاعْبُدُوهُ) دونى (هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) يؤدى صاحبه إلى النعيم المقيم (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ) علم من اليهود كفرا علما لاشبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ) أنصارى مدنى وهو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف (إِلَى اللهِ) يتعلق بمحذوف حال من الياء أى من أنصارى ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) حوارى الرجل صفوته وخاصته (نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ) أعوان دينه (ءَامَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ) ياعيسى (بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد (رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) أى رسولك عيسى (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ) مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية أو مع أمة محمد عليه السلام لأنهم شهداء على الناس (وَمَكَرُوا) أى كفار بنى إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه (وَمَكَرَ اللهُ) أى جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء لأنه

مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَٰكِرِينَ) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (إِذْ قَالَ اللَّهُ) ظرف لمكر الله (يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ) أى مستوفى أجلك ومعناه أنى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (وَرَافِعُكَ إِلَىَّ) إلى سمائى ومقر ملائكتى (وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن إذ الواو لا توجب الترتيب قال النبى عليه السلام «ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها» أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ) أى المسلمين لأنهم متبعوه فى أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا) بك (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الأحوال بها وبالسيف (ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ) فى الآخرة (فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ (نَتْلُوهُ عَلَيْكَ) خبره (مِنَ الْآيَٰتِ) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) القرآن يعنى المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ) أى إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع أن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له

قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن) أى أنشأه بشرا (فَيَكُونُ) أى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق (فَلَا تَكُن) أيها السامع (مِّنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي ﷺ ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لأنه عليه السلام معصوم من الامتراء (فَمَنْ حَاجَّكَ) من النصارى (فِيهِ) فى عيسى (مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى (فَقُلْ تَعَالَوْا) هلموا والمراد المجئ بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة (ثُمَّ نَبْتَهِلْ) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا روى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبي مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلىّ خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى فقالوا ياأبا القاسم رأينا أن لا نباهلك فصالحهم النبي على ألفى حلة كل سنة فقال عليه السلام «والذى نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير» وإنما ضم الأبناء والنساء وإن كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لأن ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته إن تمت

المباهلة . وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الأنفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك (فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَٰذِبِينَ) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع (إِنَّ هَٰذَا) الذى قص عليك من نبأ عيسى (لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) هو فصل بين اسم إن وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر إن وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن فى (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ) بمنزلة البناء على الفتح فى لا إله إلا الله فى إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) فى الانتقام (الْحَكِيمُ) فى تدبير الأحكام (فَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا ولم يقبلوا (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله: زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون . (قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ) هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ) أى مستوية (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) يعنى تعالوا إليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال «أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم» قال نعم قال «هو ذاك» (فَإِن تَوَلَّوْا) عن التوحيد (فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع: اعترف بأنى أنا الغالب وسلم إلى الغلبة (يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَىٰةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦ) زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ) هاللتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حَٰجَجْتُمْ) جملةمستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى .وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ) مما نطق به التوراة والإنجيل (فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته هاأنتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) علم ما حاججتم فيه (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بأنه برىء من دينهم فقال (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ) إن أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) فى زمانه وبعده (وَهَٰذَا النَّبِيُّ) خصوصاً خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) من أمته (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ناصرهم (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ) وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله ﷺ وغيرها (وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق (يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَٰطِلِ) تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد ﷺ (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ) نعت محمد عليه السلام (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ) فيما بينهم (ءَامِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى القرآن (وَجْهَ النَّهَارِ) ظرف أى أوله يعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ) واكفروا به آخره (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) لعل المسلمين يقولون مارجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ) ولا تؤمنوا متعلق بقوله (أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ) وما

بينهما اعتراض أى ولاتظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ماأوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام (أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ) عطف على أن يوتى والضمير فى يحاجوكم لأحد لأنه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم أى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله أن يؤتى لأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لالشىء آخر يعنى أن ما بكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ماقلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام بمعنى الآن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم مادبرتم لأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم أولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) أى واسع الرحمة (عَلِيمٌ) بالمصلحة (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ) بالنبوة أو بالإسلام (مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه إليه (وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) إلا مدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه ملازما له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلس أبو عمرو فى رواية. غيرهم بسكون الهاء (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ترك الأداء الذى دل عليه لا يؤده (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) أى تركهم أداء الحقوق

بسبب قولهم ليس علينا فى الأميين سبيل أى لايتطرق علينا إثم وذم فى شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسو على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم (وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) بادعائهم أن ذلك فى كتابهم (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (بَلَىٰ) إثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الأميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع إلى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى من ويدخل فى ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت فى عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير إلى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) يستبدلون (بِعَهْدِ اللهِ) بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم (وَأَيْمَٰنِهِمْ) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثَمَنًا قَلِيلًا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير فى بعهده إلى الله (أُولَٰئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى الْأَخِرَةِ) أى لانصيب (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ) بما يسرهم (وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) نظر رحمة (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) ولا يثنى عليهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَإِنَّ مِنْهُمْ) من أهل الكتاب (لَفَرِيقًا) هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وغيرهم (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ) يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف واللىُّ الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ونحو ذلك والضمير فى (لِتَحْسَبُوهُ) يرجع إلى مادل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (مِنَ الْكِتَٰبِ) أى التوراة (وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ) وليس هو من التوراة

(وَيَقُولُونَ هوَ مِنْ عِندِ اللهِ) تأكيد لقوله وماهو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال: «لاينبغى أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله» (وَالْحُكْمَ) والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء (وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ) عطف على يؤتيه (لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الربانى العالم العامل (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ) كوفى وشامى أى غيركم غيرهم بالتخفيف (وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) أى تقرءون والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير (وَلَا يَأْمُرَكُمْ) بالنصب عطفاً على ثم يقول ووجهه أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهيننى ولا يستخفنى وبالرفع حجازى وأبو عمرو وعلى على ابتداء الكلام والهمزة فى (أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ) للإنكار والضمير فى لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله وقوله (بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك أو المراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف واللام فى (لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) لام التوطئة لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وفى لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى

الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذى آتيتكموه لتؤمنن به (ثُمَّ جَآءَكُمْ) معطوف على الصلة والعائد منه إلى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ) للكتاب الذى معكم (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ) بالرسول (وَلَتَنصُرُنَّهُۥ) أى الرسول وهو محمد ﷺ لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذى أو مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أنى آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذى آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتينا كم مدنى (قَالَ) أى الله (ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى) أى قبلتم عهدى وسمى إصرا لأنه مما يؤصر أى يشد ويعقد (قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا) فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار (وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ) وأنا معكم على ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمان بالنبى الجائى (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) المتمردون من الكفار (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ) دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذى هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل (يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ) الملائكة (وَالْأَرْضِ) الإنس والجن (طَوْعًا) بالنظر فى الأدلة والإنصاف من نفسه (وَكَرْهًا) بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده. وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) فيجازيكم على الأعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء فى الثانى وفتح الجيم أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما (قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا) أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذا وحد الضمير فى قل وجمع فى آمنا أو أمر بأن يتكلم

من نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين إذ الوحى ينزل من فوق وينتهى إلى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب فى البقرة للأمة لقوله قولوا فلم يصح إلا إلى لأن الكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أمتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لأن الكتب منزلة عليه لا شركة للأمة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء (وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ) كرر فى البقرة وما أوتى ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال لما آتيتكم (مِن رَّبِّهِمْ) من عند ربهم (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) فى الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى (وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ) يعنى التوحيد وإسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام (دِينًا) تمييز (فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ) من الذين وقعوا فى الخسران ونزل فى رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة (كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ) والواو فى (وَشَهِدُوٓا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ) للحال وقد مضمرة أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول أى محمدا حق أو للعطف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا (وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ) أى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ) أى ماداموا مختارين الكفر أولا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفارا (أُو۟لَٰٓئِكَ) مبتدأ (جَزَآؤُهُمْ) مبتدأ ثان خبره (أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ) وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَٰلِدِينَ) حال من الهاء والميم فى عليهم (فِيهَا) فى اللعنة (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ) الكفر العظيم والارتداد (وَأَصْلَحُوا) ما أفسدوا أو دخلوا فى الصلاح (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لكفرهم (رَّحِيمٌ) بهم ونزل فى اليهود (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعيسى والإنجيل (بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ) بموسى والتوراة (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) بمحمد ﷺ والقرآن أو كفروا برسول الله ﷺ بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت أو نزل فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة. وازديادهم

الـكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) أى إيمانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى : فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الْأَرْضِ) الفاء فى فلن يقبل يؤذن بأن الـكلام بنى على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الـكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بأن الـكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذَهَبًا) تمييز (وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ) أى فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا قال عليه السلام « يقال للـكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهباً كنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك » قيل الواو لتأكيد النفى (أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) معينين دافعين للعذاب (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ) لن تبلغوا حقيقة البر أو لن تكونوا أبرارا أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) حتى تكون نفقتكم من أموالـكم التى تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب وإلى الرب بالتخلى عن الـكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم إلا ببركم بإخوانكم والحاصل أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشترى أعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لأن السكر أحب إلىّ فأردت أن أنفق مما أحب (وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) أى هو عليم بكل شىء تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الأولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أى من أى شىء كان الإنفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبى عليه السلام إنك تدعى أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال عليه السلام « كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله » فقالت اليهود إنها لم تزل محرمة فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كُلُّ الطَّعَامِ) أى المطعومات التى فيها النزاع فإن منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) أى حلالا وهو مصدر يقال حل الشىء حلا ولذا استوى فى صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى: لاهن

حل لهم. (إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰءِيلُ) أى يعقوب (عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَىٰةُ) وبالتخفيف مكى وبصرى وهو لحوم الإبل وألبانها وكانا أحب الطعام إليه والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلا لبنى إسرائيل من قبل إنزال التوراة سوى ماحرم إسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الإبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ماحرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرءوا على إخراج التوراة وبهتوا . وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه (فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بزعمه أن ذلك كان محرما فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام (مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ) من بعدما لزمهم من الحجة القاطعة (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ) فى إخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) وهى ملة الإسلام التى عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه (حَنِيفًا) حال من إبراهيم أى مائلا عن الأديان الباطلة (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وفى الحديث إن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه إبراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام فى الأرض وقوله وضع للناس فى موضع جر صفة لبيت والخبر (لَلَّذِى بِبَكَّةَ) أى للبيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله (مُبَارَكًا) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات (وَهُدًى

لِلْعَـٰلَمِينَ) لأنه قبلتهم ومتعبدهم، ومباركا وهـدى حالان من الضمير فى وضع (فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ) علامات واضحات لا تلتبس على أحـد (مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد أولاشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آيةوإبقاؤه دونسائر آيات الأنبياءعليهم السلام آية لإبراهيم خاصة على أن(وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا) عطف بيانلآيات ـ وإن كان جملة ابتدائية أوشرطية ـ من حيث المعنى لأنه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام لإبراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الأحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام «حبب إلىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة» فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين وقيـل فى سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام : انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه، وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل فى الحل بقود أو ردة أوزنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لايؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار لقوله عليه السلام «من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار» وعنه عليه السلام «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة» وهما مقبرتا مكة والمدينة

وعنه عليه السلام «من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام» (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) أى استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفى غير أبى بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج (مَنِ) فى موضع جر على أنه بدل البعض من الكل (اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فسرها النبى عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير فى إليه للبيت أو للحج وكل مأتى إلى الشيء فهو سبيل إليه ولما نزل قوله تعالى: ولله على الناس حج البيت. جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال: «إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فنزل (وَمَن كَفَرَ) أى جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران أى ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفى هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد، منها اللام وعلى أى أنه حق واجب لله فى رقاب الناس، ومنها الإبدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولأن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له فى صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه ومافيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ) الصد المنع (عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ) عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الإسلام وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل (تَبْغُونَهَا) تطلبون لها نصب على الحال (عِوَجًا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها ونحو ذلك (وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ) أنها سبيل الله التى لا يصد عنها إلا ضال مضل (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن

تَطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ) قيل مر شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى عليه السلام فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال «أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم» بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب أى من أين يتطرق إليكم الكفر (وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ) والحال أن آيات الله وهى القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أو هو حث لهم على الالتجاء إليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم (فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أرشد إلى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو هو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام «القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم» (جَمِيعاً) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا بإجماع الأمة دليله (وَلَا تَفَرَّقُوا) أى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰناً) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة

والحروب فألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا إخوانا (وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) بالإسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى. والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لإضافته إلى الحفرة وشفا الحفرة: حرفها، ولامها واو فلهذا يثنى شفوان (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك البيان البليغ (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ) أى القرآن الذى فيه أمر ونهى ووعد ووعيد (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وما ينال به الثواب (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بما استحسنه الشرع والعقل (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء إلى الخير عام فى التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولأنه لا يصلح له إلا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته فإنه يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب قال الله تعالى: فأصلحوا بينهما. ثم قال: فقاتلوا. أو للتبيين أى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف. (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أى هم الأخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه» وعن على رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا) بالعداوة (وَاخْتَلَفُوا) فى الديانة وهم اليهود والنصارى فإنهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا (مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق (وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ونصب (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ) أى وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا (وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) أى وجوه الكافرين. والبياض من النور والسواد من الظلمة (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) فيقال لهم (أَكَفَرْتُم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبى وهو الظاهر أوهم المرتدون أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد إيمانكم ظاهرا أو أهل

الـكتاب وكفرهم بعدالإيمان تكذيبهم برسول الله ﷺ بعداعترافهم به قبل مجيئه (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ) ففى نعمته وهى الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ) الواردة فى الوعد والوعيد وغير ذلك (نَتْلُوهَا عَلَيْكَ) ملتبسة (بِالْحَقِّ) والعدل من جزاء المحسن والمسىء (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَٰلَمِينَ) أى لايشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد فى عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فيجازى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته ترجع شامى وحمزة وعلى . كان عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء ومنه قوله (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) كأنه قيل وجدتم خير أمة أو كنتم فى علم الله أوفى اللوح خير أمةأو كنتم فى الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به (أُخْرِجَتْ) أظهرت (لِلنَّاسِ) اللام يتعلق بأخرجت (تَأْمُرُونَ) كلام مستأنف بين به كونهم خيرأمة كماتقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم يبنت بالإطعام والإلباس وجه الكرم فيه (بِالْمَعْرُوفِ) بالإيمان وطاعة الرسول (وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) عن الكفر وكل محظور (وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وتدومون على الإيمان بهأولأن الواو لاتقتضى الترتيب (وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ) بمحمد عليه السلام (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم) لكان الإيمان خيرالهم مماهم فيه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولوآمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ماهوخيرمما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوا على الإيمان به من إيتاء الأجر مرتين (مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) كعبدالله بن سلام وأصحابه (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ) المتمردون فى الكفر (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) إلا ضررامقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أوتهديد أونحو ذلك (وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) منهزمين ولايضروكم بقتل أوأسر (ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولايمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهوابتداء إخبارمعطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم إذلو كان معطوفاعليه لقيل ثم لاينصروا وإنما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أم لم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم أنهم إن

يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون وثم للتراخى فى الرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار (ضُرِبَتْ) ألزمت (عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) أى على اليهود (أَيْنَ مَا ثُقِفُوا) وجدوا (إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ) فى محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره إلا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله (وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ)والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لاعز لهم قط إلاهذه الواحدة وهى التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية (وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ) استوجبوه (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) الفقرعقوبة لهم على قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء أوخوف الفقر مع قيام اليسار (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ثم قال(ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّ كَانُوا يَعْتَدُونَ)أى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (لَيْسُوا سَوَآءً) ليس أهل الكتاب مستوين (مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين أسلموا منهم (يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللهِ) القرآن (ءَانَآءَ الَّيْلِ) ساعاته واحدها إنى كمعى أوإنو كقنو أوإنى كنحى (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بالإيمان وسائر أبواب البر(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)عن الكفر ومنهيات الشرع(وَيُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ) يبادرون إليها خشية الفوت وقوله: يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لأمة أى أمة قائمة تالون مؤمنون. وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها، والمسارعة فى الخير فرط الرغبة

فيه لأن من رغب فى الأمر سارع بالقيام به (وَأُوْلَٰٓئِكَ) الموصوفون بما وصفوا به (مِنَ الصَّٰلِحِينَ) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ) بالياء فيهما كوفى غير أبى بكر وأبو عمرو مخير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه إلى مفعولين ـ وإن كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها ـ لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أى فلن تحرموا جزاءه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا) أى من عذاب الله (وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقربون به إلى الله مع كفرهم (كَمَثَلِ رِيحٍ) كمثل مهلك ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح (فِيهَا صِرٌّ) برد شديد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو مبتدأ وخبر فى موضع جر صفة لريح مثل (أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ) بالكفر (فَأَهْلَكَتْهُ) عقوبة على كفرهم (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بإهلاك حرثهم (وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنفقين أى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافات المنافقين (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً) بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث «الأنصار شعار والناس دثار» (مِّن دُونِكُمْ) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) فى موضع النصب صفة لبطانة يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم يقال ألا فى الأمر يألو إذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز أو على حذف فى أى فى خبالكم (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ) أى عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أى تمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ) لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضه للمسلمين (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من البغض لكم (أَكْبَرُ)

مما بدا (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ) الدالة على وجوب الإخلاص فى الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) ما بين لكم (هَـٰأَنتُمْ أُوْلَآءِ) هاللتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاتمنافقى أهل الكتاب (تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وأولاء موصول صلته تحبونهم والواو فى (وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِ) للحال وانتصابها من لايحبونكم أى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فابالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بشىء من كتابكم وفيه توبيخ شديد لأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا) أظهروا كلمة التوحيد (وَإِذَا خَلَوْا۟) فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض (عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والابهام (قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادةالغيظ زيادة مايغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله ومالهم فى ذلك من الذل والخزى (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) فهو يعلم مافى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء ومايكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة القول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن القول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعى إياك على ما يسرون فإنى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تَسُؤْهُمْ) تحزنهم إصابتها (وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ) أضداد ماذكرنا والمس مستعار من الإصابة فكأن المعنى واحد ألا ترى إلى قوله تعالى : إن تصبك حسنه تسؤهم وإن تصبك مصيبة (يَفْرَحُوا۟ بِهَا) بإصابتها (وَإِن تَصْبِرُوا۟) على عداوتهم (وَتَتَّقُوا۟) مانهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا) مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء إذاأردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك. لايضركم مكى وبصرى

ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهــو واضح والمشكل قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم إلا أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد نحو مد ياهذا (إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما (مُحِيطٌ) ففاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أى أنه عالم بما يعملون فى عداوتكم فعاقبهم عليه (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) واذكر يامحمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها إلى أحد (تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ) تنزلهم وهو حال (مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة والقتال يتعلق بتبوئ (وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ودعا عبد الله بن أبىّ فاستشاره فقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم فقال عليه السلام إنى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون فى الشهادة حتى لبس لأمته ثم ندموا فقالوا الأمر إليك يارسول الله فقال عليه السلام «لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل» فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال (إِذْ هَمَّتْ) بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طَائِفَتَانِ مِنكُمْ) حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكان عليه السلام خرج إلى أحد فى ألف والمشركون فى ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخذل عبد الله بن أبىّ بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله (أَن تَفْشَلَا) أى بأن تفشلا أى بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) محبهما أو ناصرهما أو متولى أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أمرهم بأن لايتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه قال جابر والله مايسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا ثم ذكرهم مايوجب عليهم التوكل ممايسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة فقال (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعــد أحد للجمع بين الصبر والشكر

(وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) لقلة العدد فإنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فإنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا (فَاتَّقُوا اللَّهَ) فى الثبات مع رسوله (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) بتقوا كم ما أنعم الله به عليكم من النصر (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقول لهم ذلك يوم أحد (أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ) منزّلين شامى منزلين أبو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجيء بلن الذى هو لتأكيد النفى للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بَلَى) إيجاب لما بعد لن أى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (إِن تَصْبِرُوا) على القتال (وَتَتَّقُوا) خلاف الرسول عليه السلام (وَيَأْتُوكُم) يعنى المشركين (مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا) هو من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الأمر المطلق على الفور لا على التراخى والمعنى ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ) فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يعنى أن الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم (مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعرفون بها فى الحرب . والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض فى نواصى الدواب وأذنابها غيرهم بفتح الواو أى معلمين قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألفا فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) الضمير يرجع إلى الإمداد الذى دل عليه أن يمدكم (إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ) أى وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ) كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك

ممايقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة (ٱلْعَزِيزِ) الذى لايغالب فى أحكامه (ٱلْحَكِيمِ) الذى يعطى النصر لأوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام فى (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟) ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله : ولقد نصركم الله . أو بقوله : وما النصر إلا من عند الله. أو يمددكم ربكم (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه لأجله (فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم (لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ) اسم ليس شىء والخبر لك ومن الأمر حال من شىء لأنها صفة مقدمة (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم وليس لك من الأمر شىء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ) إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شىء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطينى حقى أى ليس لك من أمرهم شىء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن (فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ) مستحقون للتعذيب (وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ) أى الأمر له لا لك لأن مافى السموات ومافى الأرض ملكه (يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ) للمؤمنين (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) الكافرين (وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً) مضعفة مكى وشامى هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله يقول إما أن تقضى حقى أو تربى وتزيد فى الأجل (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) فى أكله (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ) كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول: هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه فى اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وفيه رد على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو

هذه المواضع وإن قال أهل التفسير إن لعل وعسى من الله للتحقيق مالا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ) سارعوا مدنى وشامى فمن أثبت الواو عطفها على ماقبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يوصل إليهما ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبيرة الأولى أو الطاعة أو الإخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عَرْضُهَا السَّمَوَٰتُ وَالْأَرْضُ) أى عرضها عرض السماوات والأرض كقوله: عرضها كعرض السماء والأرض. والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ماعلمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى أن الجنة فى السماء السابعة أو فى السماء الرابعة فمعناه أنها فى جهتها لا أنها فيها أو فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وإن كان يزيد عليها لأن المراد أن بابه إليها (أُعِدَّتْ) فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة (لِلْمُتَّقِينَ)ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقى المعاصى فإن كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وإن كان الأول فهى لهم أيضا فى العاقبة ويوقف عليه إن جعل (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ) فى حال اليسر والعسر مبتدأ وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وإن جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين إذافعلوا فاحشة أى أعدت للمتقين والتائبين فلاوقف فإن قلت الآية تدل على أن الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للأمير ثم قد يأكلها أتباعه ألا ترى أنه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شىء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان فى ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الإنفاق فى جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ) والممسكين الغيظ عن الإمضاء يقال كظم القربة إذا امتلأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على مافى نفسه منه بالصبر ولا

يظهرله أثرا. والغيظ: توقدحرارةالقلب من الغضب وعن النبي عليه السلام «من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا» (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) أى إذا جنى عليهم أحدلم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا . وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون إشارة إلى هؤلاء. عن الثورى الإحسان أن تحسن إلى المسئ فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) فعلةمتزايدة القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما (ذَكَرُوا اللَّهَ) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة(فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) فتابوا عنها لقبحهما نادمين قيل بكى إبليس حين نزلت هذه الآية(وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود إلى من وإلا الله بدل من الضمير فى يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب وإشعار بأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والإصرار الإقامة قال عليه السلام «ماأصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» وروى «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) حال من الضمير فى ولم يصروا أى وهم يعلمون أنهم أساءوا أو وهم يعلمون أنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله (أُولَٰئِكَ) الموصوفون (جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) بتوبته (وَجَنَّاتٌ) برحمته (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات نزلت فى تمار قال لامرأة تريد التمر فى بيتى تمر أجود فأدخلها بيته وضمها إلى نفسه وقبلها فندم أو فى أنصارى استخلفه ثقفى وقد آخى بينهما النبي عليه السلام فى غيبة غزوة فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح فى الأرض صارخا فاستعتبه الله تعالى (قَدْ خَلَتْ) مضت (مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) يريد ماسنه الله تعالى فى الأمم المكذبين من وقائعه (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

فتعتبروا بها (هَٰذَا) أى القرآن أو ماتقدم ذكره (بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى) أى إرشاد (وَمَوْعِظَةٌ) ترغيب وترهيب (لِّلْمُتَّقِينَ) من الشرك (وَلَا تَهِنُوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (وَلَا تَحْزَنُوا) على مافاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أوجرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون بالنصر والظفر فى العاقبة وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة وإن جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الأعلون شأناً لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر أو لأن قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) متعلق بالنهى أى ولا تهنوا إن صح إيمانكم يعنى أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أى إن كنتم مصدقين بمايعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) بضم القاف حيث كان كوفى غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) أى إن نالوا منكم يوم أحد فقدنلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم إلى القتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا (وَتِلْكَ) مبتدأ (الْأَيَّامُ) صفته والخبر (نُدَاوِلُهَا) نصرفها (بَيْنَ النَّاسِ) أى نصرف مافيها من النعم والنقم نعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب.

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) أى نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والإيمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أوليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لايحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين فى سبيله وهم المنافقون والكافرون (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) التمحيص: التطهير والتصفية (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) ويهلكهم يعنى إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) أم منقطعة

ومعنى الهمزة فيها الإنكار أى لاتحسبوا (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ) أى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقه لأنه منتف بانتفائه تقول ماعلم الله فى فلان خيرا أى مافيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ) نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع نحو لاتأكل السمك وتشرب اللبن أوجزم للعطف على يعلم الله وإنما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ماقبلها (وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله ﷺ لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ فى الخروج إلى المشركين وكان رأيه فى الإقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله ﷺ بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وإنما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى مايتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصرانى فإن قصده حصول الشفاء ولايخطر بباله أن فيه جر منفعة إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قمئة رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا إن محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا وجعل رسول الله ﷺ يدعو إلى عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لاوجوده بين أظهر قومه (أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التى قبلها على معنى التسبيب. والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم

متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) وإنما ضر نفسه (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا (وَمَا كَانَ) وما جاز (لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أي بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وإعلام بأن الحذر لا ينفع وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك (كِتَابًا) مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتاباً (مُّؤَجَّلًا) مؤقتاً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (وَمَن يُرِدْ) بقتاله (ثَوَابَ الدُّنْيَا) أي الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نُؤْتِهِ مِنْهَا) من ثوابها (وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ) أي إعلاء كلمة الله والدرجة في الآخر (نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد (وَكَأَيِّن) أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصارا في معنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان مكي (مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ) قتل مكي وبصري ونافع (مَعَهُ) حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لأنه منسوب إلى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فَمَا وَهَنُوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا) عن الجهاد بعده (وَمَا اسْتَكَانُوا) وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الإرجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) على جهاد الكافرين (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) أي وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا) تجاوزنا حد العبودية (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) في القتال (وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على الأعداء لأنه أقرب إلى الإجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) أي النصرة والظفر والغنيمة (وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) المغفرة

والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أى هم محسنون والله يحبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) يرجعوكم إلى الشرك (فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ) قيل هو عام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شىء حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم وعن السدى إن تستكينوا لأبى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا فى دينهم (بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ) بسبب إشراكهم أى كان السبب فى إلقاء الله الرعب فى قلوبهم إشراكهم به (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة ولم يرد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * أى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن أن بها ضبا ولا ينجحر (وَمَأْوَاهُمُ) مرجعهم (النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ) أى حقق (إِذْ تَحُسُّونَهُم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل (بِإِذْنِهِ) بأمره وعلمه (حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ) جبنتم (وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ) أى اختلفتم (وَعَصَيْتُم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة (مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق إذا محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم (مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا) أى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روى أن رسول الله ﷺ جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى إذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون

فاموقفنا هبنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم، وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله ﷺ فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ) أى كف معونته عنكم فغلبوكم (لِيَبْتَلِيَكُمْ) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ) حيث ندمتم على مافرط منكم من عصيان رسول الله ﷺ (وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم فى جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة وانتصب (إِذْ تُصْعِدُونَ) تبالغون فى الذهاب فى صعيد الأرض والإصعاد الذهاب فى صعيد الأرض أو الإبعاد فيه بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكروا (وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ) ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) يقول «إلىّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة» والجملة فى موضع الحال (فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ) فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهى المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخرهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى (فَأَثَٰبَكُمْ) عطف على صرفكم أى فجازاكم الله (غَمًّۢا) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (بِغَمٍّ) بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم أمره أو غما مضاعفا، غما بعد غم وغما متصلا بغم، من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع (وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ) ولا على مصيب من المضار (وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) عالم بعملكم لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وهذا ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا) ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الأمن ونعاسا بدل من أمنة أوهو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والأصل أنزل عليكم نعاسا

خا أمنة إذالنعاس ليس هوالأمن ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يَغْشَىٰ) يعنى النعاس تغشى بالتاء والأمالة حمزة وعلى أى الأمنة (طَآئِفَةً مِّنكُمْ) هم أهل الصدق واليقين (وَطَآئِفَةٌ) هم المنافقون (قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ) مايهمهم إلا أنفسهم وخلاصها لاهم الدين ولاهم رسول الله ﷺ والمسلمين رضوان الله عليهم (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) فى حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمدا ﷺ (ظَنَّ الْجَٰهِلِيَّةِ) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله (يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ) أى النصر والغلبة (كُلَّهُ لِلَّهِ) ولأوليائه المؤمنين وإن جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للأمر ولله خبران كله بصرى وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبران (يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ) خوفا من السيف (يَقُولُونَ) فى أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا) أى لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أى قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف (قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ) أى من علم الله منه أنه يقتل فى هذه المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم (لَبَرَزَ) من بينكم (الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ) مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة فى الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ماينكبون به فى بعض الأوقات تمحيص لهم(وَلِيَبْتَلِىَ اللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ)وليمتحن ما فى صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك.أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص(وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ)بخفياتها (إِنَّ الَّذِينَ

تَوَلَّوْا مِنكُمْ) انهزموا (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) جمع محمد عليه السلام وجمع أبي سفيان للقتال بأحد (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ) دعاهم إلى الزلة وحملهم عليها (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) بتركهم المركز الذى أمرهم رسول الله ﷺ بالثبات فيه فالإضافه إلى الشيطان لطف وتقريب والتعبير بكسبهم وعظ وتأديب. وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد إلا ثلاثة عشر رجلا منهم أبوبكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد بن أبى وقاص والباقون من الأنصار (وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) تجاوز عنهم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)للذنوب (حَلِيمٌ) لايعاجل بالعقوبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا) كابن أبيّ وأصحابه (وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) أى فى حق إخوانهم فى النسب أو فى النفاق (إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ) سافروا فيها للتجارة أو غيرها (أَوْ كَانُوا غُزًّى) جمع غاز كعاف وعفّى وأصابهم موت أو قتل (لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ) اللام يتعلق بلاتكونوا أى لاتكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو بقالوا أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ) رد لقولهم إن القتال يقطع الآجال أى الأمر بيده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكي وحمزة وعلى أى الذين كفروا (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص إلا فى هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم. غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف نكما تقول خفت تقول مت (لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) مابمعنى الذى والعائد محذوف وبالياء حفص (وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ) لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون. ولوقوع اسم الله فى هذا الموضع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم أن من سافر من إخوانهم أوغزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل فى سبيل الله فإن ماتنالونه من المغفرة والرحمة

بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فإن الدنيا زاد المعاد فإذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى الزاد (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ماكان إلا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا) جافيا (غَلِيظَ الْقَلْبِ) قاسيه (لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فَاعْفُ عَنْهُمْ) ماكان منهم يوم أحد مما يختص بك (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) أى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لأقدارهم ولتقتدى بك أمتك فيها فى الحديث «ماتشاور قوم قط إلاهدوا لأرشد أمرهم» وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله ﷺ ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندى وما عنده من الرأى وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مآخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة (فَإِذَا عَزَمْتَ) فإذا قطعت الرأى على شئ بعد الشورى (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فى إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض فى الأمور إليه وقال ذو النون خلع الأرباب وقطع الأسباب (إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ) كما نصركم يوم بدر (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وَإِن يَخْذُلْكُمْ) كما خذلكم يوم أحد (فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يقتضى ذلك (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ) مكى وأبو عمرو وحفص وعاصم أى يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه فى خفية ويقال أغله إذا وجده غالا والمعنى ماصح له ذلك يعنى أن النبوة تنافى الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا لأن معناه وماصح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله

ﷺ أخذها فنزلت الآية (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أى يأت بالشىء الذى غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء فى الحديث أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه (ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جىء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أوشرا مجزى فوفى جزاءه علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) أى جزاء كل على قدر كسبه (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَ اللَّهِ) أى رضا الله قيل هم المهاجرون والأنصار (كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ) وهم المنافقون والكفار (وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع (هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ اللَّهِ) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات أوذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أوالتفاوت بين الثواب والعقاب (وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ) من جنسهم عربيا مثلهم أومن ولد اسماعيل كما أنهم من ولده والمنة فى ذلك من حيث إنه إذا كان منهم كان اللسان واحد فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانو واقفين على أحواله فى الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفسهم أى من أشرفهم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ) أى القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شىء من الوحى (وَيُزَكِّيهِمْ) ويطهرهم بالإيمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ) القرآن والسنة (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ) من قبل بعثة الرسول ﷺ (لَفِى ضَلَـٰلٍ) عمى وجهالة (مُّبِينٍ) ظاهر لا شبهة فيه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وإن الشأن والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين (أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة (قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا) من أين هذا (قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ) لاختياركم الخروج من المدينة أولترككم المركز. لما نصب بقلتم وأصابتكم فى محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى

هذا نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على مامضى من قصة أحد من قوله: ولقدصدقكم الله وعده. أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقدر على النصر وعلى منعه (وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ) ما بمعنى الذى وهو مبتدأ (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر (فَبِإِذْنِ اللَّهِ) فكائن بإذن الله أى بعلمه وقضائه (وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وَقِيلَ لَهُمْ) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تَعَالَوْا قَـٰتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون (أَوِ ادْفَعُوا) أى قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة وقيل أوادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين إن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَـٰكُمْ) أى لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لاتبعنا كم يعنون أن ماأنتم فيه لخطإ رأيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء النفس فى التهلكة (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ) يعنى أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر أو هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) أى يظهرون خلاف مايضمرون من الإيمان وغيره والتقييد بالأفواه للتأكيد ونفى المجاز (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) من النفاق (الَّذِينَ قَالُوا) أى ابن أبىّ وأصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون أونصب بإضمار أعنى أوعلى البدل من الذين نافقوا أوجر على البدل من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم (لِإِخْوَٰنِهِمْ) لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وَقَعَدُوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله ﷺ والقعود ووافقونا فيه لماقتلوا كما لم نقتل (قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت أو

معناه قل إن كنتم صادقين فى أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل فى قتلى أحد (وَلَا تَحْسَبَنَّ) شامى وحمزة وعلى وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد (الَّذِينَ قُتِلُوا) قتّلوا شامى (فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ) بل هم أحياء (عِندَ رَبِّهِمْ) مقربون عنده ذوو زلفى (يُرْزَقُونَ) مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله (فَرِحِينَ) حال من الضمير فى يرزقون (بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبى عليه السلام «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش» وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ) بإخوانهم المجاهدين الذين (لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (مِّنْ خَلْفِهِمْ) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وَأَنَّ اللَّهَ) عطف على النعمة والفضل. وإن الله على بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض (لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) بل يوفر عليهم (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح (مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) الجرح روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبىّ أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان نخرج يوم الأحد

من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا) من للتبيين. مثلها فى قوله: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة. لأن الذين استجابوا الله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أَجْرٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) بدل من الذين استجابوا (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يامحمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام «إن شاء الله» فلما كان القابل خرج أبوسفيان فى أهل مكة فألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له أن رجع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى وقد قدم معتمرا فقال يانعيم إنى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وقد بدا لى أن أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لايفلت منكم أحد فقال عليه السلام «والله لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد» فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الأول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه والثانى أبو سفيان وأصحابه (فَاخْشَوْهُمْ) فخافوهم (فَزَادَهُمْ) أى المقول الذى هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول أو نعيم (إِيمَانًا) بصيرة وإيقانا (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) كافينا الله أى الذى يكفينا الله يقال أحسبه الشيء إذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل (وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ونعم الموكول إليه هو (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وَفَضْلٍ) وهو الربح فى التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين (لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) لم يلقوا مايسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ) بجراءتهم وخروجهم إلى وجه العدو على أثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (إِنَّمَا

ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ) هو خبر ذلكم أى إنما ذلكم الشيطان والشيطان وهو نعيم (يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ)
أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر
(فَلَا تَخَافُوهُمْ) اى أولياءه (وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) لأن الإيمان يقتضى أن يؤثر العبد
خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما أبو عمرو فى
الوصل (وَلَا يَحْزُنكَ) يُحزنك فى كل القرآن نافع إلا فى سورة الأنبياء لا يحزنهم الفزع
الأكبر (الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى الْكُفْرِ) يعنى لايحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى إلى قوله
(إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) أى أولياء الله يعنى أنهم لايضرون بمسارعتهم فى الكفر غير
أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ
لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ) أى نصيباً من الثواب (وَلَهُمْ) بدل الثواب (عَذَابٌ عَظِيمٌ)وذلك
أبلغ ما ضربه الإنسان نفسه والآية تدل على إرادة الكفر والمعاصى لأن إرادته أن لايكون لهم
ثواب فى الآخرة لاتكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم (إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ
بِالْإِيمَٰنِ) أى استبدلوه به (لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) هو نصب على المصدر أى شيئا من الضرر
الآية الأولى فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام والثانية فى جميع الكفار أو على
العكس (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ) وثلاثة بعدها مع ضم البا فى يحسبنهم بالياء مكى وأبو
عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدنى وشامى إلا فلا تحسبنهم فإنها بالتاء. الباقون الأوليان بالياء
والأخريان بالتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا) فيمن قرأ بالياء رفع أى ولا يحسبن الكافرون وأن مع
اسمه وخبره فى قوله (أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ) فى موضع المفعولين ليحسبن والتقدير
ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خيراً لأنفسهم وما مصدرية وكان حقها فى قياس علم الخط أن
تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الإمام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب أى ولا
تحسبن الكافرين وأنما نملى لهم خير لأنفسهم بدل من الكافرين أى ولا تحسبن أن ما نملى
للكافرين خير لهم وأن مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين والإملاء لهم إمهالهم وإطالة عمرهم
(إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه
جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل مابالهم لايحسبون الإملاء خيراً لهم فقيل إنما نملى لهم
ليزدادوا إثما والآية حجة لنا على المعتزلة فى مسئلتى الأصلح وإرادة المعاصى (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)

اللام فى (مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآأَنتُمْ عَلَيْهِ) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين لتأكيد النفى (حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلى والخطاب فى أنتم للمصدقين من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى إلى نبيه وإخباره بأحوالكم (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) وما كان الله ليؤتى أحداً منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسل بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على مافى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها (وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ) أى ولكن الله يرسل الرسول فيوحى إليه ويخبره بأن فى الغيب كذا وأن فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لامن جهة نفسه. والآية حجة على الباطنية فإنهم يدعون ذلك العلم لإمامهم فإن لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وإن أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ) بصفة الإخلاص (وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) النفاق (فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة ونزل فى مانعى الزكاة (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم) من قرأ بالتاء قدر مضافاً محذوفا أى ولاتحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أوضمير أحدومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولايحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيراً لهم وهو فصل وخيراً لهم مفعول ثان (بَلْ هُوَ) أى البخل (شَرٌّ لَّهُمْ) لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) تفسير لقوله بل هو شر لهم أى سيجعل مالهم الذى منعوه عن الحق طوقا فى أعناقهم كما جاء فى الحديث «من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق فى عنقه فينهشه ويدفعه إلى النار» (وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) ولمافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولاينفقونه فى سبيل الله والأصل فى ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) وبالياء مكى وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر (لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ)

قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى: من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا. وقالوا إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاء من العقاب (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) سنأمر الحفظة بكتابة ماقالوا فى الصحائف أو سنحفظه إذ الكتاب من الخلق ليحفظ مافيه فسمى به مجازا وما مصدرية أو بمعنى الذى (وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) معطوف على ما. جعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما فى العظم أخوان وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (وَنَقُولُ) لهم يوم القيامة (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وإنما أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما فى قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من عقابهم (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) أى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والإضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدى فجعل كل عمل كالواقع بالأيدى على سبيل التغليب ولأنه يقال للآمر بالشىء فاعله فذكر الأيدى للتحقيق يعنى أنه عمل نفسه لاغيره بأمره (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) وبأن الله لايظلم عباده فلايعاقبهم بغير جرم (الَّذِينَ قَالُوا) فى موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب بإضمار أعنى أو رفع بإضمارهم (إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا) أمرنا فى التوراة وأوصانا (أَلَّا نُؤْمِنَ) بأن لانؤمن (لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) أى يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فإن جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتى به لكونه معجزة فهو إذا وسائر المعجزات سواء (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات سوى القربان (وَبِالَّذِي قُلْتُمْ) أى بالقربان يعنى قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم ورضوان بفعلهم (فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ) أى إن كان امتناعكم عن الإيمان لأجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذين أتوا به ولم قتلتموهم (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا(فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) فإن كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك (جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (وَالزُّبُرِ) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامى (وَالْكِتَابِ) جنسه (الْمُنِيرِ) المضىء قيل هما واحد فى الأصل وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادى (كُلُّ نَفْسٍ)

مبتدأ والخبر (ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ) وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إلىّ فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله (وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) أى تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فإن الدنيا ليست بدار الجزاء (فَمَن زُحْزِحَ) بعد والزحزحة: الإبعاد (عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها (لَتُبْلَوُنَّ) والله لتبلون أى لتختبرن (فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ) بالإنفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وَأَنفُسِكُمْ) بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على أن النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ) يعنى اليهود والنصارى (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا) كالطعن فى الدين وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك (وَإِن تَصْبِرُوا) على أذاهم (وَتَتَّقُوا) مخالفة أمر الله (فَإِنَّ ذَٰلِكَ) فإن الصبر والتقوى (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) من معزومات الأمور أى مما يجب العزم عليه من الأمور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لأنهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على

الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم وفى الحديث «من كتم علما من أهله ألجمه الله بلجام من نار» (وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا يسيرا (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) والخطاب فى (لَا تَحْسَبَنَّ) لرسول الله وأحد المفعولين (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فائزين (بِمَا أَتَوا) بما فعلوا وهى قراءة أبىّ وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل أنه كان وعده مأتيا. لقد جئت شيئا فريا. وقرأ النخعى بما آتوا أى أعطوا (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) بمنجاة منه (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم روى أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتى بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فهو يملك أمرهما وفيه تكذيب لمن قال إن الله فقير (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو يقدر على عقابهم (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ) لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى أن العرض المحدث فى الجواهر يدل على حدوث الجواهر لأن جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم وإلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه، وإتقانه يدل على حكمته، وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وحكى أنه كان فى بنى إسرائيل من إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت إلا من ذلك (الَّذِينَ) فى موضع جر نعت لأولى أو نصب بإضمار أعنى أو رفع بإضمارهم (يَذْكُرُونَ اللَّهَ) يصلون (قِيَامًا)

قائمين عند القدرة (وَقُعُودًا) قاعدين (وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) أى مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل فى يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الأحوال وفى الحديث «من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله» (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) ومايدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه من عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبى عليه السلام «بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله إليه فغفر له» وقال عليه السلام «لاعبادة كالتفكر» وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وماجليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا) أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال أى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا إشارة إلى الخلق على أن المراد به المخلوق أو إلى السماوات والأرض لأنها فى معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سُبْحَٰنَكَ) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره إذا نزهناك فقنا (رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله: يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه. فى أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر إخزاء المؤمن تأديبه وإن فوق ذلك لخزيا (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) اللام إشارة إلى من يدخل النار والمراد الكفار (مِنْ أَنصَارٍ) من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين (رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع فأغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول عليه السلام أو القرآن (يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ) لأجل الإيمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادى إذ لا منادى أعظم من مناد ينادى للإيمان (أَنْ ءَامِنُوا) بأن آمنوا أو أى آمنوا (بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء فى الإيمان (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) كبائرنا (وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا) صغائرنا

(وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم، والأبرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ) أى على تصديق رسلك أوما وعدتنا منزلا على رسلك أوعلى ألسنة رسلك، وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء وإنما طلبوا إنجاز ماوعد الله والله لايخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أوالمراد اجعلنا ممن لهم الوعد إذ الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك يؤيده قوله (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أو هو إظهار للخضوع والضراعة (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) هو مصدر بمعنى الوعد (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) أى أجاب يقال استجاب له واستجابه (أَنِّى) بأنى (لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم) منكم صفة لعامل (مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ) بيان لعامل (بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر كلكم بنو آدم أو بعضكم من بعض فى النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده العاملين عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات : ربنا ، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ الآيات (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) مبتدأ وهوتفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم إلى حيث يأمنون عليه فالهجرة كائنة فى آخر الزمان كما كانت فى أول الإسلام (وَأُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ) التى ولدوا فيها ونشئوا (وَأُوذُوا فِى سَبِيلِى) بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين (وَقَـٰتَلُوا وَقُتِلُوا) وغزوا المشركين واستشهدوا، وقتلوا مكى وشامى، وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلى وفيه دليل على أن الواو لا توجب الترتيب والخبر (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ) وهو جواب قسم محذوف (ثَوَابًا) فى موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبا (مِّنْ عِندِ اللَّهِ) لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنهم (وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) أى يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى أن طائفة من المؤمنين قالوا: إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع ، فنزل (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلَـٰدِ) والخطاب لكل أحد أوللنبى عليه السلام والمراد به غيره أولأن مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشىء فيقوم خطابه

مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لايغرنكم أولأن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولاتكونن من المشركين وهذا فى النهى نظير قوله فى الأمر اهدنا الصراط المستقيم ياأيها الذين آمنوا آمنوا (مَتَٰعٌ قَلِيلٌ) خبر مبتدإ محذوف أى تقلبهم فى البلاد متاع قليل وأراد قلته فى جنب مافاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) وساء ما مهدوا لأنفسهم (لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) عن الشرك (لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا) النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام فى لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (مِّنْ عِندِ اللَّهِ) صفة له (وَمَا عِندَ اللَّهِ) من الكثير الدائم (خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أى لابقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت فى ابن سلام وغيره من مسلمى أهل الكتاب أو فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ) من القرآن (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ) من الكتابين (خَٰشِعِينَ لِلَّهِ) حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن فى معنى الجمع (لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أى غير مشترين (أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) أى مايختص بهم من الأجر وهو ماوعده فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) لنفوذ علمه فى كل شىء (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضى الله عنه: الصبر حبس النفس على المكروه بنفى الجزع (وَصَابِرُوا) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (وَرَابِطُوا) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الفلاح : البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه، ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الأعمال وقيل اصبروا فى محبتى وصابروا فى نعمتى ورابطوا أنفسكم فى خدمتى لعلكم تفلحون تظفرون

بفريق قال النبي ﷺ « اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أوفرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما» والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

(سورة النساء نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَٰأَيُّهَا النَّاسُ) يا بنى آدم (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه (وَبَثَّ مِنْهُمَا) ونشر من آدم وحواء (رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) كثيرة أى وبث منهما نوعى جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب فى يأيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذى تقتضيه جزالة النظم أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدى إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه فى كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية «خلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه فى التراب» (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ) والأصل تتساءلون فأدغمت التاء فى السين بعد إبدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف (وَالْأَرْحَامَ) بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً وبالجر حمزة

على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لأن الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشئ واحد فأشبه العطف على بعض الكلمة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) حافظا أو عالما (وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ) يعنى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتم: الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، وقيل اليتم فى الأناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الأمهات وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم. وقوله عليه السلام «لا يتم بعد الحلم» تعليم شريعة لا لغة يعنى أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر وفيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ أن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار (وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أولا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ) إلى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة إلى أموالكم والمعنى ولا تضموها إليها فى الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (إِنَّهُ) إن أكلها (كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) ذنبا عظيما (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا) أى لا تعدلوا. أقسط أى عدل (فِي الْيَتَامَىٰ) يقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع يتيم لا غير (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم) ما حل لكم (مِّنَ النِّسَاءِ) لأن منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ماذهابا إلى الصفة لأن ما يجئ فى صفات من يعقل فكأنه قيل الطيبات من النساء ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى: أو ما ملكت أيمانكم. قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع أن الجور يقع بينهن إذا كثرن فكأنه قيل إذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وإن خفتم أن لا تقسطوا فى نكاح اليتامى

فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أى أدركت (مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ) نكرات وإنما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء أو مماطاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذاالعدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثاوأربعا أربعا . فإن قلت الذى أطلق للنا كح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل نا كح يريد الجمع ماأراد من العدد الذى أطلق له كماتقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجيء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جيء بأو مكانها لذهب معنى التجويز (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا) بين هذه الأعداد (فَوَٰحِدَةً) فالزموا أوفاختاروا واحدة (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ) سوّى فى اليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر (ذَٰلِكَ) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى (أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) أقرب من أن لا تميلوا ولاتجوروا، يقال عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم فى حكمه إذاجار ويحكى عن الشافعى رحمه‌الله أنه فسر أن لاتعولوا أن لاتكثر عيالكم واعترضوا عليه بأنه يقال أعال يعيل إذا كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك مايصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال. وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وأن لا يظن به تحريف تميلوا إلى تعولوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وَءَاتُوا النِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ) مهورهن (نِحْلَةً) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء أومن الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ) للأزواج (عَن شَيْءٍ مِّنْهُ) أى من الصداق إذ هو فى معنى الصدقات (نَفْسًا) تمييز

وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا ولم يقل فإن وهبن لكم إعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة (فَكُلُوهُ) الهاء يعود على شىء (هَنِيئاً) لا إثم فيه (مَّرِيئاً) لاداء فيه فسرهما النبى عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنىء مرىء وهذه عبارة عن المبالغة فى الإباحة وإزالة التبعة. هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزها الباقون وعن على رضى الله عنه إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على إصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف إلى الأولياء أموال السفهاء بقوله (أَمْوَالَكُمُ) لأنهم يلونها ويمسكونها (الَّتِى جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً) أى قواما لأبدانكم ومعاشا لأهلكم وأولادكم. قيما بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان ــ وكان له بضاعة يقلبها ــ لولاها لتمندل بى بنو العباس (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فيأكلها الإنفاق (وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً) قال ابن جريج: عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه فهو منكر (وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجىء منه وفيه دليل على جواز إذن الصبى العاقل فى التجارة (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ) أى الحلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما

هومقصود به وهو التوالد (فَإِنْ ءانَسْتُمْ مِّنْهُمْ) تبينتم (رُشْدًا) هداية فى التصرفات وصلاحا فى المعاملات (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ) من غير تأخير عن حد البلوغ، ونظم هذا الكلام أن ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله *حتى ماء دجلة أشكل* والواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله: فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذى هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لأبى حنيفة رحمه الله فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة (وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فإسرافا وبدارا مصدران فى موضع الحال وأن يكبروا فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أى لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى إنفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا (وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) قسم الأمر بين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعف من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن ابراهيم ماسد الجوعة وورى العورة (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) بأنهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب أو هو راجع إلى قوله فليأكل بالمعروف أى ولا يسرف فإن الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى إلى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير فى منه يعود إلى ما ترك (نَصِيبًا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا (مَّفْرُوضًا) مقطوعا لا بدلهم من أن يحوزوه

روى أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابناعمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة. فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكت فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم (وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ) أى قسمة التركة (أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ) ممن لا يرث (وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينُ) من الأجانب (فَارْزُقُوهُمْ) فأعطوهم (مِّنْهُ) مما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ بآية الميراث (وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) عذرا جميلا وعدة حسنة، وقيل القول المعروف أن يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفاً خَافُوا عَلَيْهِم فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما فى حيزه صلة للذين أى وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو: خافوا، والقول السديد من الأوصياء أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا) ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ) ملء بطونهم (نَارًا) أى يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا (وَسَيَصْلَوْنَ) وسيُصلَوْن شامى وأبو بكر (سَعِيرًا) ناراً من النيران مبهمة الوصف (يُوصِيكُمُ اللهُ) يعهد إليكم ويأمركم (فِى أَوْلَـٰدِكُمْ) فى شأن ميراثهم وهذا إجمال تفصيله (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) أى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل

للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل مايدلون به والمراد حال الاجتماع أى إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه أنه أتبعه حكم الانفراد بقوله (فَإِن كُنَّ نِسَآءً) أى فإن كانت الأولاد نساء خلصا يعنى بناتا ليس معهن ابن (فَوْقَ اثْنَتَيْنِ) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) أى الميت لأن الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت (وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) أى وإن كانت المولودة منفردة. واحدة مدنى على كان التامة والنصب أوفق لقوله فإن كن نساء فإن قلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الإبن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لامنزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لأن من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولأنه قال فى آخر السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك . والبنتان أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولأن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفى الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه أنثى لأنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وقد جعل للأنثى النصف إذا كانت منفردة فعلم أن للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير فى (وَلِأَبَوَيْهِ) للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب الذكر (لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ) بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين

عليهما على التسوية وعلى خلافها، ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الإجمال. والسدس مبتدأ خبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ) هو يقع على الذكر والأنثى (فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ) أي مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لأن الأب أقوى من الأم في الإرث بدليل أن له ضعف حظها إذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها فإن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين. فلإمه بكسر الهمزة حمزة وعلى لمجاورة كسر اللام (فَإِن كَانَ لَهُ) أي للميت (إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) إذا كان للميت اثنان من الإخوة والأخوات فصاعدا فلأمه السدس والأخ الواحد لا يحجب والأعيان والعلات والأخياف في حجب الأم سواء (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية (يُوصِي بِهَا) هو وما بعده بفتح الصاد مكي وشامي وحماد ويحيى ووافق الأعشى في الأولى وحفص في الثانية لمجاورة يورث وكسر الأولى لمجاورة يوصيكم الله . الباقون بكسر الصادين أي يوصي بها الميت (أَوْ دَيْنٍ) والإشكال أن الدين مقدم على الوصية في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب إن أو لا تدل على الترتيب ألا ترى أنك إذا قلت جاءني زيد أو عمرو كان المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير في قوله من بعد وصية يوصي بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وإنما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام «ألا إن الدين قبل الوصية» ولأنها تشبه الميراث من حيث إنها صلة بلا عوض فكان إخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا إلى إخراجها مع الدين (ءَابَآؤُكُمْ) مبتدأ (وَأَبْنَآؤُكُمْ) عطف عليه والخبر (لَا تَدْرُونَ) وقوله (أَيُّهُمْ) مبتدأ خبره (أَقْرَبُ

لَـكُمْ) والجملة فى موضع نصب بتدرون (نَفْعاً) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ماهو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لـكم فوضعتم أنتم الأموال على غـير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لاتدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لاموضع لها من الإعراب (فَرِيضَةً) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضاً (مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً) بالأشياء قبل خلقها (حَكِيماً) فى كل مافرض وقسم من المواريث وغيرها (وَلَـكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُـكُمْ) أى زوجاتـكم (إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ) أى ابن أو بنت (فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ) منكم أو من غيركم (فَلَـكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ) والواحد والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله: للذكر مثل حظ الأنثيين.

(وَإِن كَانَ رَجُلٌ) يعنى الميت وهو اسم كان (يُورَثُ) من ورث أى يورث منه وهو صفة رجل (كَلَٰلَةً) خبر كان أى وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث والـكلالة تطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الأصل مصدر بمعنى الـكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء (أَوِ امْرَأَةٌ) عطف على رجل (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) أى لأم فإن قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت أما إفراده فلأن أو لأحد الشيئين وأما تذكيره فلأنه يرجع إلى رجل لأنه مذكر مبدوء به أو يرجع إلى أحدهما وهو مذكر (فَلِـكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ) من واحد (فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ) لأنهم يستحقون بقرابة الأم وهى لاترث أكثر من الثلث ولهذا لايفضل الذكر منهم على الأنثى (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ) إنما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالأول الوالدان والأولاد والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الـكلالة (غَيْرَ مُضَآرٍّ) حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بأن يوصى بزيادة على الثلث أو لوارث (وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية (وَاللهُ عَلِيمٌ) بمن جار أو عدل فى وصيته (حَلِيمٌ) على الجائر لايعاجله بالعقوبة وهذا وعيد

فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما كان رجال فاعل مايدل عليه يسبح لأنه لما قيل يسبح له علم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح. واعلم أن الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللأكثر الثلثان وبنت الابن وإن سفلت وهي عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتي الصلب إلا أن يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها والأخوات لأب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والأخوات لأب وهن كالأخوات لأب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت أوبنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وإن سفل والأب وبالجد عند أبي حنيفة رحمه الله وولد الأم فللواحد السدس وللأكثر الثلث وذكرهم كأنثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل والأب والجد. والأب وله السدس مع الابن أوابن الابن وإن سفل ومع البنت أو بنت الابن وإن سفلت السدس والباقي والجد وهو أبو الأب وهو كالأب عند عدمه إلا في رد الأم إلى ثلث مايبقى والأم ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وإن سفل أو الاثنين من الإخوة والأخوات فصاعدا من أي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وإن كثرت لأم كانت أولأب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالأم والأبويات بالأب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وإن سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وإن سفل وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون مابقى من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وإن سفل ثم الأب ثم أبوه وإن علا ثم الأخ لأب وأم ثم الأخ لأب ثم ابن الأخ لأب وأم ثم ابن الأخ لأب ثم الأعمام ثم أعمام الأب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب. واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بأخواتهن لاغيرهن * وذوو الأرحام وهم الأقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تِلْكَ) إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث (حُدُودُ اللهِ) سماها حدوداً لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لايجوز لهم أن يتجاوزها (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ

نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا) انتصب خالدين وخالدًا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا إلى معنى من ولفظها. ندخله فيهما مدنى وشامى (وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ) لهوانه عند الله ولاتعلق للمعتزلة بالآية فإنها فى حق الكفار إذ الكافر هو الذى تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصى فهو مطيع بالإيمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (وَٱلَّٰتِى) هى جمع التى وموضعها رفع بالابتداء (يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ) أى الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (مِن نِّسَآئِكُمْ) من للتبعيض والخبر (فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ) فاطلبوا الشهادة (أَرْبَعَةً مِّنكُمْ) من المؤمنين (فَإِن شَهِدُوا) بالزنا (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ) فاحبسوهن (حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ) أى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ) قبل أو بمعنى إلا أن (سَبِيلًا) غير هذه عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام «خذوا عنى، خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائه وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة» (وَٱلَّذَانِ) يريد الزانى والزانية. وبتشديد النون مكى (يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ) أى الفاحشة (فَـَٔاذُوهُمَا) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فَإِن تَابَا) عن الفاحشة (وَأَصْلَحَا) وغيرا الحال (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) يقبل توبة التائب ويرحمه. قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل أنهما إذا كانا محصنين فحدهما الرجم لاغير وإذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد ، لاغير وإن كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد ، وقال ابن بحر: الآية الأولى فى السحاقات والثانية فى اللواطين والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية وهو دليل ظاهر لأبى حنيفة رحمه الله فى أنه يعزر فى اللواطة ولايحد وقال مجاهد: آية الأذى فى اللواطة (إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ) هى من تاب الله عليه إذا قبل توبته أى إنما قبولها (عَلَى ٱللَّهِ) وليس المراد به الوجوب إذ لايجب على الله شئ ولكنه تأكيد للوعد يعنى أنه يكون لامحالة كالواجب الذى لايترك (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ) الذنب

لسوء عقابه ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله: حتى إذا حضر أحدهم الموت . فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر إلى ملك الموت وعنه ﷺ «إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر» ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عدة بأنه يفى بذلك وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بعزمهم على التوبة ﴿حَكِيمًا﴾ حكم بكون الندم توبة ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لأنها حالة اضطرار لا حالة اختيار ، وقبول التوبة ثواب ولا وعد به إلا لمختار ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ فى موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيئات أى ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ قال سعيد بن جبير: الآية الأولى فى المؤمنين والوسطى فى المنافقين والأخرى فى الكافرين ، وفى بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره ﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أى هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الأصل أعددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة مورثه بأن يلقى عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلى من الإكراه مصدر فى موضع الحال من المفعول. والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لأن تخصيص الشىء بالذكر لا يدل على نفى ما عداه كما فى قوله : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق. وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفى أى لا يحل

لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن أو مجزوم بالنهى على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذعلى كرها. والعضل:الحبس والتضييق (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءاتَيْتُمُوهُنَّ) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ) هى النشوز وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم فى طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مُّبَيِّنَةٍ) وبفتح الياء مكى وأبو بكر والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولاتعضلوهن فى جميع الأوقات إلاوقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وهو النصفة فى المبيت والنفقة والإجمال فى القول (فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ) لقبحهن أو سوء خلقهن (فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ) فى ذلك الشىء أو فى الكره (خَيْرًا كَثِيرًا) ثوابا جزيلا أوولدا صالحا والمعنى فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر فى أسباب الصلاح وإنما صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط لأن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته بهت التى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها فقيل (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ) أى تطليق امرأة وتزوج أخرى (وَءاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ) وأعطيتم إحدى الزوجات فالمرادبالزوج الجمع لأن الخطاب لجماعة الرجال (قِنطَارًا) مالاعظيما كما مر فى آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لاتغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله : وآتيتم إحداهن قنطارا. فقال عمر كل أحدأعلم من عمر تزوجوا على ماشئتم (فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ) من القنطار (شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) أى بينا، والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برىء منه لأنه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الإفضاء فقال (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) أى خلا بلاحائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلل بذلك (وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) عهدا وثيقا وهو

قول الله تعالى : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن فهو كأخذهن أوقول النبي عليه السلام «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان فى أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» ولما نزل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا لا نرثهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم (وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِنَ النِّسَآءِ) وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لا تطئوا ما وطىء آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) أى لكن ما قد سلف فإنكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال (إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً) بالغة فى القبح (وَمَقْتًا)وبغضا عندالله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى(وَسَآءَ سَبِيلًا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ماطاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ) والمراد تحريم نكاحهن عندالبعض وقدذكرنا المختار فى شرح المنار. والجدةمن قبل الأم أوالأب ملحقة بهن(وَبَنَاتُكُمْ) وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والأصل أن الجمع إذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (وَأَخَوَٰتُكُمْ) لأب وأم أو لأب أولأم (وَعَمَّٰتُكُمْ) من الأوجه الثلاثة (وَخَٰلَٰتُكُمْ) كذلك (وَبَنَاتُ الْأَخِ) كذلك (وَبَنَاتُ الْأُخْتِ) كذلك ثم شرع فى السبب فقال (وَأُمَّهَٰتُكُمُ الَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَٰعَةِ) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم أخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لأم وأصله قوله عليه السلام «يحرم من الرضاع مايحرم من النسب» (وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ) وهن محرمات بمجرد العقد (وَرَبَٰٓئِبُكُمُ) سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده

فى غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما (ٱلَّـٰتِي فِي حُجُورِكُم) قال داود: إذا لم تكن فى حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كأنكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ) متعلق بربائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له إذالم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية. واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لأن الوصف الواحد لايقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لأن النساء الأولى مجرورة بالإضافة والثانية بمن ولايجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)فلا حرج عليكم فى أن تتزوجوا بناتهن إذا فارقتموهن أو متن (وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ) جمع حليلة وهى الزوجة لأن كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول (ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله ﷺ زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى : لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم. وليس هذا لنفى الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ) أى فى النكاح وهو فى موضع الرفع عطف على المحرمات أى وحرم عليكم الجمع بين الأختين (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) وعن محمد بن الحسن رحمه الله أن أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات إلا نكاح امرأة الأب ونكاح الأختين فلذا قال فيهما : إلا ماقد سلف. (وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) أى ذوات الأزواج لأنهن أحصنّ فروجهن بالتزوج قرأ الكسائى بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها فى جميع القرآن (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ) بالسبى وزوجها فى دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أى اللاتى لهن أزواج إلا ماملكتموهن بسبيهن وإخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبى فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء (كِتَـٰبَ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ) مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ماحرم وعطف (وَأُحِلَّ لَكُم) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ) ما سوى المحرمات المذكورة وأحل كوفى غير أبى بكر عطف على حرمت (أَن تَبْتَغُوا) مفعول له أى بين لكم ما يحل مما يحرم لأن تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والأجود أن لا يقدر (بِأَمْوَٰلِكُم) يعنى المهور وفيه دليل على أن النكاح لايكون إلا بمهر وأنه يجب وإن لم يسم وأن غير المال لايصلح مهرا وأن القليل لايصلح مهرا إذ الحبة لاتعد مالا عادة (مُّحْصِنِينَ) فى حال كونكم محصنين (غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولافساد أعظم من الجمع بين الخسرانين. والإحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ) فما نكحتموه منهن (فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن لأن المهر ثواب على البضع فما فى معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهن (فَرِيضَةً) حال من الأجور أى مفروضة أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بالأشياء قبل خلقها (حَكِيمًا) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الأنساب وقيل إن قوله فما استمتعتم نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا) فضلا يقال لفلان علىّ طول أى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (أَن يَنكِحَ) مفعول الطول فإنه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (الْمُحْصَنَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ) الحرائر المسلمات (فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) أى فلينكحن مملوكة من الإماء المسلمات وقوله: من فتياتكم. أى من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة ونكاح الأمة الكتابية يجوز عندنا والتقييد فى النص للاستحباب بدليل أن الإيمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان

موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول (وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم) فيه تنبيه على قبول ظاهر إيمانهن ودليل على أن الإيمان هو التصديق دون عمل اللسان لأن العلم بالإيمان المسموع لا يختلف (بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) أى لا تستنكفوا من نكاح الإماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالأنساب والتفاخر بالأحساب (فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) سادتهن وهو حجة لنا فى أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالى لا عقدهم وأنه ليس للعبد أو للأمة أن يتزوج إلا بإذن المولى (وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ) وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وإضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالى لأنهن وما فى أيديهن مال الموالى أو التقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (مُحْصَنَٰتٍ) عفائف حال من المفعول فى وآتوهن (غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ) زوان علانية (وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ) زوان سرا والأخدان: الأخلاء فى السر (فَإِذَآ أُحْصِنَّ) بالتزويج أحصن كوفى غير حفص (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ) زنا (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ) أى الحرائر (مِنَ ٱلْعَذَابِ) من الحد يعنى خمسين جلدة، وقوله: نصف ما على المحصنات. يدل على أنه الجلد لا الرجم لأن الرجم لا يتنصف وأن المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن (ذَٰلِكَ) أى نكاح الإماء (لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ) لمن خاف الإثم الذى تؤدى إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لأنه سبب الهلاك (وَأَن تَصْبِرُوا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الإماء متعففين (خَيْرٌ لَّكُمْ) لأن فيه إرقاق الولد ولأنها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفى الحديث «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت» (وَٱللَّهُ غَفُورٌ) يستر المحظور (رَّحِيمٌ) يكشف المحظور (يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد إضافة الأب. والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ) بمصالح عباده (حَكِيمٌ) فيما شرع

هم (وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (وَيُرِيدُ) الفجرة (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) وهو الميل عن القصد والحق ولاميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الأخوات لأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخت والأخ فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ) بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص (وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً) إلا أن تقع تجارة. تجارة كوفي أى إلا أن تكون التجارة تجارة (عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ) صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطى والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطى وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة لوجود الرضا وعلى نفى خيار المجلس لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أو لا تتبعوا أهواءها فتقتلوها أو تركبوا مايوجب القتل (إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ولرحمته بكم نهيكم على مافيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه أنه أمر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم وكان بكم ياأمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أى القتل أى ومن يقدم على القتل الأنفس (عُدْوَانًا وَظُلْمًا) لاخطأ ولا قصاصاً وهما مصدران فى موضع الحال أو مفعول لهما (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وَكَانَ ذَٰلِكَ) أى إصلاؤه النار (عَلَى اللهِ يَسِيرًا) سهلا وهذا الوعيد فى حق المستحل للتخليد وفى حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) عن ابن مسعود رضى الله عنهما الكبائر كل مانهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله: إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه. وعنه أيضا الكبائر ثلاث، الإشراك بالله واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبدالله كبير ماتنهون عنه وهو الكفر (وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا) مَدخلا مدنى وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كَرِيمًا) حسنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت. يريد الله ليبين لكم. والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم. إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم. إن الله لايغفر أن يشرك به. إن الله لايظلم مثقال ذرة. ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه. مايفعل الله بعذابكم. وتشبث المعتزلة بالآية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى أن الكبائر غير مغفورة باطل لأن الكبائر والصغائر فى مشيئته تعالى سواء إن شاء عذب عليهما وإن شاء عفا عنهما لقوله تعالى: إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء. فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله: إن الحسنات يذهبن السيئات. فهذه الآية تدل على أن الصغائر والكبائر يجوز أن يذهبا بالحسنات لأن لفظ السيئات ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى مافضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما ينبغى لكل من بسط فى الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه، فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه، والغبطة أن يتمنى مثل ماللغير وهو مرخص فيه والأول منهى عنه ولما قال الرجال: نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء: يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ) أى ليس ذلك على حسب الميراث (وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ) فإن خزائنه لاتنفد ولاتتمنوا ماللناس من الفضل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق. قال ابن عيينة لم يأمر بالمسئلة إلا ليعطى وفى الحديث «من لم يسأل الله من فضله غضب عليه» وفيه «ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول

لأعطى عبدى حتى يسألنى» وسلوا مكى وعلى (وَلِكُلٍّ) المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أو ولكل مال (جَعَلْنَا مَوَالِيَ) ورّاثا يلونه ويحرزونه (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) هو صفة مال محذوف أى لكل مال مما تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) مع الفاء . عقدت كوفى أى عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد الموالاة وهى مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم وهو قولنا وتفسيره إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربى ولا معتق فيقول لآخر : واليتك على أن تعقلنى إذا جنيت وترث منى إذا مت ويقول الآخر: قبلت انعقد ذلك ويرث الأعلى من الأسفل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى إنما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والأذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) وبأن نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم. ثم قسمهن على نوعين. النوع الأول (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ) مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج (حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أى إذ كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وقيل للغيب لأسرارهم (بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله: وعاشروهن بالمعروف. أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بحفظ الله إياهن حيث صيرهن كذلك. والثانى (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الأزواج. والنشز: المكان المرتفع والنبوة. عن ابن عباس رضى الله عنهما هو أن تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره (فَعِظُوهُنَّ) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة

كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) في المراقد أى لاتداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو أن يوليها ظهره فى المضجع لأنه لم يقل عن المضاجع (وَاضْرِبُوهُنَّ) ضربا غير مبرح. أمر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب إن لم يتجع فيهن الوعظ والهجران (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ) بترك النشوز (فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الأمر أى طلبته (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) أى إن علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو إن الله كان عليا كبيرا وإنكم تعصونه على علوشأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم إذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع كقوله: بل مكر الليل والنهار. وأصله بل مكر فى الليل والنهار. والشقاق: العداوة والخلاف، لأن كلا منهما يفعل مايشق على صاحبه أو يميل إلى شق أى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر مايدل عليهما وهو الرجال والنساء (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ) رجلا يصلح للحكومة والإصلاح بينهما (وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا) وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن إليهم فيبرزان مافى ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة. والضمير فى (إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا) للحكمين وفى (يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) للزوجين أى إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق وألقى فى نفوسهما المودة والاتفاق أو الضميران للحكمين أى إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أى إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلب الخير وأن يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بإرادة الحكمين (خَبِيرًا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفـــريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله (وَاعْبُدُوا اللَّهَ) قيل العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) صنما وغيره ويحتمل المصدر أى

إشراكا (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا) وأحسنوا بهما إحسانا بالقول والفعل والإنفاق عليهما عند الاحتياج (وَبِذِى الْقُرْبَىٰ) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ) الذى قرب جواره (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) أى الذى جواره بعيد أوالجار القريب النسيب، والجار الجنب الأجنبي (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) أى الزوجة عن علىّ رضي‌الله عنه. أو الذى صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا فى سفر أو شريكا فى‌تعلم علم أو غيره أوقاعدا إلى‌جنبك فى‌مجلس أومسجد (وَابْنِ السَّبِيلِ) الغريب أوالضيف (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ) العبيد والإماء (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا) متكبرا يأنف عن قراباته وجيرانه فلا يلتفت إليهم (فَخُورًا) يعدد مناقبه كبرا فإن عدها اعترافا كان شكورا (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من أو على الذم أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين يبخلون , وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) بالبَخَل حمزة وعلى وهمالغتان كالرشد والرشد أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى‌أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوابه مقتا للسخاء. قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح أن لا يأكل ولايؤكل والسخاء أن‌يأكل ويؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل (وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفى الحديث « إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده» وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره ثم به فقال الرجل ياأمير المؤمنين إن‌الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه ، وقيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) أى يهانون‌فيه الآخرة (وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ) معطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين (رِئَآءَ النَّاسِ) مفعول له أى‌للفخار وليقال ماأجودهم لالابتغاء وجه‌الله وهم‌المنافقون‌أومشركو مكة (وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَـٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم فى النار (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ) وأى تبعة ووبال عليهم فى الإيمان والإنفاق

فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للعاق ماضرك لو كنت بارا وقد علم أنه لامضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ (وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا) وعيد (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) هى النملة الصغيرة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة (وَإِن تَكُ حَسَنَةً) وإن يك مثقال الذرة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث. حسنةٌ حجازى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يُضَٰعِفْهَا) يضاعف ثوابها. يضعِّفها مكى وشامى (وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمى متاع الدنيا قليلا . وفيه إبطال قول المعتزلة فى تخليد مرتكب الكبيرة مع أن له حسنات كثيرة (فَكَيْفَ) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وَجِئْنَا بِكَ) يامحمد (عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ) أى أمتك (شَهِيدًا) حال أى شاهدا على من آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق. وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. فبكى رسول الله ﷺ وقال : حسبنا (يَوْمَئِذٍ) ظرف لقوله (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ) لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى أو يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون حالها. تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف إحدى التاءين من تتسوى حمزة وعلى. تسوى بإدغام التاء فى السين مدنى وشامى (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) مستأنف أى ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلى بهم المغرب فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ماأعبد ، نزل (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ) أى لا تقربوها فى هذه الحالة (حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) أى تقرءون وفيه دليل على أن ردة السكران ليست بردة لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان وما أمر النبى عليه

السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الإيمان ولأن الأمة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (وَلَا جُنُبًا) عطف على وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أى ولا تصلوا جنبا، والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الإجناب (إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ) صفة لقوله جنبا أى لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير مسافرين، والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لاتقربوا الصلاة غير مغتسلين (حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا) إلا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن التيمم بالمسافر لأن غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله وهو مروى عن على رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله: لا تقربوا الصلاة أى مواضع الصلاة وهى المساجد ولا جنبا أى ولا تقربوا المسجد جنبا إلا عابرى سبيل إلا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور فى المسجد عند الحاجة (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ) أى المطمئن من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث (أَوْ لَٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ) جامعتموهن كذا عن على رضى الله عنه وابن عباس (فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً) فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول إليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو (فَتَيَمَّمُوا) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذى هو الأمر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه والمسافرون إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه لبعض الأسباب فلهم أن يتيمموا. لمستم حمزة وعلى (صَعِيدًا) قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب التيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره. ومن فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طَيِّبًا) طاهرا (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) قيل الباء زائدة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا) بالترخيص والتيسير (غَفُورًا) عن الخطأ والتقصير (أَلَمْ تَرَ) من رؤية القلب وعدى بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم (إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يَشْتَرُونَ الضَّلَٰلَةَ) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله ﷺ وأنه

هو النبي العربى المبشر به فى التوراة والإنجيل (وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا) أنتم أيها المؤمنون (السَّبِيلَ) أى سبيل الحق كما ضلوه (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) منكم (بِأَعْدَآئِكُمْ) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا) فى النفع (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا) فى الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لاتبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته، وهو (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه فى التوراة التى وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه. ثم ذكر هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على مابينا من إزالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه. ومعنى من بعد مواضعه أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك قيل أسرّوا به (وَاسْمَعْ) قولنا (غَيْرَ مُسْمَعٍ) حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذووجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لاسمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب. ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قوله (وَرَٰعِنَا) يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل ينوون

به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ) فتلا بها وتحريفا أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لاأسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (وَطَعْنًا فِي الدِّينِ) هو قولهم: لو كان نبيا حقا لأخبر بما نعتقد فيه (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) ولم يقولوا وعصينا (وَاسْمَعْ) ولم يلحقوا به غير مسمع (وَانظُرْنَا) مكان راعنا (لَكَانَ) قولهم ذاك (خَيْرًا لَّهُمْ) عند الله (وَأَقْوَمَ) واعدل وأسد (وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو إلا إيمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) يعنى القرآن (مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم) يعنى التوراة (مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا) أى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رءوسهم ووجهاؤهم أى من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ) أى نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع إلى الوجوه إن إريد الوجهاء أو إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات. والوعيد كان معلقا بأن لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فإن ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشام فأتى النبى ﷺ مسلما قبل أن يأتى أهله وقال ما كنت أرى أن أصل إلى أهلى قبل أن يطمس الله وجهى. أو أن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فإن كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) أى المأمور به وهو العذاب الذى أوعدوا به (مَفْعُولًا) كائنا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ) إن مات عليه (وَيَغْفِرُ

مَادُونَ ذَٰلِكَ) أى مادون الشرك وإن كان كبيرة مع عدم التوبة، والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة وأن وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أى لايغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبي عليه السلام «من لقى الله تعالى لايشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته» وتقييده بقوله (لِمَن يَشَآءُ) لا يخرجه عن عمومه كقوله: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء. قال على رضى الله عنه: مافى القرآن آية أحب إلى من هذه الآية. وحمل المعتزلة على التائب باطل لأن الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى: قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقدسلف. فادونه أولى أن يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ) إعلام بأن تزكية الله هى التي يعتد بها لاتزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى. (وَلَا يُظْلَمُونَ) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (فَتِيلًا) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ (انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فى زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وَكَفَىٰ بِهِ) بزعمهم هذا (إِثْمًا مُّبِينًا) من بين سائر آثامهم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ) يعنى اليهود (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ) أى الأصنام وكل ماعبدوه من دون الله (وَالطَّاغُوتِ) الشيطان (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) وذلك أن حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله ﷺ فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأنتم إلى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم من رحمته (وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)

يمتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم ويتمنون مالغيرهم فقال (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ) فأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك (فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا) أى لو كان لهم نصيب من الملك اى ملك أهل الدنيا أوملك الله فإذا لايؤتون أحدا مقدار نقيرلفرط بخلهم، والنقير: النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل (أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ) بل أيحسدون رسول الله ﷺ والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ) أى التوراة (وَٱلْحِكْمَةَ) الموعظة والفقه (وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ماأوتى أسلافه (فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل إبراهيم (وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ) وأنكره مع علمه بصحته أومن اليهود من آمن برسول الله ﷺ ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه (وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) للصادين (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ)ندخلهم (نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) أحرقت (بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لالتغاير الأصلين عندأهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز : أعزك الله أى أدامك على عزك (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين (حَكِيمًا) فيما يفعل بالكافرين (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ) من الأنجاس والحيض والنفاس (وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال : ليل أليل وهو ما كان طويلا فينانا لاجوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لاحر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة ثم خاطب الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل بقوله (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا) وقيل تدخل فى هذا الأمر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الإنسان وحفظ الحواس

التى هى ودائع الله تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ) قضيتم (أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) بالسوية والإنصاف وقيل إن عثمان بن طلحة بن عبدالدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله ﷺ منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بأن يرده إليه وقال رسول الله ﷺ «لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا» وقرأ عليه الآية فأسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا (إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشيء الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعمّا يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكم. وبكسر النون وسكون العين مدنى وأبو عمرو، وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا) لأقوالكم (بَصِيرًا) بأعمالكم ولما أمر الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) أى الولاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الأمراء (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ) فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر فى شىء من أمور الدين (فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) أى ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى إن الإيمان يوجب الطاعة دون العصيان، ودلت الآية على أن طاعة الأمراء واجبه إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» وحكى أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لأبى حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله: وأولى الأمر منكم. فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله أى القرآن والرسول فى حياته وإلى أحاديثه بعد وفاته (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الرد أى الرد إلى الكتاب والسنة (خَيْرٌ) عاجلا (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى إلى النبى ﷺ لعلمه أنه لا يرتشى ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ليرشوه فاحتكما إلى النبى عليه السلام فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم إلى عمر فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه: قضى لى رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضى لمن لم يرض

بقضاء الله ورسوله فنزل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) وقال جبريل عليه السلام : إن عمر فرق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله ﷺ «أنت الفاروق» (يُرِيدُونَ) حال من الضمير فى يزعمون (أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّٰغُوتِ) أى كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لإفراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله (وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ) عن الحق (ضَلَٰلًا بَعِيدًا) مستمرا إلى الموت (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) للمنافقين (تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) للتحاكم (رَأَيْتَ الْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا) يعرضون عنك إلى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضي لهم (فَكَيْفَ) تكون حالهم وكيف يصنعون (إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ) من قتل عمر بشرا (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثُمَّ جَآءُوكَ) أى أصحاب القتيل من المنافقين (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ) حال (إِنْ أَرَدْنَآ) ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك (إِلَّآ إِحْسَٰنًا) لا إساءة (وَتَوْفِيقًا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به (أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ) من النفاق (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) فأعرض عن قبول الأعذار وعظ بالزجر والإنكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والإنذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه وفى أنفسهم يتعلق بقل لهم أى قل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ) أى رسولا قط (إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) بتوفيقه فى طاعته وتيسيره أو بسبب إذن الله فى طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ) بالتحاكم إلى الطاغوت (جَآءُوكَ) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا

من الشقاق (فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ) من النفاق والشقاق (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) بالشفاعة لهم والعامل فى إذظلموا خبرأنّ وهوجاؤك والمعنى ولووقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا) لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه ﷺ وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رَحِيمًا) بهم قيل جاء أعرابى بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك: ولو أنهم إذظلموا أنفسهم الآية وقدظلمت نفسى وجئتك أستغفر الله من ذنبى فاستغفرلى من ربى فنودى من قبره قد غفر لك (فَلَا وَرَبِّكَ) أى فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لَا يُؤْمِنُونَ) أو التقدير فلا أى ليس الأمر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا) ضيقا (مِّمَّا قَضَيْتَ) أى لا تضيق صدورهم من حكمك أوشكًا لأن الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة. وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم ، والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ) على المنافقين أى ولو وقع كتبنا عليهم (أَنِ اقْتُلُوا) أن هى المفسرة (أَنفُسَكُمْ) أى تعرضوا للقتل بالجهاد. أوولو أوجبنا عليهم مثل ماأوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم (أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم) بالهجرة (مَّا فَعَلُوهُ) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ) قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) فى الدارين (وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) لإيمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه (وَإِذًا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل وإذا لو ثبتوا (لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا) مفعول ثان (مُّسْتَقِيمًا) أى لثبتناهم على الدين الحق (وَمَن يُطِعِ

اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ) كأفاضل صحابة الأنبياء. والصديق: البالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله (وَالشُّهَدَآءِ) والذين استشهدوا فى سبيل الله (وَالصَّٰلِحِينَ) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وَحَسُنَ أُوْلَٰئِكَ رَفِيقًا) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه (ذَٰلِكَ) مبتدأ خبره (الْفَضْلُ مِنَ اللهِ) أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله (وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيمًا) بعباده وبمن هو أهل الفضل . ودلت الآية على أن ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) الحِذر والحَذر بمعنى وهو التحرز وهما كالإثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فَانفِرُوا ثُبَاتٍ) فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة (أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا) أى مجتمعين أو مع النبى عليه السلام لأن الجمع بدون السمع لا يتم، والعقد بدون الواسطة لا ينتظم. أو انفروا ثبات إذا لم يعم النفير أو انفروا جميعا إذا عم النفير. وثبات حال وكذا جميعا واللام فى (وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن) للابتداء بمنزلتها فى إن الله لغفور ومن موصولة وفى (لَّيُبَطِّئَنَّ) جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من، والضمير الراجع منها إليه ما استكن فى ليبطئن أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد، وبطؤ بمعنى أبطأ أى تأخر ويقال ما بطؤ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ وقوله منكم أى فى الظاهر دون الباطن يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الأمر (فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ) قتل أو هزيمة (قَالَ) المبطئ (قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا) حاضرا فيصيبنى مثل ما أصابهم (وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ) فتح أو غنيمة (لَيَقُولَنَّ) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة (كَأَن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه (لَّمْ تَكُنْ)[1] وبالتاء مكى وحفص (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) وهى اعتراض بين الفعل وهو

(١) فى النسخ المطبوعة كأن لم يكن وهذه القراءة للباقين وهى المناسبة لقول المفسر وبالتاء ، ولم نتبع النسخ لأننا اتبعنا ما فى المصحف من قراءة حفص.

ليقولن وبين مفعوله وهو (يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن (فَأَفُوزَ) بالنصب لأنه جواب التمنى (فَوْزًا عَظِيمًا) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ) يبيعون (ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون، والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بأن يغيروا مابهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده (وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده فى إعزاز دين الله (وَمَا لَكُمْ) مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الإثبات للإنكار (لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى وأى شىء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ) مجرور بالعطف على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أو منصوب على الاختصاص منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لأن سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد(مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ) ذكر الولدان تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام. وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ) يعنى مكة (ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا) الظالم وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطى إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها (وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقى بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو

محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد ﷺ استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا. قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولى لهم إلا الشيطان بقوله (الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّـٰغُوتِ) أى الشيطان (فَقَـٰتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَـٰنِ) أى الكفار (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَـٰنِ) أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كَانَ ضَعِيفًا) لأنه غرور لا يؤول إلى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) أى عن القتال (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ) أى فرض بالمدينة (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا، وخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يخشون الناس مثل خشية أهل الله أى مشبهين لأهل خشية الله (أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) هو معطوف على الحال أى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أى إن قلت خشيتهم الناس كخشية الله فأنت مصيب وإن قلت إنها أشد فأنت مصيب لأنه حصل لهم مثلها وزيادة (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) هلا أمهلتنا إلى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قُلْ مَتَـٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ولا تنقصون أدنى شىء من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه. وبالياء مكى وحمزة وعلى، ثم أخبر أن الحذر لا ينجى من القدر بقوله (أَيْنَمَا

تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ) مازائدة لتوكيد معنى الشرط فى أين (وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ) حصون أو قصور (مُّشَيَّدَةٍ) مرفعة (وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ) نعمة من خصب ورخاء (يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ) نسبوها إلى الله (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) بلية من قحط وشدة (يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ) أضافوها إليك وقالوا هــذه من عندك وما كانت إلا بشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى وإذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد ﷺ فكذبهم الله تعالى بقوله (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ) والمضاف إليه محذوف أى كل ذلك فهو يبسط الأرزاق ويقبضها (فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ) يفهمون (حَدِيثًا) فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (مَّا أَصَابَكَ) يا إنسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره (مِنْ حَسَنَةٍ) من نعمة وإحسان (فَمِنَ اللَّهِ) تفضلا منه وامتنانا (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ) من بلية ومصيبة (فَمِن نَّفْسِكَ) فمن عندك أى فبما كسبت يداك. وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا) لا مقدرا حتى نسبوا إليك الشدة أو أرسلناك للناس رسولا فإليك تبليغ الرسالة وليس إليك الحسنة والسيئة (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) بأنك رسوله، وقيل هذا متصل بالأول أى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك. وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة فى الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك إذ يقال فى الأفعال ما أصبت ولأنهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وإيجادا فأنى يكون لهم حجة فى ذلك. وشهيدا تمييز (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته فى أوامره ونواهيه طاعة لله (وَمَن تَوَلَّىٰ) عن الطاعة فأعرض عنه (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليهـا وتعاقبهم (وَيَقُولُونَ) ويقول المنافقون إذا أمرتهم بشىء (طَاعَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة (فَإِذَا بَرَزُوا) خرجوا (مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) زوّر وسوّى فهو من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها. وبالإدغام حمزة وأبو عمرو (غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون (وَاللَّهُ

يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) فى شأنهم فإن الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم إذا قوى أمر الإسلام (وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا) كافيا لمن توكل عليه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ) أفلا يتأملون معانيه ومبانيه. والتدبر: التأمل والنظر فى أدبار الأمر وما يؤول إليه فى عاقبته ثم استعمل فى كل تأمل . والتفكر : تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ والإمام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ) كما زعم الكفار (لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) أى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعانى فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله: فإذا هى ثعبان مبين. كأنها جان. فوربك لنسألنهم أجمعين. فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان. فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة فى كتابنا هذا فى مظانها إن شاء الله تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال أو المنافقون كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أَذَاعُوا بِهِ) أفشوه وكانت إذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود إلى الأمر أو إلى الأمن أو الخوف لأن أو تقتضى أحدهما (وَلَوْ رَدُّوهُ) أى ذلك الخبر (إِلَى الرَّسُولِ) أى رسول الله ﷺ (وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ) يعنى كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لَعَلِمَهُ) لعلم تدبير ما أخبروا به (الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، وقيل كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه. والنبط:

الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ) بإرسال الرسول (وَرَحْمَتُهُ) بإنزال الكتاب (لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَٰنَ) لبقيتم على الكفر (إِلَّا قَلِيلًا) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما. لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال (فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ) إن أفردوك وتركوك وحدك (لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله تعالى ناصرك لا الجنود، وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله ﷺ اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) وما عليك فى شأنهم إلا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير إن أطماع الكريم أعود من إنجاز اللئيم (وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا) من قريش (وَأَشَدُّ تَنكِيلًا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً) هى الشفاعة فى دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا (يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا) من ثواب الشفاعة (وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً) هى خلاف الشفاعة الحسنة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: مالها مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن: هو المشى بالصلح وضده النميمة (يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا) نصيب (وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا) مقتدراً من أقات على الشىء اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها (وَإِذَا حُيِّيتُم) أى سلم عليكم فإن التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله. تحيتهم يوم يلقونه سلام. وكانت العرب تقول عند اللقاء: حياك الله أى أطال الله حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام (بِتَحِيَّةٍ) هى تفعلة من حيا يحيى تحية (فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا) أى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته إذا قال ورحمة الله ويقال لكل شىء منتهى ومنتهى السلام وبركاته (أَوْ رُدُّوهَا) أى أجيبوها بمثلها، ورد السلام جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف أى ردوا مثلها. والتسليم سنة والرد فريضة والأحسن فضل. وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم

عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة. ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهراً ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة. وعند أبى يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام أو غيره ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته والماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وقيل بأحسن منها لأهل الملة أو ردوها لأهل الذمة وعن النبى ﷺ «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» أى وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام «لا غرار فى تسليم» أى لا يقال عليك بل عليكم لأن كاتبيه معه (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) أى يحاسبكم على كل شىء من التحية وغيرها (اللَّهُ) مبتدأ (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) خبره أو اعتراض والخبر (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) ومعناه الله والله ليجمعنكم (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى ليحشرنكم إليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لَا رَيْبَ فِيهِ) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود إلى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود إلى الجمع (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) تمييز وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه فى إخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه إخباراً عن الشىء بخلاف ما هو عليه (فَمَا لَكُمْ) مبتدأ وخبر (فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) أى ما لكم اختلفتم فى شأن قوم قد نافقوا نفاقاً ظاهراً وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ فى الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم: هم كفار، وقال بعضهم: هم مسلمون. وفئتين حال كقولك مالك قائما، قال سيبويه إذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أى شىء يستقر لك فى هذه الحال (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم) ردهم إلى حكم الكفار (بِمَا كَسَبُوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا فى كفرهم (أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) من جعله الله ضالا أو أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم

فيكون تعييراً لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا فى إثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقا إلى الهداية (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى ودوا لو تكفرون كفراً مثل كفرهم (فَتَكُونُونَ) عطف على تكفرون (سَوَآءً) أى مستوين أنتم وهم فى الكفر (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لأن الهجرة فى سبيل الله بالإسلام (فَإِن تَوَلَّوْا) عن الإيمان (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) كما كان حكم سائر المشركين (وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ) أى ينتهون إليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ) القوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد وذلك انه وادع قبل خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمى على أن لايعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال والتجأ إليه فله من الجوار مثل الذى لهلال أى فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق (أَوْ جَاءُوكُمْ) عطف على صفة قوم أى إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين من القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أى إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لايقاتلونكم (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) حال بإضمار قد. والحصر: الضيق والانقباض (أَن يُقَاتِلُوكُمْ) من أن يقاتلوكم أى عن قتالكم (أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ) معكم (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ) بتقوية قلوبهم وإزالة الحصر عنها (فَلَقَاتَلُوكُمْ) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ) فإن لم يتعرضوا لكم (فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) أى الانقياد والاستسلام (فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) طريقاً إلى القتال (سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ) بالنفاق (وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ) بالوفاق هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين (أُرْكِسُوا فِيهَا) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ) فإن لم يعتزلوا قتالكم (وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) عطف على لم يعتزلوكم أى ولم ينقادوا لكم بطلب

الصلح (وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ) عطف عليه أيضا أى ولم يمسكوا من قتالكم (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر وإضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ) وماصح له ولا استقام ولا لاق بحاله (أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا) ابتداء من غير قصاص أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم إباحة دمه (إِلَّا خَطَأً) إلا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن إن وقع خطأ ويحتمل أن يكون صفة لمصدر أى إلا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرى كافرا فيصيب مسلما أو يرى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم (وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً) صفة مصدر محذوف أى قتلا خطأ (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه تحرير رقبة والتحرير: الإعتاق، والحر والعتيق الكريم لأن الكرم فى الأحرار كما أن اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها. والرقبة: النسمة ويعبر عنها بالرأس فى قولهم: فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مُؤْمِنَةٍ) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات إذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما. أو من كان ميتا فأحييناه. ولهذا منع من تصرف الأحرار وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب فى العمد أيضا لكن يحتمل أن يقال إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شىء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورّث رسول الله ﷺ امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا) إلا أن يتصدقوا عليه بالدية أى يعفوا عنه، والتقدير فعليه دية فى كل حال إلا فى حال التصدق عليه بها (فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ) فإن كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أى كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) أى المقتول مؤمن (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) يعنى إذا أسلم الحربى فى دار الحرب

ولم يهاجر إلينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهي الإسلام ولا تجب الدية لأن العصمة المقومة بالدار ولم توجد (وَإِن كَانَ) أي المقتول (مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ) بين المسلمين (وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ) عهد (فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) أي وإن كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على أن دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) رقبة أي لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ) فعليه صيام شهرين (مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ) قبولا من الله ورحمة منه، من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهي نصب على المصدر (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بما أمر (حَكِيمًا) فيما قدر (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا) حال من ضمير القاتل أي قاصداً قتله لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضاً (فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) أي ان جازاه. قال عليه السلام «هي جزاؤه ان جازاه» والخلود قد يراد به طول المقام. وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى: يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى: (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ) أي انتقم منه وطرده من رحمته (وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما. في الحديث «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم» (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) سرتم في طريق الغزو (فَتَبَيَّنُوا) فتثبتوا حمزة وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) السلم مدني وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام (لَسْتَ مُؤْمِنًا) في موضع النصب بالقول. وروي أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال «قتلتموه إرادة مامعه» ثم قرأ الآية على أسامة (تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه. والعرض: المال، سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر

الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ) أول مادخلتم فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم، والكاف فى كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بالاستقامة والاشتهار بالإيمان فافعلوا بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم (فَتَبَيَّنُوا) كرر الأمر بالتبين ليؤكد عليهم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك (لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ) عن الجهاد (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) بالنصب مدنى وشامى وعلى لأنه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين، والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وإن كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الأولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لايستوون فأجيب بذلك (دَرَجَةً) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب (وَكُلًّا) أى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لأنه مفعول أول لقوله (وَعَدَ اللَّهُ) والثانى (الْحُسْنَىٰ) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ) بغير عذر (أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) قيل انتصب أجرا بفضل لأنه فى معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه أسواطا أى ضربات، وأجرا عظيما. على أنه حال من النكرة التى هى درجات مقدمة عليها. ومغفرة ورحمة. بإضمار فعلهما أى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله أن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبى عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لأن الجهاد فرض كفاية (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) بتكفير العذر (رَّحِيمًا) بتوفير الأجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين

إلى بدر مرتدا فقتل كافرا (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين، والتوفى: قبض الروح، والملائكة: ملك الموت وأعوانه (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) حال من ضمير المفعول فى توفاهم أى فى حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة (قَالُوا) أى الملائكة للمتوفين (فِيمَ كُنْتُمْ) أى فى أى شىء كنتم فى أمر دينكم ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شىء من الدين (قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ) عاجزين عن الهجرة (فِي الْأَرْضِ) أرض مكة فأخرجونا كارهين (قَالُوا) أى الملائكة موبخين لهم (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) خبر إن فأولئك ودخول الفاء لما فى الذين من الإبهام المشابه بالشرط أوقالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم أنه يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة» وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد ﷺ (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أوللرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك ، والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس بشىء بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ) وعسى وإن كان للإطماع فهو من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع أنجز (وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) لعباده قبل أن يخلقهم (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم، والرغم: الذل والهوان ، وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك (كَثِيرًا وَسَعَةً) فى الرزق أو فى إظهار الدين أو فى الصدر لتبدل الخوف بالأمن (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا) حال من الضمير فى يخرج (إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى حيث أمر الله ورسوله

(ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ) أى حصل له الأجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شىء يجب على الله لأحد من خلقه (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) قالوا كل هجرة لطلب علم أوحج أوجهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أوزهدا أو ابتغاء رزق طيب فهى هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت فى طريقه فقد وقع أجره على الله (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ) سافرتم فيها فالضرب فى الأرض هو السفر (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ)حرج (أَن تَقْصُرُوا) فى أن تقصروا (مِنَ الصَّلَوٰةِ)من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين، وظاهر الآية يقتضى أن القصر رخصة فى السفر والإكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لأن لاجناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة وقلنا: القصر عزيمة غير رخصة ولايجوز الإكمال لقول عمر رضى الله عنه: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ. وأما الآية فكأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه (إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا) إن خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ، والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر: مابالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما تعجبت منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» وفيه دليل على أنه لا يجوز الإكمال فى السفر لأن التصدق بما لايحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد وإن كان المتصدق ممن لا تلزم طاعته كولى القصاص إذا عفا فمن تلزم طاعته أولى ولأن حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله : إن أردن تحصنا. دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لئلا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الأحوال وهو أن يومى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) فتحرزوا عنهم(وَإِذَا كُنتَ) يا محمد (فِيهِمْ) فى أصحابك (فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ) فأردت أن تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلايرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا: الأئمة نواب عن رسول الله ﷺ فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل إمام كقوله تعالى: خذ من

أموالهم صدقة تطهرهم. دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام (فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ) فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ) أى الذين تجاه العدو. عن ابن عباس رضى الله عنهما وإن كان المراد به المصلين قالوا يأخذون من السلاح مالايشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فَإِذَا سَجَدُوا) أى قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ) أى إذا صلت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو (وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا) فى موضع رفع صفة لطائفة (فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ) أى ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية (وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وَأَسْلِحَتَهُمْ) جمع سلاح وهو مايقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ) أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم (فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً) فيشدون عليكم شدة واحدة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا) فى أن تضعوا (أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) رخص لهم فى وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب مايبلهم من مطر أويضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وإنما هو تعبد من الله تعالى (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ) فرغتم منها (فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) أى دوموا على ذكر الله فى جميع الأحوال أوفإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما إن قدرتم عليه وقعودا إن عجزتم عن القيام ومضطجعين إن عجزتم عن القعود (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ) سكنتم بزوال الخوف (فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) فأتموها بطائفة واحدة أوإذا أقمتم فأتموا ولاتقصروا أوإذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود (إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة (وَلَا تَهِنُوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) أى

ليس ما تجـدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه فما لـكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أجدر منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله مالا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة (وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا) بما يجد المؤمنون من الألم (حَكِيمًا) فى تدبير أمورهم. روى أن طعمة بن أبيرق أحدبنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ماأخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثرالدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرىء اليهودى فهم رسول الله ﷺ أن يفعل فنزل (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أى محقا (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ) بماعرفك وأوحى به إليك، وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بماألهمك بالنظر فى أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه (وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ) لأجل الخائنين (خَصِيمًا) مخاصما أى ولا تخاصم اليهود لأجل بنى ظفر (وَاسْتَغْفِرِ اللهَ) مماهممت به (إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم لأن الضرر راجع إليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق أو ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) وإنما قيـل بلفظ المبالغة لأنه تعالى عالم من طعمة أنه مُفْرِط فى الخيانة وركوب المـآثم وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل إذاعثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضى الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه، فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة (يَسْتَخْفُونَ) يستترون (مِنَ النَّاسِ) حياء منهم وخوفا من ضررهم (وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ) ولايستحيون منه (وَهُوَ مَعَهُمْ) وهو عالم بهم مطلع عليهم لايخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم

أنهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة (إِذْ يُبَيِّتُونَ) يدبرون وأصله أن يكون ليلا (مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ) وهو تدبير طعمة أن يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرَّق دونه ويحلف أنه لم يسرقها وهو دليل على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) عالما علم إحاطة (هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر (جَٰدَلْتُمْ) خاصمتم وهى جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كقولك لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم (عَنْهُمْ) عن طعمة وقومه (فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) فمن يخاصم عنهم فى الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه. وقرئ عنه أى عن طعمة (أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا) ذنبا دون الشرك (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) بالشرك أو سوءا قبيحا يتعدى ضرره إلى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ) يسأل مغفرته (يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) لأن وباله عليها (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً) صغيرة (أَوْ إِثْمًا) أو كبيرة أو الأول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد (ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا) كما رمى طعمة زيدا (فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَٰنًا) كذبا عظيما (وَإِثْمًا مُّبِينًا) ذنبا ظاهرا وهذا لأنه بكسب الإثم آثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الأمرين، والبهتان كذب يبهت من قيل عليه مالا علم له به (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ) أى عصمته ولطفه من الإطلاع على سرهم (لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ) من بنى ظفر أو المراد بالطائفة بنو ظفر الضمير فى منهم يعود إلى الناس (أَن يُضِلُّوكَ) عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بأن الجانى صاحبهم (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ) لأن وباله عليهم (وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) والسنة (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ) من أمور الدين والشرائع أو من خفيات الأمور وضمائر القلوب (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) فيما علمك وأنعم عليك (لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ) من تناجى الناس (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ)

إلا نجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير (أَوْ مَعْرُوفٍ) أي قرض أو إغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) أي إصلاح ذات البين (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) المذكور (ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والإشكال أنه قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب أنه ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) يؤتيه أبو عمرو وحمزة (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) أي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا (وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ) في العقبى (وَسَاءَتْ مَصِيرًا) قيل هي في طعمة وارتداده (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ) مر تفسيره في هذه السورة (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الصواب (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) مايعبدون من دون الله (إِلَّا إِنَاثًا) جمع أنثى وهي اللات والعزى ومناة ولم يكن حي من العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله (وَإِن يَدْعُونَ) يعبدون (إِلَّا شَيْطَانًا) لأنه هو الذي أغراهم على عبادة الأصنام فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مَّرِيدًا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الأمرد (لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ) صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) مقطوعا واجبا لي من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ) بالدعاء إلى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان إنفاذ الضلالة إليه لأضل الكل (وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) ولألقين في قلوبهم الأماني الباطلة من طول الأعمار

وبلوغ الآمال (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَٰمِ) البتك: القطع. والتبتيك للتكثير والتكرير أى لأحملنهم على أن يقطعوا آذان الأنعام وكانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) بفقء عين الحامى وإعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح فى البهائم محظور فى بنى آدم أو بالوشم أو بنفى الأنساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التى هى دين الإسلام لقوله لا تبديل لخلق الله. (وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ) وأجاب إلى مادعاه إليه (فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا) فى الدارين (يَعِدُهُمْ) يوسوس إليهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (وَيُمَنِّيهِمْ) مالا ينالون (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا) هو أن يرى شيئا يظهر خلافه (أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا) معدلا ومفرا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ) ولم يتبعوا الشيطان فى الأمر بالكفر (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) وقرأ النخعى سيدخلهم (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) مصدران الأول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) قولا وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ) ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام (وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. لن تمسنا النار إلا أياما معدودة. (مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ) أى من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) وهذا وعيد للكفار لأنه قال بعده (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فقوله وهو مؤمن حال ومن الأولى للتبعيض والثانية لبيان الإبهام فى من يعمل وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يُدخلون مكى وأبو عمرو وأبو بكر (وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) قدر النقير وهو النقرة فى ظهر النواة والراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله: من يعمل سوءا يجز به. وقوله: ومن يعمل من الصالحات. بعد ذكر تمنى أهل الكتاب كقوله: بلى من كسب

سيئة وأحاطت به خطيئته.وقوله: والذين آمنوا وعملوا الصالحات. عقيب قوله: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وَهُوَ مُحْسِنٌ) عامل للحسنات (وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) مائلا عن الأديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) هو فى الأصل الخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يداخلك خلال منزلك أويسد خللك كايسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الأسرار والمحبة أصفى لأنها من حبة القلب وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كقوله والحوادث جمة . وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفى الحديث «اتخذ الله إبراهيم خليلا لإطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام» وقيل أوحى إليه إنما اتخذتك خليلا لأنك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لأنك تعطى الناس ولا تسألهم وفى قوله (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) دليل على أن اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل إليه لا لاحتياجه تعالى إليه لأنه منزه عن ذلك (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) عالما (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ) ويسألونك الإفتاء فى النساء والإفتاء تبيين المبهم (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ) أى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب أى القرآن فى معنى اليتامى يعنى قوله: وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى. وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه وما يتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم أو على لفظ الله وفى يتامى النساء صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن والإضافة بمعنى من (الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ) أى فى أن تنكحوهن لجمالهن أو عن أن تنكحوهن لدمامتهن (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) أى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء (وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم

فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بِالْقِسْطِ) بالعدل فى ميراثهم وملكهم (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) شرط وجوابه (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً) اى فيجازيكم عليه (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته . والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها بسبب أو ضرب (أَوْ إِعْرَاضاً) عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أوسوء فى خلق أوخلق أوملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا) كوفى . يصّالحا غيرهم اى يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صادا وأدغمت (صُلْحًا) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين . ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة فى كل شىء أو والصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهـذه الجملة اعتراض كقوله (وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ) اى جعل الشح حاضرا لها لايغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعنى أنها مطبوعة عليه . والمراد أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب مافيه راحته . وأحضرت يتعدى إلى مفعولين والأول الأنفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وَإِن تُحْسِنُوا) بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وَتَتَّقُوا) النشوز والإعراض ومايؤدى إلى الأذى والخصومة (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الإحسان والتقوى (خَبِيرًا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من أدم بنى آدم وامرأته من أجلهم فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أنى وإياك من أهل الجنة قال كيف؟ فقالت لأنك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لايقع ميل البتة فتمام العدل أن يسوى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والمحالة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه أن تعدلوا فى المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « هذه قسمتى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك » يعنى المحبة لأن عائشة رضى الله عنها كانت أحب إليه (وَلَوْ حَرَصْتُمْ) بالغتم

فى مجرى ذلك (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعنى أن اجتناب كل الميل فى حد اليسر فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط فى العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لأن له حكم مايضاف إليه (فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة (وَإِن تُصْلِحُوا) بينهن (وَتَتَّقُوا) الجور (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم (وَإِن يَتَفَرَّقَا) أى إن لم يصطلح الزوجان على شىء وتفرقا بالخلع أو بتطليقه إياها وإيفائه مهرها ونفقة عدتها (يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا) كل واحد منهما (مِّن سَعَتِهِ) من غناه أى يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه (وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا) بتحليل النكاح (حَكِيمًا) بالإذن فى السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغنى المقتدر ثم بين غناه وقدرته بقوله (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقا والمتملكون عبيده رقا (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (مِن قَبْلِكُمْ) من الأمم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (وَإِيَّاكُمْ) عطف على الذين أوتوا (أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية فى معنى القول ، والمعنى أن هذه وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون عنده (وَإِن تَكْفُرُوا) عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا) عن خلقه وعن عبادتهم (حَمِيدًا) مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد . وتكرير قوله : لله مافى السماوات ومافى الأرض . تقرير لما هو موجب تقواه لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله، وقوله: وإن تكفروا. عقيب التقوى دليل على أن المراد الاتقاء عن الشرك (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يعدمكم (أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) ويوجد إنسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس (وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا) بليغ القدرة (مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه

أخسهما (وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا) للأقوال (بَصِيرًا) بالأفعال وهو وعد ووعيد (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ) مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا (شُهَدَاءَ) خبر بعد خبر (لِلَّهِ) أى تقيمون شهاداتكم لوجه الله (وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هى الإقرار على نفسه لأنه فى معنى الشهادة عليها بإلزام الحق وهذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها فى الإخبار عن حق لأحد على أحد غير أن الدعوى إخبار عن حق لنفسه على الغير، والإقرار للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير (أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) أى ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (إِن يَكُنْ) المشهود عليه (غَنِيًّا) فلايمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أَوْ فَقِيرًا) فلايمنعها ترحما عليه (فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) بالغنى والفقير أى بالنظر لهما والرحمة وإنما ثنى الضمير فى بهما وكان حقه أن يوحد لأن المعنى إن يكن أحدهذين لأنه يرجع إلى مادل عليه قوله: غنيا أو فقيرا. وهو جنس الغنى والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسى الغنى والفقير أى بالأغنياء والفقراء (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ) إرادة (أَن تَعْدِلُوا) عن الحق من العدول أو كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل (وَإِن تَلُوُوا) بواو واحدة وضم اللام شامى وحمزة من الولاية (أَوْ تُعْرِضُوا) أى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها . غيرهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللى أى وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بماعندكم وتمنعوها (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم عليه (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) خطاب للسلمين (ءَامِنُوا) اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه أو لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو للمنافقين أى ياأيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) أى محمد ﷺ (وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ) أى الفرقان (وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ) أى جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه. نزل وأنزل بالبناء للمفعول مكى وشامى وأبوعمرو، وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وإنما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لأن الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى ومن يكفر بشىء من ذلك (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) لأن الكفر ببعضه كفر بكله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بموسى عليه السلام (ثُمَّ

كَفَرُوا) حين عبدوا العجل (ثُمَّ ءَامَنُوا) بموسى بعد عوده (ثُمَّ كَفَرُوا) بعيسى عليه السلام (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً) بكفرهم بمحمد ﷺ (لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) إلى النجاة أو إلى الجنة أو هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت يؤيده قوله (بَشِّرِ الْمُنَـٰفِقِينَ) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم (بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (الَّذِينَ) نصب على الذم أورفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يَتَّخِذُونَ الْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ)كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون: لايتم أمر محمد عليه السلام (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) ولمن أعزه كالنبى عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (فِى الْكِتَـٰبِ) القرآن (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ) حتى يشرعوا فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن و.الخوض : الشروع وأن مخففة من الثقيلة أى أنه إذا سمعتم أى نزل عليكم أن الشأن كذا. والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنُزِّل أو فى موضع النصب بنَزَّل والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره. وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ) أى فى الوزر إذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَـٰفِقِينَ وَالْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا) لاجتماعهم فى الكفر والاستهزاء (الَّذِينَ) بدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين أونصب على الذم منهم (يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ) ينتظرون بكم مايتجدد لكم من ظفر أو إخفاق (فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ) نصرة وغنيمة (قَالُوٓا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) مظاهرين فأشركونا فى الغنيمة (وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ) سمى ظفر المسلمين

فتحا تعظيما لشأنهم لأنه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لأنه لمظة من الدنيا يصيبونها (قَالُوٓا) للكافرين (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم ، والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ماضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والمنافقون (يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) أى فى القيامة بدليل أول الآية كذا عن على رضى الله عنه أوحجة كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (إِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ اللَّهَ) أى يفعلون مايفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر. والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر أو أولياء الله وهم المؤمنون فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفا لهم (وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار فى العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم (وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ) متثاقلين كراهة أما النفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران (يُرَآءُونَ النَّاسَ) حال أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمراءاة مفاعلة من الرؤية لأن المرائى يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلاذكرا قليلا نادرا. قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مُّذَبْذَبِينَ) نصب على الذم أى مرددين يعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين أى يدفع فلايقر فى جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب (بَيْنَ ذَٰلِكَ) بين الكفر والإيمان (لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقا إلى الهدى (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا) حجة بينة فى تعذيبكم (إِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) أى فى الطبق

الذى فى قعر جهنم، والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وإنما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لأنه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الأسفل فى العقبى تعديلا ولأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفى غير الأعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج أن الاختيار فتح الراء (وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) يمنعهم من العذاب (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور فى ولن تجد لهم نصيرا (وَأَصْلَحُوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق (وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ) ووثقوا به كمايثق المؤمنون الخلص (وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ) لايبتغون بطاعتهم إلاوجهه (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم فى الدارين (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء فى الخط هنا إتباعا للفظ ثم استفهم مقررا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ) لله (وَءَامَنتُمْ) به فما منصوبة بيفعل أى أى شىء يفعل بعذابكم فالإيمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان (وَكَانَ اللهُ شَاكِراً) يجزيكم على شكركم أويقبل اليسير من العمل ويعطى الجزيل من الثواب (عَلِيماً) عالما بما تصنعون (لَايُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ) ولاغير الجهر ولكن الجهر أفحش (إِلاَّ مَن ظُلِمَ) إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لايحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بمافيه من السوء . وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم إلا من ظلم فإنه إن رد عليه مثله فلاحرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه (وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً) لشكوى المظلوم (عَلِيماً) بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لايجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ماأطلق الجهر به حثا على الأفضل وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا للعفو فقال (إِن تُبْدُوا خَيْرًا) مكان جهر السوء (أَوْ تُخْفُوهُ) فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال (أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ) أى تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله (فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)

أى إنه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تهتدوا بسنته (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والإنجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد ﷺ والقرآن (وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) أى دينا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما (أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ) هم الكاملون فى الكفر لأن الكفر بواحد كفر بالكل (حَقًّا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لاشك فيه (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) فى الآخرة (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) وإنما جاز دخول بين على أحد لأنه عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما (أُوْلَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ) وبالياء حفص (أُجُورَهُمْ) أى الثواب الموعود لهم (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا) يستر السيئات (رَّحِيمًا) يقبل الحسنات، والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لأنه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لأنه قال: وكان الله غفورا رحيما. وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الأزل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص وأصحابه للنبى ﷺ إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل (يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (كِتَٰبًا مِّنَ السَّمَاءِ) أى جملة كما نزلت التوراة جملة وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم لأن إنزال القرآن جملة ممكن (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ) هذا جواب شرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وقد وجد من آبائهم فى أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً) عيانا أى أرنا نره جهرة (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ) العذاب الهائل أو النار المحرقة (بِظُلْمِهِمْ) على أنفسهم بسؤال شىء فى غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم فى الآيات وتعنتهم فى سؤال الرؤية

لا بسؤال الرؤية لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فإنه قال رب أرنى أنظر إليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ) التوراة والمعجزات التسع (فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ) تفضلا ولم نستأصلهم (وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا) حجة ظاهرة على من خالفه (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وَقُلْنَا لَهُمُ) والطور مطل عليهم (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) أى ادخلوا باب إيلياء مطأطئين عند الدخول رؤوسكم (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا) لا تجاوزوا الحد تعدُّوا ورش تعدوا بإسكان العين وتشديد الدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة أبى إلا أنه أدغم التاء فى الدال وأبقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتح التاء إلى العين (فِى السَّبْتِ) بأخذ السمك (وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا) عهداً مؤكداً (فَبِمَا نَقْضِهِم) أى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (مِّيثَـٰقَهُمْ) ومعنى التوكيد تحقيق أن تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك (وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ) أى معجزات موسى عليه السلام (وَقَتْلِهِمُ الْأَنۢبِيَآءَ) كزكريا ويحيى وغيرهما (بِغَيْرِ حَقٍّ) بغير سبب يستحقون به القتل (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى محجوبة لا يتوصل إليها شىء من الذكر والوعظ (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) هو رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) كعبدالله بن سلام وأصحابه (وَبِكُفْرِهِمْ) معطوف على فبما نقضهم أو على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد ﷺ عطف بعض كفرهم على بعض (وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا) هو النسبة إلى الزنا (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ) سمى مسيحا لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح أو لأنه كان يمسح المريض والأكمه والأبرص فيبرأ فسمى مسيحاً بمعنى الماسح (عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك

لجنون ويحتمل أن الله وصفه بالرسول وإن لم يقولوا ذلك (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ) روى أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى وجاز هذا على قوم متمنتين حكم الله بأنهم لايؤمنون ، وشبه مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه أو مسند إلى ضمير المقتول لدلالة إنا قتلنا عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) فى عيسى يعنى اليهود قالوا إن الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى قالوا إله وابن إله وثالث ثلاثة (لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن وإنما وصفوا بالشك وهو أن لايترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو أن يترجح أحدهما لأن المراد أنهم شاكون مالهم به من علم ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك وقيل وإن الذين اختلفوا فيه أى فى قتله لفى شك منه أى من قتله لأنهم كانوا يقولون إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) أى قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه أى حق انتفاء قتله حقا (بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) إلى حيث لا حكم فيه لغير الله أو إلى السماء (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى انتقامه من اليهود (حَكِيمًا) فيما دبر من رفعه إليه (وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبدالله ورسوله يعنى إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لاينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعنى وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب

الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام أو الضمير فى به يرجع إلى الله أو إلى محمد ﷺ والثانى إلى الكتابى (وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) وهى ما ذكر فى سورة الأنعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ماحرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا (وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وبمنعهم عن الإيمان (كَثِيرًا) أى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه (وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ) دون من آمن (عَذَابًا أَلِيمًا) فى الآخرة (لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) أى الثابتون فيه المتقون كابن سلام وأضرابه (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب (وَالْمُؤْمِنُونَ) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يُؤْمِنُونَ) خبره (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) أى القرآن (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) أى سائر الكتب (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفى مصحف عبد الله والمقيمون وهى قراءة مالك بن دينار وغيره (وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ) مبتدأ (وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عطف عليه والخبر (أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) وبالياء حمزة (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا (كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) كهود وصالح وشعيب وغيرهم (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أى أولاد يعقوب (وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) زُبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (وَرُسُلًا) نصب بمضمر فى معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا (قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ) من قبل هذه السورة (وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن الأنبياء قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قال كم الرسل منهم قال:

«ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد ـ عليه السلام ـ وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد ـ عليه السلام ـ» والآية تدل على أن معرفة الرسل بأعيانهم ليست بشرط لصحة الإيمان بل من شرطه أن يؤمن بهم جميعا إذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) أى بلا واسطة (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) الأوجه أن ينتصب على المدح أى أعنى رسلا ويجوز أن يكون بدلا من الأول وأن يكون مفعولا أى وأرسلنا رسلا واللام فى (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى أن إرسالهم إزاحة للعلة وتتميم لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا بما وجب الانتباه له ويعلمنا ماسبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فإنها مما يعرف بالعقل (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى العقاب على الإنكار (حَكِيمًا) فى بعث الرسل للإنذار ولما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل (لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ) ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات إذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أى أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى إنكار الصفات فإنه أثبت لنفسه العلم (وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ) لك بالنبوة (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) شاهداً وإن لم يشهد غيره (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتكذيب محمد ﷺ وهم اليهود (وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب إنا لا نجده فى كتابنا (قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الرشد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَظَلَمُوا) محمداً عليه السلام بتغيير نعته وإنكار نبوته (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) ماداموا على الكفر (وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) وكان تخليدهم فى جهنم سهلا عليه، والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان فى قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ) أى بالإسلام أو هو حال أى محقا (فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ) وكذلك انتهوا خيراً لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيراً لكم أى اقصدوا وأتوا أمراً خيراً

لـكم مما أنتم فيه من الـكفر والتثليث وهو الإيمان به والتوحيد (وَإِن تَـكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً) بمن يؤمن وبمن يكفر (حَكِيماً) لا يسوى بينهما فى الجزاء (يَاأَهْلَ الْـكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود فى حط السيح عن منزلته حتى قالوا إنه ابن الزنا وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) لا ابن الله (رَسُولُ اللَّهِ) خبر المبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل (وَكَلِمَتُهُ) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بالـكلام (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) حال وقد معه مرادة أى أوصلها إليهـا وحصلها فيها (وَرُوحٌ) معطوف على الخبر أيضاً وقيل له روح لأنه كان يحيي الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا لما أنه يحيى القلوب (مِّنْهُ) أى بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى: وسخر لـكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً. منه وبه أجاب علىّ بن الحسين ابن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد فى مجلسه حيث زعم أن فى كتابكم حجة على أن عيسى من الله (فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتَهُوا) عن التثليث (خَيْرًا لَّـكُمْ) والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله: أأنت قلت للنـاس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله. وقالت النصارى المسيح ابن الله (إِنَّمَا اللَّهُ) مبتدأ (إِلَهٌ) خبره (وَاحِدٌ) توكيد (سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد (لَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) بيان لتنزهه مما نسب إليه بمعنى أن كل مافيهما خلقه وملـكه فـكيف يكون بعض ملـكه جزءاً منه إذ البنوة والملك لا يجتمعان على أن الجزء إنما يصح فى الأجسام وهو يتعالى عن أن يكون جسما (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما، ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج إلى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله ﷺ لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأى شىء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا: بلى، نزل قوله تعالى (لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ) أى لن يأنف (أن

يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ) هو رد على النصارى (وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (ٱلْمُقَرَّبُونَ) أى الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن فى طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدالله عليه إيجازا وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء إنما يكون إلى الأعلى يقال فلان لايستنكف عن خدمتى ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب أنا نسلم تفضيل الثانى على الأول ولكن هذا لايمس ماتنازعنا فيه لأن الآية تدل على أن الملائكة المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر. إلى هذا ذهب بعض أهل السنة ولأن المراد أن الملائكة مع مالهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجى رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر ولا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لأن شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هى التى تورث الحمقى أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وينبىء بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم فبرءوه من العبودية فقيل لهم هذه الأوصاف فى الملائكة أتم منها فى المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم ، كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى فى ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث النفسانية والدواعى الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لأنهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث (وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ) يترفع ويطلب الكبرياء (فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ

وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) فإن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد ، قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به. وصحة ذلك لوجهين أحدهما أنه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف أحدهما فى التفصيل فى قوله تعالى بعد هذا : فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به. والثانى أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى رسول يبهر المنكر بالإعجاز (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) قرآنا يستضاء به فى ظلمات الحيرة (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ) بالله أو بالقرآن (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ) أى جنة (وَفَضْلٍ) زيادة النعمة (وَيَهْدِيهِمْ) ويرشدهم (إِلَيْهِ) إلى الله أو إلى الفضل أو إلى صراطه (صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله ﷺ فقال إنى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) الرفع على الصفة أى إن هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت (وَلَهُ أُخْتٌ) أى لأب وأم أو لأب (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) أى الميت (وَهُوَ يَرِثُهَا) أى الأخ يرث الأخت جميع مالها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها (إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ) أى ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فالأب نظيره فى الإسقاط فلم اقتصر على نفى الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى عصبة ذكر» والأب أولى من الأخ (فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ) أى فإن كانت الأختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً) أى وإن كان من يرث بالإخوة. والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليبا لحكم الذكورة (رِّجَالًا وَنِسَاءً) ذكورا وإناثا (فَلِلذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ

حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ) الحق فهو مفعول يبين (أَن تَضِلُّوا) كراهة أن تضلوا (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها وبعده .

﴿ سورة المائدة مدنية وهى مائة وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِٱلْعُقُودِ) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهى عقود الله التى عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف أوماعقد الله عليكم أوماتعاقدتم بينكم والظاهر أنها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله(أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ) والبهيمة كل ذات أربع قوائم فى البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام وهى الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام: الظباء وبقر الوحش ونحوها (إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ) حال من الضمير فى لكم أى أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد (وَأَنتُمْ حُرُمٌ) حال من محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام فى حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) من الأحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم (يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ) جمع شعيرة وهى اسم ما أشعر أى جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر(وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ) أى أشهر الحج (وَلَا ٱلْهَدْىَ) وهو ما أهدى إلى البيت وتقرب به إلى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ) جمع قلادة وهى ماقلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أوغيره (وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا فى أشهر الحج مايصدون به الناس عن الحج وأن يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما

القلائد لجاز أن يراد بها ذوات القلائد وهي البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لأنها أشرف الهدى كقوله: وجبريل وميكال. كأنه قيل والقلائد منها خصوصا، وجاز أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهي عن التعرض للهدى أي ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها (يَبْتَغُونَ) حال من الضمير في آمين (فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ) أي ثوابا (وَرِضْوَانًا) وأن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم (وَإِذَا حَلَلْتُمْ) خرجتم من الإحرام (فَاصْطَادُوا) إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلي الصيد وأنتم حرم (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا) جرم مثل كسب في تعديته إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه، وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض، وبسكون النون شامي وأبو بكر، والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه إن صدوكم على الشرط مكي وأبو عمرو ويدل على الجزاء ماقبله وهو لايجر منكم ومعنى صدهم إياكم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ) على العفو والإغضاء (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) على الانتقام والتشفي، أو البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والإثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل إثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها (وَالدَّمُ) أي المسفوح وهو السائل (وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ) وكله نجس وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (وَالْمُنْخَنِقَةُ) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها (وَالْمَوْقُوذَةُ) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (وَالْمُتَرَدِّيَةُ) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (وَالنَّطِيحَةُ) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ) بعضه ومات بجرحه (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) إلا

ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون إليها تسمى الأنصاب واحدها نصب أو هو جمع والواحد نصاب (وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) فى موضع الرفع بالعطف على الميتة أى حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام وهى القداح المعلمة واحدها زلم وزلم، كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك يعمد إلى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى والثالث غُفْلٌ فإن خرج الآمر مضى لحاجته وإن خرج الناهى أمسك وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام قال الزجاج لا فرق بين هـذا وبين قول المنجمين لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفى شرح التأويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم إن نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولـكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز أن يجعل الله فى النجوم معانى وأعلاما يدرك بها الأحكام ويستخرج بها الأشياء ولا لائمة فى ذلك إنما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه، وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ) الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة ويحتمل أن يعود إلى كل محرم فى الآية (الْيَوْمَ) ظرف بيئس ولم يرد به يوم بعينه وإنما معناه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أريد يوم نزولها وقـد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ) يئسوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الـكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (وَاخْشَوْنِ) بغير ياء فى الوصل والوقف أى أخلصوا لى الخشية (الْيَوْمَ) ظرف لقوله (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) بأن كفيتم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك أى كفينا من كنا نخافه أو أكملت لـكم ما تحتاجون إليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين

وهدم منار الجاهلية ومناسكهم (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) حال. اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده. ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلم يقبل منه (فَمَنِ اضْطُرَّ) متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكدبه معنى التحريم وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها (فِي مَخْمَصَةٍ) مجاعة (غَيْرَ) حال (مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ) مائل إلى إثم أى غير متجاوز سد الرمق (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لا يؤاخذه بذلك (رَحِيمٌ) بإباحة المحظور للمعذور (يَسْأَلُونَكَ) فى السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لأن يسألونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان سوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أى شىء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلى عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال (قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) أى ماليس بخبيث منها أو هو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب الله أو سنة أو إجماع أو قياس (وَمَا عَلَّمْتُمْ) عطف على الطيبات أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ماشرطية وجوابها فكلوا (مِّنَ الْجَوَارِحِ) أى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين، وقيل هى من الجراحة فيشترط للحل الجرح (مُكَلِّبِينَ) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع أنه مستغنى عنها بعلمتم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لأن التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه الحديث «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» فأكله الأسد (تُعَلِّمُونَهُنَّ) حال أو استئناف ولا موضع له وفيه دليل على أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قدضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) من التكليب (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان صيد كلب ونحوه فأما صيد البازى ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف فى موضعه والضمير فى(وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ)يرجع

إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ماعلمتم من الجوارح أى سموا عليه عند إرساله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) واحذروا مخالفة أمره فى هذا كله (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه لبث (الْيَوْمَ) الآن (أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) كرره تأكيدا للمنة (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ) أى ذبائحهم لأن سائر الأطعمة لا يختص حلها بالملة (وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ) هى الحرائر أو العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصح نكاح الإماء من المسلمات ونكاح غير العفائف. وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هن الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) أعطيتموهن مهورهن (مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ) متزوجين غير زانين (وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ) بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم (فَقَدْ حَبِطَ) بطل (عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) أى إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن أى إذا أردت أن تقرأ القرآن فعبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مسبب عن الإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما طلبا للإيجاز، ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه، وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لأنه دليل الحدث وكان رسول الله ﷺ والصحابة يتوضئون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ (وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها فى الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق لادليل فيه على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبى ﷺ أنه كان يدير الماء على مرفقيه (وَامْسَحُوا بِرُءوسِكُمْ) المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب والشافعى باليقين فأوجب أقل مايقع عليه اسم المسح وأخذنا ببيان النبى عليه السلام وهو ما روى أنه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس (وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) بالنصب شامى ونافع وعلى وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم على التقديم والتأخير. غيرهم بالجر بالعطف على الرءوس لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المنهى عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجىء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة، وقال فى جامع العلوم إنها مجرورة للجوار وقد صح أن النبى عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال «ويل للأعقاب من النار» وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهرها من الأوساخ التى تتصل بها لأنها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل فى الخدمة كما فى الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدى الملك ولهذا قيل إن الأولى أن يصلى الرجل فى أحسن ثيابه وإن الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ فى التعظيم (وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فاغسلوا أبدانكم (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم) قال الرازى معناه وجاء حتى لايلزم المريض والمسافر التيمم بلاحدث (مِّنَ الْغَائِطِ) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) جامعتم (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ) فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم (وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ)

بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمته فيثيبكم (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) أى عاقدكم به عقداوثيقا وهوالميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعه فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالواسمعنا وأطعنا وقيل هوالميثاق ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان (وَاتَّقُوا اللهَ) فى نقض الميثاق (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بسرائر الصدور من الخير والشر وهووعد ووعيد (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولايحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) أى العدل أقرب إلى التقوى. نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهوقوله: تعالى هو أقرب للتقوى. وإذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فماالظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (وَاتَّقُوا اللهَ) فيما أمر ونهى (إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ) وعد يتعدى إلى مفعولين فالأول الذين آمنوا والثانى محذوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) والوعيد وهو قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ) أى لا يفارقونها (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ) روى أن رسول الله ﷺ أتى بنى قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبى ﷺ ونزلت الآية. إذ ظرف للنعمة (أَن يَبْسُطُوٓا) بأن يبسطوا (إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به (فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ) فمنعها أن تمد إليكم (وَاتَّقُوا

اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فإنه الكافى والدافع والمانع (وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً) هو الذى ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها. ولما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إنى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإنى ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء (وَقَالَ اللهُ إِنِّى مَعَكُمْ) أى ناصركم ومعينكم. وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ) وكانتا فريضتين عليهم (وَءَامَنتُم بِرُسُلِى) من غير تفريق بين أحد منهم (وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) وعظمتموهم أو نصرتموهم بأن تردوا عنهم أعداءهم، والعزر فى اللغة الرد ويقال عزرت فلانا أى أدبته يعنى فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) بلا منّ وقيل هو كل خير واللام فى (لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) جواب للقسم وهذا الجواب سادّ مسد جواب القسم والشرط جميعا (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ) أى بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ) ما مزيد لإفادة تفخيم الأمر (لَعَنَّٰهُمْ) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) يابسة لا رحمة فيها ولا لين. قسيّة حمزة وعلى أى رديئة من قولهم: درهم قسى أى ردىء (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (وَنَسُوا حَظًّا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ) من التوراة يعنى أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن

حفظهم . عن ابن مسعود رضي الله عنه: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته (وَلَا تَزَالُ) يا محمد (تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك ، وقوله على خائنة أى على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية الشعر للمبالغة (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم الذين آمنوا منهم (فَاعْفُ عَنْهُمْ) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ومن فى قوله (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) وهو الإيمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أى وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وإنما لم يقل من النصارى لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله ثم اختلفوا بمدنسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا) فألصقنا وألزمنا من غرى بالشيء إذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذى يلصق به (بَيْنَهُمُ) بين فرق النصارى المختلفين(الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بالأهواء المختلفة (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) خطاب لليهود والنصارى، والكتاب للجنس(قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد عليه السلام(يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ) من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم (وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) مما تخفونه لا يبينه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز أو النور محمد عليه السلام لأنه يهتدى به كما سمى سراجا (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ) أى بالقرآن (مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) من آمن منهم (سُبُلَ السَّلَامِ) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله فالسلام السلامة أو الله (وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام (بِإِذْنِهِ) بإرادته وتوفيقه (وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) معناه بت القول على أن الله هو المسيح لا غير

قيـل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك أو لأن منهبهم يؤدى إليه حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) أى إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه يعنى أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من فى الأرض جميعا على المسيح وأمه إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم، والمعنى أن من اشتمل عليه رحم الأمومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية ولوقطع البقاء عن جميع ماأوجد لم يمدنقص إلى الصمدية (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق مايشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لأنه الفعال لما يريد (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) أى أعزة عليه كالابن على الأب أو أشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبى خبيب وهو عبدالله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء الله ويقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك أو نحن أبناء رسل الله (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم) أى فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم (بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ) أى أنتم خلق من خلقه لا بنوه (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ) لمن تاب عن الكفر فضلا (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) من مات عليه عدلا (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) فيه تنبيه على عبودية المسيح لأن الملك والبنوة متنافيان (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد عليه السلام (يُبَيِّنُ لَكُمْ) أى الشرائع وحذف لظهوره أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أولا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أى مبينا لكم (عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحى وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة (أَن تَقُولُوا) كراهة أن تقولوا (مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) والفاء فى (فَقَدْ جَاءَكُم) متعلق بمحذوف

أى لا تعتذروا فقد جاءكم (بَشِيرٌ) للمؤمنين (وَنَذِيرٌ) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم من غفلتهم (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فكان قادرا على إرسال محمد عليه السلام ضرورة (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ) لأنه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى إسرائيل من الأنبياء (وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم أو لأنهم كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا (وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ) من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العظام أو أراد عالمى زمانهم (يَٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) أى المطهرة أو المباركة وهى أرض بيت المقدس أو الشام (الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) قسمها لكم أو سماها أو كتب فى اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا أولا ترتدوا على أدباركم فى دينكم (فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قَالُوا يَٰمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد (وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا) بالقتال (حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا) بغير قتال (فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا) بلا قتال (فَإِنَّا دَٰخِلُونَ) بلادهم حينئذ (قَالَ رَجُلَانِ) كالب ويوشع (مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ) الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو فى محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) بالخوف منه (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ) أى باب المدينة (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ) أى انهزموا وكانت الغلبة لكم وإنما علما ذلك بإخبار موسى عليه السلام (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إذ الإيمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق (قَالُوا يَٰمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا) هـذا نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التوكيد (أَبَدًا) تعليق النفى المؤكد بالدهر المتطاول (مَّا دَامُوا فِيهَا) بيان للأبد (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ) من العلماء

من حمله على الظاهر وقال إنه كفر منهم وليس كذلك إذ لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه أن يقال فاذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو وربك أى وسيدك وهو أخوك الأكبر هارون أولم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الإرادة كأنهم قالوا أريدا قتالهم (فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ) ما كثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ) لنصرة دينك (إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى) وهو منصوب بالعطف على نفسى أو على اسم إن أى إنى لا أملك إلا نفسى وإن أخى لا يملك إلا نفسه أو مرفوع بالعطف على محل إن واسمها أو على الضمير فى لا أملك وجاز للفصل أى ولا يملك أخى إلا نفسه أو هو مبتدأ والخبر محذوف أى وأخى كذلك وهذا من البث والشكوى إلى الله ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكرها إلا النبى المعصوم أو أراد ومن يؤاخينى على دينى (فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ) فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو فى معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله: ونجنى من القوم الظالمين (قَالَ فَإِنَّهَا) أى الأرض المقدسة (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم أى بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم أو المراد فإنها محرمة عليهم (أَرْبَعِينَ سَنَةً) فإذا مضى الأربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقى من بنى إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض. وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ) أى يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا فى ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له (فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ) فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم فى التيه لأنه كان عقاباً وقد سأل موسى ربه أنه يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات

هرون فى التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء فى التيه إلا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يقص على حاسديه ماجرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) على أهل الكتاب (نَبَأَ ابْنَيْ ءادَمَ) من صلبه هابيل وقابيل أو هما رجلان من بنى إسرائيل (بِالْحَقِّ) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الأولين أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وأنت محق صادق (إِذْ قَرَّبَا) نصب بالنبأ أى قصتهما وحديثهما فى ذلك الوقت أو بدل من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قُرْبَانًا) مايتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب والمعنى إذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله (فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا) قربانه وهو هابيل (وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ) قربانه وهو قابيل روى أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ) أى قال لهابيل (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) وتقديره قال لم تقتلنى قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال إنما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فإنما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال إنى أسمع الله يقول: إنما يتقبل الله من المتقين (لَئِن بَسَطتَ) مددت (إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ) بماد (يَدِيَ) مدنى وأبو عمرو وحفص (إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لأن الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت، وقيل بل كان ذلك واجبا فإن فيه إهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى إثمه وإنما معناه ما أنا بباسط يدى إليك مبتدئا كقصدك ذلك منى وكان هابيل عازما على مدافعته إذا قصد قتله وإنما قتله فتكا على غفلة منه إنى أخاف حجازى وأبو عمرو (إِنِّي أُرِيدُ) إِنِّيَ مدنى (أَن تَبُوٓءَ) أن تحتمل أو ترجع (بِإِثْمِي) بإثم قتلى إذا قتلتنى (وَإِثْمِكَ) الذى لأجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الأب والحسد والحقد وإنما أراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى أو كان ظالما وجزاء الظالم جائز أن يراد (فَتَكُونَ

مِنْ أَصْحَـٰبِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّـٰلِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) فوسعته ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع (فَقَتَلَهُ) عند عقبة حراء أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ) أى الله أو الغراب (كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده . روى أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لايدرى مايصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة فحينئذ (قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ) عطف على أكون (سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّـٰدِمِينَ) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره ولم يندم ندم التائبين أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله ، وروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك. فالسودان من ولده وما روى أن آدم رثاه بشعر فلا يصح لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ) بسبب ذلك وبعلته وذلك إشارة إلى القتل المذكور قيل هو متصل بالآية الأولى فيوقف على ذلك أى فأصبح من النادمين لأجل حمله ولأجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين (كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) خصهم بالذكر وإن اشترك الكل فى ذلك لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام (أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا) الضمير للشأن ومن شرطية (بِغَيْرِ نَفْسٍ) بغير قتل نفس (أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ) عطف على نفس أى بغير فساد فى الأرض وهو الشرك أو قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) أى فى الذنب عن الحسن لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (وَمَنْ أَحْيَاهَا) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الإحياء ترغيبًا وترهيبًا لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور أن قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذى أراد إحياءها إذا تصور أن حكمه حكم إحياء جميع الناس رغب فى إحيائها (وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ) أى بنى إسرائيل (رُسُلُنَا) رسلنا

أبو عمرو (بِالْبَيِّنَـٰتِ) بالآيات الواضحات (ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ) بعد ما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات (فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) فى القتل لا يبالون بعظمته (إِنَّمَا جَزَـٰٓؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى أولياء الله فى الحديث يقول الله تعالى: من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد وخبر جزاء (أَن يُقَتَّلُوٓا) وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل (أَوْ يُصَلَّبُوٓا) مع القتل إن جمعوا بين القتل وأخذ المال (أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم) إن أخذوا المال (مِّنْ خِلَـٰفٍ) حال من الأيدى والأرجل أى مختلفة (أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) بالحبس إذا لم يزيدوا على الإخافة (ذَٰلِكَ) المذكور (لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا) ذل وفضيحة (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ) فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) فلا تؤذوا عباد الله (وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) هى كل ما يتوسل به أى يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وَجَـٰهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) من صنوف الأموال (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) وأنفقوه (لِيَفْتَدُوا بِهِ) ليجعلوه فدية لأنفسهم . ولو مع ما فى حيزه خبر إن ووحد الراجع فى ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك(مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فلا سبيل لهم إلى النجاة بوجه (يُرِيدُونَ) يطلبون أو يتمنون (أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر (فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا) أى يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود، ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهى فى الرجال أكثر، وأخر الزانى لأن الزنا ينبعث من الشهوة وهى فى النساء أوفر وقطعت اليد لأنها آلة السرقة ولم تقطع آلة

الزنا تفاديا عن قطع النسل (جَزَآءً بِمَا كَسَبَا) مفعول له (نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ) أى عقوبة منه وهو بدل من جزاء (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ) غالب لا يعارض فى حكمه (حَكِيمٌ) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة (فَمَن تَابَ) من السرقة (مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ) سرقته (وَأَصْلَحَ) برد المسروق (فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ) يقبل توبته (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر ذنبه ويرحمه (أَلَمْ تَعْلَمْ) يا محمد أو يا مخاطب (أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ) من مات على الكفر (وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ) لمن تاب عن الكفر (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من التعذيب والمغفرة وغيرها (قَدِيرٌ) قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ) أى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فى الكفر أى فى إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإنى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر وقوعهم فيه أسرع شىء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها (مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟) تبيين لقوله: الذين يسارعون فى الكفر (ءَامَنَّا) مفعول قالوا (بِأَفْوَٰهِهِمْ) متعلق بقالوا أى قالوا بأفواههم آمنا (وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) فى محل النصب على الحال (وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟) معطوف على من الذين قالوا أى من المنافقين واليهود ويرتفع (سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ) على أنه خبر مبتدأ مضمر أى هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا ، وعلى هذا يوقف على قلوبهم، وعلى الأول على هادوا. ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ) أى سماعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك (يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ) أى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع. يحرفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم (يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير فى يحرفون (فَخُذُوهُ) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ) وأفتاكم محمد بخلافه (فَٱحْذَرُوا۟) فإياكم وإياه فهو الباطل . روى أن شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم

فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به (وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر (فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا) قطع رجاء محمد ﷺ عن إيمان هؤلاء (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أى التخليد فى النار (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) كرر للتأكيد أى هم سماعون ومثله (أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) وهو كل مالا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة وفى الحديث «هو الرشوة فى الحكم» وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. وبالتثقيل مكى وبصرى وعلى (فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) قيل كان رسول الله ﷺ مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله: وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا) فلن يقدروا على الإضرار بك لأن الله تعالى يعصمك من الناس (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) بالعدل (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الإيمان به. فيها حكم الله حال من التوراة وهى مبتدأ وخبره عندهم (ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ) عطف على يحكمونك أى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (وَمَا أُوْلَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بك أو بكتابهم كما يدعون (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى) يهدى للحق (وَنُورٌ) يبين ما استبهم من الأحكام (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا) انقادوا لحكم الله فى التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء عن ملة الإسلام التى هى دين الأنبياء كلهم (لِلَّذِينَ هَادُوا) تابوا من الكفر، واللام يتعلق بيحكم (وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ) معطوفان على النبيون أى الزهاد والعلماء (بِمَا اسْتُحْفِظُوا) استودعوا، قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها فى يحكم بها (مِن كِتَابِ اللهِ) من للتبيين والضمير

فى استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أى كلفهم الله حفظه أو للربانيون والأحبار ويكون الاستحفاظ من الأنبياء (وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ) رقباء لئلا يبدل (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فىحكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (وَاخْشَوْنِ) فى مخالفة أمرى وبالياء فيهما[1] سهل وافقه أبو عمرو فى الوصل (وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِى) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثَمَنًا قَلِيلًا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ) مستهينا به (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ) قال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وإن لم يكن جاحدا فهوفاسق ظالم وقال ابن مسعود رضى اللهعنه هوعام فىاليهود وغيرهم (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ) وفرضنا على اليهود فىالتوراة (أَنَّ النَّفْسَ) مأخوذة (بِالنَّفْسِ) مقتولة بها إذا قتلها بغير حق (وَالْعَيْنَ) مفقوأة (بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ) مجدوع (بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ) مقطوعة (بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ)مقلوعة(بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) أى ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وإلا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضىالله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقوله أن النفس بالنفس يدل على أن المسلم يقتل بالذمى والرجل بالمرأة والحر بالعبد. نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه أن . ورفعها على للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إجراء لكتبنا مجرى قلنا، ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح. والأذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت (فَمَن تَصَدَّقَ) من أصحاب الحق (بِهِۦ) بالقصاص وعفاعنه (فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ) فالتصدق به كفارة للمتصدق بإحسانه قال عليه السلام «من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه» (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) بالامتناع عن ذلك (وَقَفَّيْنَا) معنى قفيت الشىء بالشىء جعلته فى أثره كأنه جعل فى قفاه يقال قفاه يقفوه إذا تبعه (عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا) هو حال من عيسى (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَىٰةِ) أى وآتيناه

---

(١) أى فى حال الوقف والوصل .

الإنجيل ثابتافيه هدى ونور ومصدقا، فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا الذى تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذى قام مقامه فيه (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً) انتصبا على الحال أى هاديا وواعظا (لِّلْمُتَّقِينَ) لأنهم ينتفعون به (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فِيهِ) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الأمر وأصله الكسر وإنما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة. وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على أنها لام كى أى وقفينا ليؤمنوا وليحكم (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود فى الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم فى حكمه فاسق فى فعله (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ) أى القرآن لحرف التعريف فيه للعهد (بِالْحَقِّ) بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ (مُصَدِّقًا) حال من الكتاب (لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) لما تقدمه نزولا وإنما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لأن ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (مِنَ الْكِتَٰبِ) المراد به جنس الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها فى التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) وشاهدا لأنه يشهد له بالصحة والثبات (فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ) أى بما فى القرآن (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ) نهى أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم. ضمّن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير عادلا عما جاءك (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ) أيها الناس (شِرْعَةً) شريعة (وَمِنْهَاجًا) وطريقا واضحا واستدل به من قال: إن شريعة من قبلنا لا تلزمنا . ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ وبين أنه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال فى الأول يحكم به النبيون وفى الثانى وليحكم أهل الإنجيل وفى الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) جماعة متفقة على شريعة واحدة (وَلَٰكِن) أراد (لِّيَبْلُوَكُمْ) ليعاملكم معاملة المختبر (فِى مَآ ءَاتَىٰكُم) من الشرائع

المختلفة فتتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة. والمراد بالخيرات كل ماأمر الله تعالى به (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (جَمِيعاً) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لأنه فى تقدير إليه ترجعون (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) فيخبركم بمالا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (وَأَنِ احْكُم) معطوف على بالحق أى وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وبأن احكم (بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ) أى يصرفوك وهو مفعول له أى مخافة أن يفتنوك وإنما حذره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم (عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) أى بذنب التولى عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) لخارجون عن أمر الله (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) يطلبون وبالتاء شامى يخاطب بنى النضير فى تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله ﷺ القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لانرضى بذلك فنزلت. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية. وناصب الحكم الجاهلية يبغون (وَمَنْ أَحْسَنُ) مبتدأ وخبره وهو استفهام فى معنى النفى أى لا أحد أحسن (مِنَ اللَّهِ حُكْماً) هو تمييز واللام فى(لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) للبيان كاللام فى هيت لك أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو على معنى لقوم عند قوم لأن اللام وعند يتقاربان فى المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ) أى لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة (فترى

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق (يُسَٰرِعُونَ) حال أو مفعول ثان لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين أو القلب (فِيهِمْ) فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم (يَقُولُونَ) أى فى أنفسهم لقوله على ما أسروا (نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) أى حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها (فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين (أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ) أى يؤمر النبى عليه السلام بإظهار إسرار المنافقين وقتلهم (فَيُصْبِحُوا) أى المنافقون (عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ) من النفاق (نَادِمِينَ) خبر فيصبحوا (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى يقول بعضهم لبعض عندذلك ويقولَ بصرى عطفا على أن يأتى يقول بغير واو شامى وحجازى على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا (أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ) أى أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر فى تقدير الحال أى مجتهدين فى توكيد أيمانهم (حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ) ضاعت أعمالهم التى عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم (فَأَصْبَحُوا خَٰسِرِينَ) فى الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ) من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدنى وشامى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) يرضى أعمالهم ويثنى عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان. وإثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبى ﷺ عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال «هذا وذووه لوكان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس» والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم (أَذِلَّةٍ) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذُّل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لأن ذلولا لا يجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بيّن الذل وقوم أذلاء وأذلة ، والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين

عليهم على وجه التذلل والتواضع (أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ) أشداء عليهم والعزاز الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة (وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ) الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود فإذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلايعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم وأن تكون للعطف أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين لاتزعهم لومة لائم، واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم واحد من اللوام (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماوصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ) كثير الفواضل (عَلِيمٌ) بمن هو من أهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) وإنما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولى وإن كان المذكور جماعة تنبيها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع. ومحل (ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ). والواو فى (وَهُمْ رَٰكِعُونَ) للحال أى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة قيل إنها نزلت فى على رضى الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس فى مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة فى الصلاة وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة (وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) يتخذه وليا أو يكن وليا (فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ) من إقامة الظاهر مقام الضمير أى فإنهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن

لايغالب. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم أى أصابهم وروى أن رفاعة بن زيد وسويد ابن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا) يعنى اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لايصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ) من للبيان (مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ) أى المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة. والكفار بصرى وعلى عطف على الذين المجرورة أى من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) فى موالاة الكفار (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا) أى الصلاة أو المناداة (هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ) لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ) يعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ) وهو عطف على المجرور أى ماتنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقون والمعنى أعاديتمونا لأنا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا فى ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ) أى ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وإن كانت مختصة بالإحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) شر عقوبة فى الحقيقة من أهل الإسلام فى زعمكم وذلك إشارة إلى المتقدم أى الإيمان أى بشر مما نقمتم من إعاننا ثوابا أى جزاء ولابد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله (وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ) يعنى أصحاب السبت (وَٱلْخَنَازِيرَ) أى كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ) أى العجل أو الشيطان لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت. وعبدَ الطاغوتِ حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن

للبليغ فى الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أى جعل الله منهم عبد الطاغوت (أُوْلَٰٓئِكَ) المسوخون الملعونون (شَرٌّ مَّكَانًا) جعلت الشرارة للمكان وهى لأهله للمبالغة (وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) عن قصد الطريق الموصل إلى الجنة ونزل فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبى ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقا (وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ) الباء للحال أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضى من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم (وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) من النفاق (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ) من اليهود (يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ) الكذب (وَٱلْعُدْوَٰنِ) الظلم أو الإثم مايختص بهم والعدوان مايتعداهم إلى غيرهم والمسارعة فى الشىء الشروع فيه بسرعة (وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ) الحرام (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لبئس شيئاً عملوه (لَوْلَا) هلا وهو تحضيض (يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) هذا ذم للعلماء والأول للعامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشد آية فى القرآن حيث أنزل تارك النهى عن المنكر منزلة مرتكب المنكر فى الوعيد (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) روى أن اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمداً عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص: يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فأشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط . ولا يقصد المتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط حتى إنه يستعمل فى ملك يعطى ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا ماأبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط البأس كفيه فى صدرى فجعل للبأس الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله أو تغل فى جهنم فهى كأنها غلت وإنما ثنيت اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه فغاية مايبذله السخى أن يعطيه بيديه

(يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم) من اليهود (مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفراً بآيات الله وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال فزادتهم رجسا إلى رجسهم (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا في بلد إلا وقد وجدته من أذل الناس (وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا) ويجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم (وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم (وَٱتَّقَوْا) أي وقرنوا إيمانهم بالتقوى (لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ) ولم نؤاخذهم بها (وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ) مع المسلمين (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ) من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن (لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ) يعني الثمار من فوق رءوسهم (وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه إلى قدمه ودلت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب. فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. الآيات وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وغيرهم (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً ولا خائف أن ينالك مكروه (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ) وإن لم تبلغ جميعه كما

أمرتك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) رسالاته مدنى وشامى وأبو بكر أى فلم تبلغ إذاً ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئاً قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها فى حكم شىء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشىء الواحد لايكون مبلغا غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن. قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك: كل هذا الطعام فإن لم تأكله فإنك ما أكلته ، قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة فى المستقبل أى بلغ ما أنزل إليك من ربك فى المستقبل فإن لم تفعل أى إن لم تبلغ الرسالة فى المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا أو بلغ ما أنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فإن لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير خائف أحداً فإن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له فى التبليغ (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وإن شج فى وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعد ما أصابه ما أصابه. والناس الكفار بدليل قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ) على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لبطلانه (حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يعنى القرآن (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) إضافة زيادة الكفر والطغيان إلى القرآن بطريق التسبيب (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فلا تتأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بألسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله: لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم. (وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإنى وقيار بها لغريب

أى فإنى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على أنه خبر إن ولا يرتفع بالعطف على محل إن واسمها لأن ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان وإنما يجوز إن زيدا منطلق وعمرو، والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم. ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر إن والراجع إلى اسم إن محذوف تقديره من آمن منهم (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) بالتوحيد (وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ) بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه، وقوله فريقاً كذبوا جواب مستأنف لقائل كأنه يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل وتنبيهاً على أن القتل من شأنهم وانتصب فريقاً وفريقاً على أنه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى (وَحَسِبُوٓا أَلَّا تَكُونَ) ألا تكون حمزة وعلى وأبو عمرو على أن ان مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق (فِتْنَةٌ) بلاء وعذاب أى وحسب بنو إسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل. وسد ما يشتمل[1] عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد مفعولى حسب (فَعَمُوا وَصَمُّوا) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا من الوعظ (ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ) رزقهم التوبة (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ) هو بدل من الضمير أى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم (وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ

(١) قوله ما يشتمل عليه صلة أن وأن أى أن وما تشتمل عليه صلتها اه

هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَٰبَنِي إِسْرَٰءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ) فى عبادته غير الله (فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعمنه (وَمَأْوَاهُ النَّارُ) أى مرجعه (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ) أى الكافرين (مِنْ أَنصَارٍ) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) أى ثالث ثلاثة آلهة، والإشكال أنه تعالى قال فى الآية الأولى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقالوا فى الثانية لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة والجواب أن بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لأن الله ربما يتجلى فى بعض الأزمان فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة: الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من مريم ومن فى قوله (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) للاستغراق أى وما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له وفى قوله (وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) للبيان كالتى فى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ولم يقل ليمسنهم لأن فى إقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر أو للتبعيض أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عَذَابٌ أَلِيمٌ) نوع شديد الألم من العذاب (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ) فيه نفى الألوهية عنه (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) صفة لرسول أى ماهو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتى لم يكن منه لأنه ليس إلها بل الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى. وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) أى وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى: وصدقت بكلمات ربها وكتبه. ثم أبعدهما عما نسب إليهما بقوله (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) لأن من احتاج إلى الاغتذاء

بالطعام وما يتبعه من المضغ والنقض لم يكن إلا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغيرذلك ممايدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام (انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْأَيَٰتِ) أى الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) هو عيسى عليه السلام أى شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب لأن كل مايستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لايستطيع ضرا ولا نفعا، وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شىء لا يخرج مقدور عن قدرته (وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) متعلق بأتعبدون أى أتشركون بالله ولاتخشونه وهو الذى يسمع ماتقولونه ويعلم ماتعتقدونه (قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غَيْرَ الْحَقِّ) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق بمعنى غلوا باطلا (وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ) أى أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبى ﷺ (وَأَضَلُّوا كَثِيرًا) ممن تابعهم (وَضَلُّوا) لما بعث رسول الله ﷺ (عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَٰءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) قيل إن أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ) لا ينهى بعضهم بعضا (عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل أنهم لايتناهون عن معاودة منكر فعلوه أوعن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى

عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عنه (تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) لبئس شيئا قدموه لأنفسهم سخط الله عليهم أي موجب سخط الله (وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ) أي في جهنم (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) إيمانا خالصا بلا نفاق (وَالنَّبِيِّ) أي محمد ﷺ (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ) يعني القرآن (مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ) ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم (وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) مستمرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه يعني التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلا (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ) هو مفعول ثان لتجدن. وعداوة تمييز (وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) عطف عليهم (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ) اللام تتعلق بعداوة ومودة. وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين (ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) أي علماء وعبادا (وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا وأن فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وإن كان علم القسيسين وكذا علم [1] الآخرة وإن كان في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ) وصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يقرءونه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إلى مريم فقرأها إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله هل أتاك حديث موسى

---

(١) الذي في الكشاف وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة إن كان في راهب .

فبكى النجاشى وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا. تفيض من الدمع تمتلىء من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلىء الإناء أو غيره حتى يطلع مافيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من أجل البكاء ومن فى مما عرفوا لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله ومن فى من الحق لتبيين الموصول الذى هو ماعرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة (يَقُولُونَ) حال من ضمير الفاعل فى عرفوا (رَبَّنَآ ءَامَنَّا) بمحمد ﷺ والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه (فَا كْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم فى الإنجيل كذلك (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ) إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وَمَا جَآءَنَا) وبما جاءنا (مِنَ الْحَقِّ) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (وَنَطْمَعُ) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا) الجنة (مَعَ الْقَوْمِ الصَّٰلِحِينَ) الأنبياء والمؤمنين (فَأَثَٰبَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ) وفيه دليل على أن الإقرار داخل فى الإيمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الإيمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق وبالإحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول إيمانا وقد قال الله تعالى: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . نفى الإيمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ) هذا أثر الرد فى حق الأعداء والأول أثر

القبول للأولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الأرض ويجبّوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ) ماطاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لاتمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أولا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا. روى أن رسول الله ﷺ كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال «إن المؤمن حلو يحب الحلاوة» وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السنجى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لايأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره فقال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل أن نعمة الله عليه فى الماء البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ (وَلَا تَعْتَدُوا) ولا تجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل أو تحريم أو ولا تتعدوا حدود ماأحل لكم إلى ماحرم عليكم أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) حدوده (وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا) حلالا حال مما رزقكم الله (وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ) لأن الإيمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى (لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ) اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف أيماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله مايجرى على اللسان بلاقصد (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ) أى بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها وبالتخفيف كوفى غير حفص والعقد العزم على الوطء وذا لايتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف

(فَكَفَّارَتُهُ) أى فكفارة نكثه أو فكفارة معقود الأيمان والكفارة الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها (إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ) هو أن يغديهم ويعشيهم ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر أوصاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعى رحمه الله مدلكل مسكين (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) أى غداء وعشاء من برإذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام والأدنى مرة من تمر أو شعير (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) عطف على إطعام أو على محل من أوسط ووجهه أن من أوسط بدل من إطعام والبدل هو المقصود فى الكلام وهو ثوب يغطى العورة وعن ابن عمر رضى الله عنه إزار وقيص ورداء (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص وشرط الشافعى رحمه الله الإيمان حملا للمطلق على المقيد فى كفارة القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) إحداها (فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ) متتابعة لقراءة أبىّ وابن مسعود كذلك (ذَٰلِكَ) المذكور (كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ) فبروا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك البيان (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ) أعلام شريعته وأحكامه(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ) أى القمار (وَالْأَنصَابُ الأصنام لأنها تنصب فتعبد (وَالْأَزْلَٰمُ) وهى القداح التى مرت (رِجْسٌ) نجس أو خبيث مستقذر (مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ) لأنه يحمل عليه فكأنه عمله والضمير فى (فَاجْتَنِبُوهُ) يرجع إلى الرجس أو إلى عمل الشيطان أو إلى المذكور أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال رجس (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بإنما وقرنهما بعبادة الأصنام ومنه الحديث «شارب الخمر كعابد الوثن» وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه إلا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ) ذكر ما يتولد منهما من الوبال

وهو وقوع التمادى والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم أنهما المقصود بالذكر (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا) وكونوا حذرين خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ) عن ذلك (فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) أى فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أى شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما (إِذَا مَا اتَّقَوا) الشرك (وَّآمَنُوا) بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد الإيمان (ثُمَّ اتَّقَوا) الخمر والميسر بعد التحريم (وَّآمَنُوا) بتحريمهما (ثُمَّ اتَّقَوا) سائر المحرمات أو الأول عن الشرك والثانى عن المحرمات والثالث عن الشبهات (وَّأَحْسَنُوا) إلى الناس (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم نزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم مالم يعلم، ومن للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس (لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه (فَمَنِ اعْتَدَىٰ) فصاد (بَعْدَ ذَٰلِكَ) الابتلاء (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قلل فى قوله بشىء

من الصيد ليعلم أنه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشيء (يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ) أى الصيد إذ القتل إنما يكون فيه (وَأَنتُمْ حُرُمٌ) أى محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح فى محل النصب على الحال من ضمير الفاعل فى تقتلوا (وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا) حال من ضمير الفاعل أى ذاكرا لإحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فإن قتله ناسيا لإحرامه أورمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطىء وإنما شرط التعمد فى الآية مع أن محظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ لأن مورد الآية فيمن تعمد فقدروى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبواليسر فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت. ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ) كوفى أى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوّم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أوصاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعى رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الإضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أى فعليه أن يجزى مثل ماقتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد (مِنَ ٱلنَّعَمِ) حال من الضمير فى قتل إذ المقتول يكون من النعم أوصفة لجزاء (يَحْكُمُ بِهِۦ) بمثل ما قتل (ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة ولأن المثل المطلق فى الكتاب والسنة والإجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى ولأن القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة إجماعا فلم يبق غيرها مرادا إذ لا عموم للمشترك فإن قلت قوله من النعم ينافى تفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خير بين أن يشترى بها هديا أوطعاما أو يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديافأهداه فقد نجزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذى فى الآية بين أن يجزى بالهدى أويكفر

بالطعام أو الصوم إنما يستقيم إذاقوم ونظر بعدالتقويم أى الثلاثة يختار فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نبو عما فى الآية ألا ترى إلى قوله: أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم (هَدْيًا) حال من الهاء فى به أى يحكم به فى حال الهدى (بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ) صفة لهديا لأن إضافته غيرحقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعى رحمه الله فى الحرم (أَوْ كَفَّٰرَةٌ) معطوف على جزاء (طَعَامُ) بدل من كفارة أو خبر مبتدأ محذوف أى هى طعام أو كفارة طعام على الإضافة مدنى وشامى وهذه الإضافة لتبيين المضاف كأنه قيل أو كفارة من طعام (مَسَٰكِينَ) كما تقول خاتم فضة أى خاتم من فضة (أَوْ عَدْلُ) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ماعادل الشىء من غير جنسه كالصوم والإطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال عندى غلام عدل غلامك بالكسر إذا كان من جنسه فإن أريد أن قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هوعدل غلامك بالفتح (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الطعام (صِيَامًا) تمييز نحو لى مثله رجلا والخيار فى ذلك إلى القاتل وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين (لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ) متعلق بقوله فجزاء أى فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمة الإحرام والوبال المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى: فأخذناه أخذا وبيلا أى ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ) لكم من الصيد قبل التحريم (وَمَنْ عَادَ) إلى قتل الصيد بعد التحريم أو فى ذلك الإحرام (فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ) بإلزام الأحكام(ذُو ٱنتِقَامٍ)لمن جاوز حدود الإسلام(أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وَطَعَامُهُۥ) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد فى البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (مَتَٰعًا لَّكُمْ) مفعول له أى أحل لكم تمتيعا لكم (وَلِلسَّيَّارَةِ) وللمسافرين والمعنى

أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم[1] بأ كلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره إلى الخضر (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ) ما صيد فيه وهو مايفرخ فيه وإن كان يعيش فى الماء فى بعض الأوقات كالبط فإنه برى لأنه يتولد فى البر والبحر له مرعى كما للناس متجر (مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) محرمين (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى الاصطياد فى الحرم أو فى الإحرام (الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ أى صير (الْبَيْتَ الْحَرَامَ) بدل أوعطف بيان (قِيَامًا) مفعول ثان أوجعل بمعنى خلق وقياما حال (لِلنَّاسِ) أى انتعاشا لهم فى أمر دينهم ونهوضا إلى أغراضهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا (وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ) والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة لأن فى اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله أو أريد به جنس الأشهر الحرم وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (وَالْهَدْيَ) ما يهدى إلى مكة (وَالْقَلَائِدَ) والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذَٰلِكَ) إشارة إلى جعل الكعبة قياما أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أى لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما فى السموات ومافى الأرض وكيف لايعلم وهو بكل شئ عليم (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن استخف بالحرم والإحرام (وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لآثام من عظم المشاعر العظام (رَّحِيمٌ) بالجانى الملتجئ إلى البلد الحرام (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ) تشديد فى إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلاعذر لكم فى التفريط (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) فلايخفى عليه نفاقكم ووفاقكم (قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) لما أخبر أنه يعلم مايبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ) وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (يَٰأُولِي

---

(١) قوله لتنائكم : التناء كرمان : المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام هكذا يؤخذ من القاموس.

الأَلْبَٰبِ) أى العقول الخالصة (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) كانوا يسألون النبي ﷺ من أشياء امتحانا فنزل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهى فعلاء من لفظ شىء وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الأولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أى قوله (إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ) صفة لأشياء أى وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسوؤكم أى تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عَفَا اللَّهُ عَنْهَا) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلاتعودوا إلى مثلها (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) لايعاقبكم إلابعد الإنذار والضمير فى (قَدْ سَأَلَهَا) لا يرجع إلى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع إلى المسئلة التى دلت عليها لا تسئلوا أى قد سأل هذه المسئلة (قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ) من الأولين (ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا) صاروا بسببها (كَٰفِرِينَ) كما عرف فى بنى إسرائيل (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) كان أهل الجاهلية إذانتجت الناقةخمسة أبطن آخرهاذكر بحروا إذنها أى شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولاتطرد عن ماء ولامرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفرى أو برأت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذاأعتق عبداقال هو سائبةفلاعقل بينهماولاميراث وكانت الشاة إذاولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرا أكله الرجال وإن كان أنثى أرسلت فى الغنم وكذا إن كان ذكراوأنثى وقالوا وصلت أخاهافالوصيلة بمعنى الواصلة وإذا نتجت من صلب الفحل عشرةأبطن قالوا قدحمى ظهره فلا يركب ولايحمل عليه ولايمنع من ماء ولامرعى ومعنى ماجعل ماشرع ذلك ولاأمر به(وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) بتحريمهم ماحرموا (يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فى نسبتهم هذا التحريم إليه (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ

مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) أى هلموا إلى حكم الله ورسوله بأن هـذه الأشياء غير محرمة (قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ) أى كافينا ذلك، حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذى والواو فى (أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ) للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) أى الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدى وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) انتصب أنفسكم بعليكم وهو من أسماء الأفعال أى الزموا إصلاح أنفسكم والكاف والميم فى عليكم فى موضع جر لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (لَا يَضُرُّكُم) رفع على الاستئناف أو جزم على جواب الأمر وإنما ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد (مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) رجوعكم (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ثم يجزيكم على أعمالكم روى أنه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدى وتميم وكانا نصرانيين إلى الشام فمرض بديل وكتب كتاباً فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ) ارتفع اثنان لأنه خبر المبتدأ وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو لأنه فاعل شهادة بينكم أى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. واتسع فى بين فأضيف إليه المصدر وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى إبداله منه دليل على وجوب الوصية لأن حضور الموت من الأمور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل إلى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل (ذَوَا عَدْلٍ) صفة لاثنين

(مِنْكُمْ) من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت (أَوْ ءَاخَرَانِ) عطف على اثنان (مِنْ غَيْرِكُمْ) من الأجانب (إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ) سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ) أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذمى على المسلم وإنما جازت فى أول الإسلام لقلة المسلمين (تَحْبِسُونَهُمَا) تقفونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله أو آخران من غيركم أى أو آخران من غيركم محبوسان وإن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (مِن بَعْدِ الصَّلَوٰةِ) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن رحمه الله: بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدها وفى حديث بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعدىٍّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدى (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ) فيحلفان به (إِنِ ارْتَبْتُمْ) شككتم فى أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لَا نَشْتَرِي) وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير إن ارتبتم فى شأنهما فحلفوهما (بِهِ) بالله أو بالقسم (ثَمَنًا) عوضا من الدنيا (وَلَوْ كَانَ) أى المقسم له (ذَا قُرْبَىٰ) أى لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريباً منا (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها (إِنَّا إِذًا) إن كتمنا (لَّمِنَ الْآثِمِينَ) وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فَإِنْ عُثِرَ) فإن اطلع (عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين (فَـَٔاخَرَانِ) فشاهدان آخران (يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) أى من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما (الْأَوْلَيَانِ) الأحقان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هما بدل من الضمير فى يقومان أو من آخران استحق عليهم الأوليان حفص. أى من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين. الأَوَّلِين حمزة وأبو بكر على أنه وصف للذين استحق عليهم

مجرور أو منصوب على المدح وسموا أولين لأنهم كانوا أولين فى الذكر فى قوله شهادة بينكم (فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا) أى ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وَمَا اعْتَدَيْنَآ) وما تجاوزنا الحق فى يميننا (إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ) أى إن حلفنا كاذبين (ذَٰلِكَ) الذى مرذكره من بيان الحكم (أَدْنَىٰٓ) أقرب (أَن يَأْتُوا) أى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بِالشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ) كما حلوها بلا خيانة فيها (أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) أى تكرر أيمان شهود آخرين بعدأيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (وَاتَّقُوا اللهَ) فى الخيانة واليمين الكاذبة (وَاسْمَعُوا) سمع قبول وإجابة (وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ) الخارجين عن الطاعة فإن قلت مامعنى أوهنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدّوا الشهادة بالحق والصدق إما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الأيمان وقداحتج به من يرى ردّ اليمين على المدعى والجواب أن الورثة قدادّعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء (يَوْمَ) منصوب باذكروا أو احذروا (يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ) ما الذى أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب بأجبتم نصب المصدر على معنى أىّ إجابة أجبتم (قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ) بإخلاص قومنا دليله (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ) أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدبا أى علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه لا علم لنا (إِذْ قَالَ اللهُ) بدل من يوم يجمع (يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل فى (إِذْ أَيَّدتُّكَ) أى قويتك نعمتى (بِرُوحِ الْقُدُسِ) بجبريل عليه السلام أيد به لتثبت الحجة عليهم أو بالكلام الذى يحيا به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام دليله (تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ) حال أى تكلمهم طفلا إعجازا (وَكَهْلًا) تبليغا (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ) معطوف على إذ أيدتك ونحوه وإذ تخلق. وإذ تخرج. وإذ كففت. وإذ أوحيت (الْكِتَٰبَ) الخط (وَالْحِكْمَةَ) الكلام المحكم الصواب (وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ) تقدر (مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ)

هيئة مثل هيئة الطير (بِإِذْنِي) بتسهيلي (فَتَنفُخُ فِيهَا) الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه وكذا الضمير في (فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) وعطف (وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي) على تخلق (وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ) من القبور أحياء (بِإِذْنِي) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ) أي اليهود حين هموا بقتله (إِذْ جِئْتَهُم) ظرف لكففت(بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ساحر حمزة وعلى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ) ألهمت (إِلَى الْحَوَارِيِّينَ) الخواص أو الأصفياء (أَنْ ءَامِنُوا) أي آمنوا (بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) أي اشهد بأننا مخلصون من أسلم وجهه (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) أي اذكروا إذ (يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يازيد بن عمرو (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب. هل تَستطيع ربك على أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا) ينزل مكي وبصرى (مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ) هي الخوان إذا كان عليه الطعام من ماده إذا أعطاه كأنها تميد من تقدم إليها (قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) إذ الإيمان يوجب التقوى (قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا) تبركا (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا) أي نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا (وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ) أصله ياالله فحذف يا وعوض منه الميم (رَبَّنَا) نداء ثان (أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيداء والعيد: السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا) بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والأتباع (وَءَايَةً مِّنكَ)

على صحة نبوتى ثم أكد ذلك بقوله (وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ) وأعطنا ماسألناك وأنت خير المعطين (قَالَ اللهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم وعدالإنزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ) بعد إنزالها منكم (فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا) أى تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير فى (لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ) للمصدر ولوأريد بالعذاب مايعذب به لم يكن بد من الباء (أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) عن الحسن أن المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت. فمن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاءوا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ) الجمهور على أن هذا السؤال يكون فى يوم القيامة دليله سياق الآية وسباقها وقيل خاطبه به حين رفعه إلى السماء دليله لفظ إذ (قَالَ سُبْحَٰنَكَ) من أن يكون لك شريك (مَا يَكُونُ لِىٓ) ما ينبغى لى (أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ) أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله (إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ) إن صح أنى قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى أنى لا أحتاج إلى الاعتذار لأنك تعلم أنى لم أقله ولو قلته لعلمته لأنك (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى) ذاتى (وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ) ذاتك فنفس الشىء ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك (إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ) تقرير للجملتين معا لأن ماانطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلم علام الغيوب لاينتهى إليه علم أحد (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ) أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به ثم فسر ما أمر به فقال (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ) فأن مفسرة بمعنى أى (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) رقيبا (مَّا دُمْتُ فِيهِمْ) مدة كونى فيهم (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) الحفيظ (وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال فى جملتهم إن تعذبهم أى أن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل فى ذلك فإنهم قد كفروا بعد

وجوب الحجة عليهم وإن تغفر لهم أى لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ماتريد حكيم فى ذلك أو عزيز قوى قادر على الثواب حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب (قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ) برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا أى يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر فى دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدأ والخبر فى محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف أى قال الله هـذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة (لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بالسعى المشكور (وَرَضُوا عَنْهُ) بالجزاء الموفور (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه باق بخلاف الفوز فى الدنيا فهو غير باق (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) عظم نفسه عما قالت النصارى إن معه إلها آخرا (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء نسأله أن يوفقنا لرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(تم الجزء الأول من تفسير الإمام النسفى ، ويليه الجزء الثانى وأوله تفسير سورة الأنعام)

تفسير النسفى

للإمام الجليل العلامة أبى البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى
عليه سحائب الرحمة
والرضوان

الجزء الثانى

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الأنعام مكية)

(وهي مائة وخمس وستون آية كوفي أربع وستون بصرى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أى الحمد له وإن لم تحمدوه (الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) جمع السموات لأنها طباق بعضها فوق بعض. والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض . جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وَجَعَلَ الظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ) وإلى مفعولين إن كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة، وأفرد النور لإرادة الجنس ولأن ظلمة كل شىء تختلف باختلاف ذلك الشىء، نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه، والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات، وقدم الظلمات لقوله عليه السلام : « خلق الله خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعد هذا البيان (بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يساوون به الأوثان، تقول عدلت بذا أى ساويته به، والباء فى بربهم صلة العدل لا الكفر، أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أى يعرضون عنه فتكون الباء صلة الكفر وصلة يعدلون أى عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه، ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته

(هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ) من لابتداء الغاية أى ابتدأ خلق أصلكم يعنى آدم منه (ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا) أى حكم أجل الموت (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ) أجل القيامة أو الأول مابين أن يخلق إلى أن يموت والثانى مابين الموت والبعث وهو البرزخ أو الأول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الأول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم، وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وإن كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة (ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) تشكون من المرية أو تجادلون من المراء. ومعنى ثم استبعاد أن يمتروا فيه بعد ماثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (وَهُوَ اللَّهُ) مبتدأ وخبر (فِى السَّمَاوَاتِ وَفِى الْأَرْضِ) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله أو المعروف بالإلهية فيهما أو هو الذى يقال له الله فيهما والأول تفريع على أنه مشتق وغيره على أنه غير مشتق (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أى هو يعلم سركم وجهركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب، ومن فى (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ) للاستغراق وفى (مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ) للتبعيض أى وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاعتبار (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) تاركين للنظر لايلتفتون إليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى العواقب (فَقَدْ كَذَّبُوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين على الآيات فقد كذبوا (بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) أى بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن الذى تُحدوا به فعجزوا عنه (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى أنباء الشىء الذى كانوا به يستهزءون وهو القرآن أى أخباره وأحواله يعنى سيعلمون بأى شىء استهزءوا وذلك عند إرسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته (أَلَمْ يَرَوْا) يعنى المكذبين (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مَّكَّنَّاهُمْ) فى موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى (فِى الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) التمكين فى البلاد إعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ) المطر (عَلَيْهِم مِّدْرَارًا) كثيرا وهو حال من السماء (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الأنهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فَأَهْلَكْنَاهُم

يغنوا بهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئاً (وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ) بدلا منهم (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا) مكتوبا (فِى قِرْطَاسٍ) فى ورق (فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) هو للتأكيد لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ومن المحتج عليهم العمى (لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (وَقَالُوا۟ لَوْلَآ) هلا (أُنزِلَ عَلَيْهِ) على النبى ﷺ (مَلَكٌ) يكلمنا أنه نبى فقال الله (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ) لقضى أمر هلاكهم (ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ) لايمهلون بعد نزوله طرفة عين لأنهم إذا شاهدوا ملكا فى صورته زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون ومعنى ثم بعدمابين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ماهذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا) لأرسلناه فى صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ فى أعم الأحوال فى صورة دحية لأنهم لايبقون مع رؤية الملائكة فى صورهم (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره إذا كان سبيله كسبيلك يامحمد فإنهم يقولون إذا رأوا الملك فى صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك يقال لبست الأمر على القوم وألبسته إذا أشبهته وأشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ماأصابه من استهزاء قومه بقوله (وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) فأحاط بهم الشىء الذى كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم به ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبى عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما إتباعا لضم التاء (قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا إن النظر جعل مسبباً عن السير فى فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا فى الأرض ثم انظروا إباحة السير فى الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر فى آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد مابين الواجب والمباح (قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) من استفهام ومابمعنى الذى فى موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قُل لِّلَّهِ) تقرير لهم أى هو لله لاخلاف بينى وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا منه شيئاً إلى غيره

(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) أصل كتب أوجب ولكن لايجوز الإجراء على ظاهره إذ لايجب على الله شيء للعبد فالمراد به أنه وعدذلك وعداً مؤكداً وهومنجزه لامحالةوذكرالنفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لايقدر على خلق شيء بقوله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فيجازيكم على إشراككم (لَا رَيْبَ فِيهِ) في اليوم أوفى الجمع (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) نصب على الذم أى أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وقال الأخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم أى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الأول لأن سيبويه قال لايجوز مررت بي المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لأنهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير (وَلَهُ) عطف على لله (مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك أومن السكون ومعناه ماسكن وتحرك فيهما فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أى الحر والبرد وذكر السكون لأنه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لأنهم لم ينكروا أنه خالق الكل ومدبره (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) ناصراً ومعبوداً وهو مفعول ثان لاتخذ والأول غير وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول أتخذ لاعليه لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لافي اتخاذ الولى فكان أحق بالتقديم (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر صفة لله أى مخترعهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلىّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) وهو يرزق ولا يرزق أى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) لأن النبي سابق أمته في الإسلام كقوله: وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وقيل لي لاتكونن من المشركين ولو عطف على ماقبله لفظا لقيل وأن لاأكون والمعنى أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى إني أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة إن عصيت ربي فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به، محذوف الجواب (مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ) العذاب (يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) الله الرحمة العظمى وهي النجاة من يَصرف حمزة وعلي وأبوبكر

أى من يصرف الله عنه العذاب (وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ) النجاة الظاهرة (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه (فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ) فلا قادر على كشفه إلا هو (وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) من غنى أو صحة (فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فهو قادر على إدامته وإزالته (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ) مبتدأ وخبر أى الغالب المقتدر (فَوْقَ عِبَادِهِۦ) خبر بعد خبر أى عال عليهم بالقدرة. والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ) فى تنفيذ مراده (ٱلْخَبِيرُ) بأهل القهر من عباده (قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً) أى شىء مبتدأ وأكبر خبره وشهادة تميز وأى كلمة يراد بها بعض ماتضاف إليه فإذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت إليه. وقوله (قُلِ ٱللَّهُ) جواب أى الله أكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على أنه يجوز إطلاق اسم الشىء على الله تعالى وهذا لأن الشىء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئاً ولذا نقول الله تعالى شىء لا كالأشياء ثم ابتدأ (شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بينى وبينكم لأنه إذا كان الله شهيداً بينه وبينهم فأكبر شىء شهادة شهيده (وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ) أى ومن بلغه القرآن إلى قيام الساعة فى الحديث «من بلغه القرآن فكأنما رأى محمد» ﷺ ومن فى محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد إليه محذوف أى ومن بلغه، وفاعل بلغ ضمير القرآن (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ) استفهام إنكار وتبكيت (قُل لَّآ أَشْهَدُ) بما تشهدون وكرر (قُلْ) توكيدا (إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) ما كافة لأن عن العمل وهو مبتدأ وإله خبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بإن وهو مبتدأ وإله خبره والجملة صلة الذى وواحد خبر إن وهذا الوجه أوقع (وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) به (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ) يعنى اليهود والنصارى. والكتاب: التوراة والإنجيل (يَعْرِفُونَهُۥ) أى رسول الله ﷺ بحليته ونعته الثابت فى الكتابين (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (وَمَنْ أَظْلَمُ) استفهام يتضمن معنى النفى أى لا أحد أظلم لنفسه، والظلم وضع الشىء فى غير موضعه، وأشنعه اتخاذ المخلوق معبوداً (مِمَّنْ

(ٱفْتَرَىٰ) اختلق (عَلَىٰ ٱللَّهِ كَذِبًا) فيصفه بما لا يليق به (أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ) بالقرآن والمعجزات (إِنَّهُۥ) إن الأمر والشأن (لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وسموا القرآن والمعجزات سحراً (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جَمِيعًا) حال من ضمير المفعول (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟) مع الله غيره توبيخاً، وبالياء فيهما يعقوب (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ) آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله (ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثُمَّ لَمْ تَكُن) وبالياء حمزة وعلى (فِتْنَتُهُمْ) كفرهم (إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) يعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنة لأنه كذب. وبرفع الفتنة مكى وشامى وحفص، فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أى لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة. ربَّنا حمزة وعلى، على النداء أى يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (ٱنظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ) بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ للمؤمنين قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم (وَضَلَّ عَنْهُم) وغاب عنهم (مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ) إلهيته وشفاعته (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) حين تتلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدرى ما يقول محمد إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إنى لأراه حقاً فقال أبو جهل، كلا. فنزلت (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أَن يَفْقَهُوهُ) كراهة أن يفقهوه (وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لأنه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا فى الأصلح على المعتزلة (وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ

لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) حتى هى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون إذا جاؤك فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (إِنْ هَٰذَا) ما القرآن (إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الأساطير أسطورة (وَهُمْ) أى المشركون (يَنْهَوْنَ عَنْهُ) ينهون الناس عن القرآن أوعن الرسول واتباعه والإيمان به (وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وَإِن يُهْلِكُونَ) بذلك (إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) أى لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله وقيل عنى به أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به والأول أشبه (وَلَوْ تَرَىٰ) حذف جوابه أى ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما (إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار (فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ) إلى الدنيا تمنوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدءوا بقوله (وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لانكذب ونؤمن. ولا نكذب ونكون حمزة وعلى وحفص على جواب التمنى بالواو وبإضمار أن ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما فى ونكون شامى (بَلْ) للإضراب عن الوفاء بما تمنوا (بَدَا لَهُم) ظهر لهم (مَّا كَانُوا يُخْفُونَ) من الناس (مِن قَبْلُ) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه أو فى أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ﷺ (وَلَوْ رُدُّوا) إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) من الكفر (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به (وَقَالُوا) عطف على لعادوا أى ولو ردوا لكفروا ولقالوا (إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أو على قوله وإنهم لكاذبون أى وإنهم لقوم كاذبون فى كل شىء وهم الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وهى كناية عن الحياة أوهو ضمير القصة (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى

بين يدى سيده ليعاقبه أو وقفوا على جزاء ربهم (قَالَ) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال (أَلَيْسَ هَٰذَا) أى البعث (بِالْحَقِّ) بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ماهو بحق (قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا) أقروا وأكدوا الإقرار باليمين (قَالَ) الله تعالى (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) بكفركم (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر للرؤية (حَتَّىٰ) غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له (إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ) أى القيامة لأن مدة تأخرها مع تأبد مابعدها كساعة واحدة (بَغْتَةً) فجأة وانتصابها على الحال يعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهى ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته (قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا) نداء تفجع معناه ياحسرة احضرى فهذا أوانك (عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا) قصرنا (فِيهَا) فى الحياة الدنيا أو فى الساعة أى قصرنا فى شأنها وفى الإيمان بها (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ) آثامهم (عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ) خص الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدى وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيء فطالما ركبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم (أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) بئس شيئا يحملونه وأفاد ألا تعظيم ما يذكر بعده (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) جواب لقولهم إن هى إلا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد إلى الهزل قيل ماأهل الحياة الدنيا إلاأهل لعب ولهو وقيل ماأعمال الحياة الدنيا إلالعب ولهو لأنها لاتعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وَلَلدَّارُ) مبتدأ (الْآخِرَةُ) صفتها ولدار الآخرة بالإضافة شامى أى ولدار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يضاف إلى صفته. وخبر المبتدأ على القراءتين (خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء مدنى وحفص ولما قال أبو جهل مانكذبك يامحمد وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به نزل (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ) الهاء ضمير الشأن (لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) لاينسبونك إلى الكذب. وبالتخفيف

نافع وعلى من أكذبه إذا وجده كاذبا (وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ بِئَايَٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالين كقوله فظلموا بها والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وإنما يكذبون الله لأن تكذيب الرسول تكذيب المرسل (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) تسلية لرسول الله ﷺ وهو دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانونى (فَصَبَرُوا) والصبر حبس النفس على المكروه (عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا) على تكذيبهم وإيذائهم (حَتَّىٰ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون. إنا لننصر رسلنا (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه لا يجيز زيادتها فى الواجب كان يكبر على النبى ﷺ كفر قومه وإعراضهم ويحبوا مجىء الآيات ليسلموا فنزل (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ) عظم وشق (إِعْرَاضُهُمْ) من الإسلام (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا) منفذا تنفذ فيه إلى ماتحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (فِى الْأَرْضِ) صفة لنفقا (أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم) منها (بِئَايَةٍ) فافعل وهو جواب فإن استطعت وإن استطعت وجوابها جواب وإن كان كبر والمعنى إنك لاتستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ) لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم أنهم يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَٰهِلِينَ) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لاينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) أى إنما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (وَالْمَوْتَىٰ) مبتدأ أى الكفار (يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ) هلا أنزل عليه (ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا

وتوسيع أرض مكة وتفجير الأنهار خلالها (قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً) كما اقترحوا (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) إن الله قادر على أن ينزل تلك الآية أولا يعلمون ما عليهم فى الآية من البلاء لو أنزلت (وَمَا مِن دَآبَّةٍ) هى اسم لما يدب وتقع على الذكر والمؤنث (فِى الْأَرْضِ) فى موضع جر صفة لدابة (وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لأن غير الطائر قد يقال فيه طار إذا أسرع (إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) فى الخلق والموت والبعث والاحتياج إلى مدبر يدبر أمرها (مَّا فَرَّطْنَا) ما تركنا (فِى الْكِتَٰبِ) فى اللوح المحفوظ (مِن شَىْءٍ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ماوجب أن يثبت، أو الكتاب القرآن وقوله من شىء أى من شىء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ماتعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) يعنى الأمم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا وإنما قال إلا أمم مع إفراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته مايشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ) لا يسمعون كلام المنبه (وَبُكْمٌ) لا ينطقون بالحق خابطون (فِى الظُّلُمَٰتِ) أى ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه. صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك، وفى الظلمات خبر آخر ثم قال إيذانا بأنه فعال لما يريد (مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ) أى من يشأ الله ضلاله يضلله (وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وفيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصى ونفى الأصلح (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ) وبتليين الهمزة مدنى، وبتركه على، ومعناه هل علمتم أن الأمر كما يقال لكم فأخبرونى بما عندكم والضمير الثانى لا محل له من الإعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم (إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ) أى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى أن الأصنام آلهة فادعوها لتخلصكم (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ) أى ما تدعونه إلى كشفه (إِن شَآءَ) إن أراد أن يتفضل عليكم (وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) وتتركون آلهتكم أو لاتذكرون آلهتكم فى ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على

كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم (فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ) بالبؤس والضر والأول القحط والجوع والثانى المرض ونقصان الأنفس والأموال (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟) أى هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفى التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع إلا عنادهم (وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فلم ينزجروا بما ابتلوا به (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) وصاروا معجبين بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ) من البأساء والضراء أى تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم (فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شاى (حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟) من الخير والنعمة (أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) آيسون متحسرون وأصله الإطراق حزنا لما أصابه أو ندما على مافاته وإذا للمفاجأة (فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟) أى أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم أو احمدوا الله على إهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ) بأن أصمكم وأعماكم (وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم) فسلب العقول والتميز (مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ) بما أخذ وختم عليه. من رفع بالابتداء وإله خبره وغير صفة لإله وكذا يأتيكم والجملة فى موضع مفعولى أرأيتم وجواب الشرط محذوف (ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) لهم (ٱلْءَايَٰتِ) نكررها (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الإعراض عن الشىء (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً) بأن لم تظهر أماراته (أَوْ جَهْرَةً) بأن ظهرت أماراته وعن الحسن ليلا أو نهارا (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم (وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والأدلة الساطعة (فَمَنْ ءَامَنَ

وَأَصْلَحَ) أى داوم على إيمانه (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فلا خوف يعقوبه (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ) جعل العذاب ماسا كأنه حى يفعل بهم مايريدمن الآلام (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) النصب عطفا على محل عندى خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) أى لا أدعى ما يستبعد فى المقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وإنما أدعى ما كان لكثير من البشر وهوالنبوة (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) أى ماأخبركم إلا بماأنزل الله على(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) مثل للضال والمهتدى أو لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن يدعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) فلاتكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أنى ماادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلى مما لابد لى منه (وَأَنذِرْ بِهِ) بما يوحى (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) هم المسلمون المقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى إليه أو أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث (لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) فى موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يدخلون فى زمرة أهل التقوى ولماأمرالنبى عليه السلام بإنذار غيرالمتقين ليتقوا أمر بعدذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاةالصبح والعصر أو الصلوات الخمس. بالغُدوة شامى ووصفهم بالإخلاص فى عبادتهم بقوله (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) فالوجه يعبر به عن ذات الشىء وحقيقته نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ماأنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنايوما ولهم يوماوطلبوا بذلك كتابا فدعا عليارضى الله عنه ليكتب فقام الفقراءوجلسوا ناحيةفنزلت فرمى عليهالصلاة والسلام بالصحيفةوأتى الفقراء فعانقهم (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) كقوله إن حسابهم إلا على ربى (وَمَا مِنْ

حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ) وذلك أنهم طعنوا فى دينهم وإخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم (فَتَطْرُدَهُمْ) جواب النفى وهو ماعليك من حسابهم (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) جواب النهى وهو ولا تطرد ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالما مسبب عن طردهم (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الأغنياء بالفقراء (لِّيَقُولُوا) أى الأغنياء (أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا) أى أنعم الله عليهم بالإيمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا إليه (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) بمن يشكر نعمته (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) من جملة مايقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا (أَنَّهُ) الضمير للشأن (مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا) ذنبا (بِجَهَالَةٍ) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلا لإيثاره المعصية على الطاعة (ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ) من بعد السوء أو العمل (وَأَصْلَحَ) أخلص توبته (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أنه فإنه شامى وعاصم الأول بدل الرحمة والثانى خبر مبتدأ محذوف أى فشأنه أنه غفور رحيم. أنه فأنه مدنى الأول بدل الرحمة والثانى مبتدأ. إنه فإنه غيرهم على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ) وبالياء حمزة وعلى وأبو بكر (سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لأنها تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول ﷺ يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى إسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أى صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله (قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ) أى لا أجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع

الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال (قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا) أى إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال (وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وما أنا من المهتدين فى شىء يعنى أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى) أى إنى من معرفة ربى وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة (وَكَذَّبْتُم بِهِ) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بما دل على أنهم أحقاء بأن يعاقبوا بالعذاب فقال (مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ) فى تأخير عذابكم (يَقُصُّ الْحَقَّ) حجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتعجيل فالحق أى القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وَهُوَ خَيْرُ الْفَٰصِلِينَ) أى القاضين بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى) أى فى قدرتى وإمكانى (مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) من العذاب (لَقُضِىَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ) لأهلكتكم عاجلا غضبا لربى (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّٰلِمِينَ) فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم أنه أردع (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ) المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح، أوهى خزائن العذاب والرزق أو ماغاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال. جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما فى الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما فى المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه (وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ) من النبات والدواب (وَالْبَحْرِ) من الحيوان والجواهر وغيرهما (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا) ما للنفى ومن للاستغراق أى يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ) عطف على ورقة

وداخل فى حكمها وقوله (إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ) كالتكرير لقوله إلايعلمها لأن معنى إلايعلمها ومعنى إلافى كتاب مبين واحدوهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّـٰكُم بِٱلَّيْلِ) أى يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام فى المنام (وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ) كسبتم فيه من الآثام (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) ثم يوقظكم فى النهار أوالتقدير ثم يبعثكم فى النهار ويعلم ماجرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهم وليس فيه أنه لايعلم ماجرحنا بالليل ولا أنه لايتوفانا بالنهار فدل أن تخصيص الشىء بالذكر لايدل على نفى ماعداه (لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى) لتوفى الآجال على الاستكمال (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى ليلكم ونهاركم. قال بعض أهل الكلام: إن لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم فأما الروح التى تحيا بها النفس فإنها لاتقبض إلاعند انقضاء الأجل والمراد بالأرواح المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والأخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أى يوقظم ويرد إليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها إليها فكذا يحيى الأنفس بعد موتها (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تقرأ على رءوس الأشهاد (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ) حتى لغاية حفظ الأعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة إلى أن يأتيه الممات (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالإمالة حمزة رسلنا أبو عمرو (وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) لايتوانون ولا يؤخرون (ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ) إلى حكمه وجزائه أى رد المتوفون برد الملائكة (مَوْلَىٰهُمُ) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (ٱلْحَقِّ) العدل الذى لا يحكم إلا بالحق وهما صفتان لله (أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ) يومئذ لاحكم فيه لغيره (وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ) لايشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق فى مقدار حلب شاة وقيل الزد إلى من رباك خير من البقاء مع من آذاك (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم) ينجيكم ابن عباس (مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما أو ظلمات البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما فى الغيم والليل (تَدْعُونَهُۥ) حال من ضمير المفعول فى ينجيكم (تَضَرُّعًا)

معلنين الضراعة وهو مصدر فى موضع الحال وكذا (وَخُفْيَةً) أى مسرين فى أنفسكم خِفية حيث كان أبو بكر وهما لغتان (لَئِنْ أَنجَانَا) عاصم وبالامالة حمزة وعلى. الباقون أنجيتنا والمعنى يقولون لئن خلصنا (مِنْ هَٰذِهِ) الظلمات (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ) لله تعالى (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم) بالتشديد كوفى (مِّنْهَا) من الظلمات (وَمِن كُلِّ كَرْبٍ) وغم وحزن (ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) ولا تشكرون (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ) هو الذى عرفتموه قادراً أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) كالمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) كما غرق فرعون وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر والنبات (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال (وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام «سألت الله تعالى أن لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل أن فناء أمتى بالسيف» (انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) بالوعد والوعيد (لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ) بالقرآن أو بالعذاب (قَوْمُكَ) قريش (وَهُوَ الْحَقُّ) أى الصدق أو لا بد أن ينزل بهم (قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) بحفيظ وكل إلىّ أمركم إنما أنا منذر (لِّكُلِّ نَبَإٍ) لكل شىء ينبأ به يعنى إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به (مُّسْتَقَرٌّ) وقت استقرار وحصول لا بد منه (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) تهديد (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) أى القرآن يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تجالسهم وقم عنهم (حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ) مانهيت عنه ينسّينك شامى نسّى وأنسى واحد (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ) بعد أن تذكر (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء (مِّن شَيْءٍ) أى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شىء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم

(وَلَـٰكِن) عليهم أن يذكروهم (ذِكْرَىٰ) إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم. ومحل ذكرى نصب أى ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا، أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام (لَعِبًا وَلَهْوًا) سخروا به واستهزءوا. ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو مايشغل الإنسان من هوى أو طرب (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ) وعظ بالقرآن (أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ) ينصرها بالقوة (وَلَا شَفِيعٌ) يدفع عنها بالمسئلة. ولا وقف على كسبت فى الصحيح لأن قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ) نصب على المصدر وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادى يعدل المفدى بمثله وفاعل (لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا) لا ضمير العدل لأن العدل هنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدّى به فصح إسناده إليه (أُولَـٰئِكَ) إشارة إلى المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر (الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) وقوله (لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ) أى ماء سخين حار خبر ثان لأولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بكفرهم (قُلْ) لأبى بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه إلى عبادة الأوثان (أَنَدْعُوا) أنعبد (مِن دُونِ اللَّهِ) الضار النافع (مَا لَا يَنفَعُنَا) مالا يقدر على نفعنا إن دعوناه (وَلَا يَضُرُّنَا) إن تركنا (وَنُرَدُّ) وأنرد (عَلَىٰ أَعْقَابِنَا) راجعين إلى الشرك (بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ) للإسلام وأنقذنا من عبادة الأصنام (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف فى محل النصب على الحال من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أننكص مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه (فِي الْأَرْضِ) فى المهمه (حَيْرَانَ) حال من مفعول استهوته أى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع (لَهُ) لهذا المستهوى (أَصْحَابٌ) رفقة (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى) إلى أن يهدوه الطريق. سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له

(ائْتِنَا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لايجيبهم ولايأتيهم وهذا مبنى على ما يقال إن الجن تستهوى الإنسان والغيلان تستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ) وهو الإسلام (هُوَ الْهُدَىٰ) وحده وما وراءه ضلال (وَأُمِرْنَا) محله النصب بالعطف على محل إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ) والتقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أى للإسلام ولإقامة الصلاة (وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يوم القيامة (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة أوحقا (وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ) على الخبر دون الجواب (قَوْلُهُ الْحَقُّ) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين . والمعنى أنه خلق السماوات والأرض بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الأشياء كن فيكون ذلك الشىء قوله الحق والحكمة أى لا يكون شيئا من السماوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب (وَلَهُ الْمُلْكُ) مبتدأ وخبر (يَوْمَ يُنفَخُ) ظرف لقوله وله الملك (فِي الصُّورِ) هو القرن بلغة اليمن أوجمع صورة (عَالِمُ الْغَيْبِ) هو عالم الغيب (وَالشَّهَادَةِ) أى السر والعلانية (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى الإفناء والإحياء (الْخَبِيرُ) بالحساب والجزاء (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) هو اسم أبيه أولقبه لأنه خلاف بين النسابين أن اسم أبيه تارخ وهو عطف بيان لأبيه وزنه فاعل (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) استفهام توبيخ أى أتتخذها آلهة وهى لا تستحق الإلهية (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَٰلِكَ) أى وكما أريناه قبح الشرك (نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى نرى بصيرته لطائف خلق السماوات والأرض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لأن الواو والتاء زادتان للمبالغة . قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر إلى مافيهن حتى انتهى نظره إلى العرش وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر إلى مافيهن (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) فعلنا ذلك أوليستدل، وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن بيانا (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) أى أظلم وهو عطف على قال إبراهيم لأبيه، وقوله: وكذلك نرى إبراهيم. جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رَأَىٰ كَوْكَبًا) أى الزهرة أو المشترى وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام

والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها ليس بإله لقيام دليل الحدوث فيها ولأن لها محدثاً أحدثها ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه (قَالَ هَٰذَا رَبِّى) أى قال لهم هذا ربى فى زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وإنكاراً عليهم والعرب تكتفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (فَلَمَّآ أَفَلَ) غاب (قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ) أى لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام (فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً) مبتدئاً فى الطلوع (قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ) نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلها فهو ضال وإنما احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب (فَلَمَّآ رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى) وإنما ذكره لأنه أراد الطالع أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما شىء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا فى صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وإن كان الثانى أبلغ تفاديا من علامة التأنيث (هَٰذَآ أَكْبَرُ) من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه (فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) من الأجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله تعالى والأول أظهر لقوله ياقوم إنى برىء مما تشركون (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) أى للذى دلت هذه المحدثات على أنه منشئها (حَنِيفاً) حال أى مائلا عن الأديان كلها إلى الإسلام (وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) بالله شيئاً من خلقه (وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ) فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ) فى توحيده. أتحاجونى مدنى وابن ذكوان (وَقَدْ هَدَىٰنِ) إلى التوحيد ، وبالياء فى الوصل أبو عمرو ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال (وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا) أى لا أخاف معبوداتكم فى وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر فهو قادر على أن يجعل فيها

شاء نفعا وفيا شاء ضرا لاالأصنام (وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً) فلا يصيب عبدا شيء من ضر أو نفع إلا بعلمه (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) فتميزوا بين القادر والعاجز (وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ) معبوداتكم وهي مأمونة الخوف (وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) بإشراكه (عَلَيْكُمْ سُلْطَناً) حجة إذ الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى ومالكم تنكرون على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف (فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ) أي فريقي الموحدين والمشركين (أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) من العذاب (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ولم يقل فأينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ) بشرك عن الصديق رضي الله عنه (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) تم كلام إبراهيم عليه السلام (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ)إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى وهم مهتدون (ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ) وهو خبر بعد خبر (نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ) في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة في الأصلح (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) بالرفع (عَلِيمٌ) بالأهل (وَوَهَبْنَا لَهُۥ) لابراهيم (إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا) أي كلهم وانتصب كلا بهدينا (وَنُوحاً هَدَيْنَا) أي وهدينا نوحاً (مِن قَبْلُ) من قبل إبراهيم (وَمِن ذُرِّيَّتِهِ) الضمير لنوح أو لإبراهيم والأول أظهر لأن يونس ولوطا لم يكونا من ذرية إبراهيم (دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) ونجزى المحسنين جزاء مثل ذلك فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ) أي كلهم (مِّنَ الصَّٰلِحِينَ) وذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضاً لأنه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لا يتصل به إلا بالأم وبذا أجيب الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبي عليه السلام (وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ) والليسع حيث كان بلامين حمزة وعلي (وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ) بالنبوة والرسالة (وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ) في موضع النصب عطفا على كلا أي وفضلنا بعض آبائهم (وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذَٰلِكَ) أي ما دان به هؤلاء المذكورون (هُدَى اللَّهِ) دين الله (يَهْدِى بِهِ

مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيه نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون إن الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا (وَلَوْ أَشْرَكُوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى (لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ) يريد الجنس (وَالْحُكْمَ) والحكمة أو فهم الكتاب (وَالنُّبُوَّةَ) وهي أعلى مراتب البشر (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هَٰؤُلَآءِ) أي أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا) هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في (لَّيْسُوا بِهَا) صلة كافرين وفي (بِكَٰفِرِينَ) لتأكيد النفي (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أي الأنبياء الذين مر ذكرهم (فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة، والهاء في اقتده للوقف تسقط في الوصل واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف ويحذفها حمزة وعلى الوصل ويختلسها شامي (قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ) على الوحي أو على تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد (أَجْرًا) جعلا وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ) ما القرآن إلا عظة للجن والإنس (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) أي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين روى أن جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام له «أليس في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين» قال نعم قال «فأنت الحبر السمين» فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء وحق قدره منصوب نصب المصدر (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا) حال من الضمير في به أو من الكتاب (وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) مما فيه نعت رسول الله ﷺ أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء. وبالياء في الثلاثة مكي وأبو عمرو

(وَعُلِّمْتُم) يا أهل الكتاب بالكتاب (مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ) من أمور دينكم ودنياكم (قُلِ اللَّهُ) جواب أى أنزله الله فإنهم لايقدرون أن يناكروك (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ) فى باطلهم الذى يخوضون فيه (يَلْعَبُونَ) حال من ذرهم أو من خوضهم (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ) على نبينا عليه السلام (مُبَارَكٌ) كثير المنافع والفوائد (مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (وَلِتُنذِرَ) وبالياء أبوبكر أى الكتاب وهو معطوف على مادل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ماتقدمه من الكتب والإنذار (أُمَّ الْقُرَىٰ) مكة وسميت أم القرى لأنها سرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأناً ولأن الناس يؤمونها (وَمَنْ حَوْلَهَا) أهل الشرق والغرب (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) خصت الصلاة بالذكر لأنها علم الإيمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهراً (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) هو مالك بن الصيف (أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ) هو مسيلمة الكذاب (وَمَن قَالَ) فى موضع جر عطف على من افترى أى وممن قال (سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ) أى سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح كاتب الوحى وقد أملى النبى عليه السلام عليه ولقد خلقنا الإنسان إلى خلقاً آخر فجرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام «اكتبها فكذلك نزلت» فشك وقال إن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى كما أوحى إليه وإن كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة أو النضر بن الحرث كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجناً فالخابزات خبزا كأنه يعارض (وَلَوْ تَرَىٰ) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيماً (إِذِ الظَّٰلِمُونَ) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل هؤلاء لاشتماله (فِى غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ) شدائده وسكراته (وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ) أى يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن التشديد فى الإزهاق من غير تنفيس وإمهال (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أرادوا وقت الإماتة ومايعذبون به من شدة النزع. والهون : الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (بِمَا كُنتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أووصف لمصدر محذوف أىقولا غير الحق (وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) فلا تؤمنون بها (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا) للحساب والجزاء (فُرَٰدَىٰ) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كأسير وأسارى (كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل ما خلقناكم (أَوَّلَ مَرَّةٍ) على الهيئات التى ولدتم عليها فى الانفراد (وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ) ملكناكم (وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ) ولم تحتملوا منه نقيرا (وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا) فى استعبادكم (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) بينكم وصلكم عن الزجاج والبين : الوصل والهجر قال .

فوالله لولا البين لم يكن الهوى ولولا الهوى ما حن للبين آلف

بينكم مدنى وعلى وحفص أى وقع التقطع بينكم (وَضَلَّ عَنكُم) وضاع وبطل (مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) أنها شفعاؤكم عند الله (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ) بالنبات والشجر أى فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة، والفلق: الشق، وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ) النابت النض النامى من الحب اليابس (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ) الحب اليابس من النبات النامى أو الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنهم أنكروا البعث فأعلمهم أنه الذى خلق هذه الأشياء فهو يقدر على بعثهم وإنما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لأنه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحى من الميت لأن النامى فى حكم الحيوان دليله قوله: ويحيى الأرض بعد موتها (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ) ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية لا الأصنام (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عنه وعن تواليه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) هو مصدر سمى به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار (وَجَعَلَ[1] الَّيْلَ) وجعل الليل كوفى لأن اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سَكَنًا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أى ليسكن

(١) فى النسخ التى بأيدينا : وجاعل الليل وهى قراءة سبعية وهى المناسبة لقوله وجعل الليل الخ اه .

فيه الخلق عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة أوعن وحشة الخلق إلى الأنس بالحق (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) انتصبا بإضمار فعل يدل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حُسْبَانًا) أى جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذَٰلِكَ) إشارة إلى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذى قهرهما وسخرهما (الْعَلِيمِ) بتدبيرهما وتدويرهما (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ) خلقها (لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أى فى ظلمات الليل بالبر وبالبحر وأضافها إليهما لملابستها لهما أوشبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قَدْ فَصَّلْنَا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) هى آدم عليه السلام (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (قَدْ فَصَّلْنَا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) وإنما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لأن الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لأن إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً) من السحاب مطرا (فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء (نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ) نبت كل صنف من أصناف النامى أى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) من النبات (خَضِرًا) أى شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ماتشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نُّخْرِجُ مِنْهُ) من الخضر (حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) وهو السنبل الذى تراكب حبه (وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ) هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دَانِيَةٌ) من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أولقصر ساقها وفيه اكتفاء أى وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر (وَجَنَّٰتٍ) بالنصب عطفا على نبات كل شىء أى وأخرجنا به جنات (مِّنْ أَعْنَابٍ) أى مع النخل وكذا (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ) وجنات بالرفع الأعشى أى وثم جنات من أعناب أى مع النخل (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ) يقال اشتبه الشيئان

وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم (انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ) إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به (وَيَنْعِهِۦٓ) ونضجه أى انظروا إلى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع، نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال (إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ثمُرُه وكذا مابعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ) إن جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا كان الجن بدلا من شركاء وإلا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأوّل وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو غير ذلك والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وَخَلَقَهُمْ) أى وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وَخَرَقُوا لَهُۥ) أى اختلقوا يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب إذا شقه أى اشتقوا له (بَنِينَ) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (وَبَنَٰتٍۭ) كقول بعض العرب فى الملائكة. وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بِغَيْرِ عِلْمٍ) من غير أن يعلموا حقيقة ماقالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ) من الشريك والولد (بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) يقال بدُع الشىء فهو بديع وهو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ) أو هو فاعل تعالى (وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من صاحبة ولا صاحبة له ولأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد (وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) أى مامن شىء إلا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شىء والولد إنما يطلبه المحتاج (ذَٰلِكُمُ) إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ ومابعده أخبار مترادفة وهى (اللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ) وقوله (فَاعْبُدُوهُ) مسبب من مضمون الجملة أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق

بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) أى هومع تلك الصفات مالك لكل شىء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَٰرُ) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لأن المنفى هو الإدراك لاالرؤية ،والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم ونفى الإحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به فهكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفى إدراك ما تستحيل رؤيته لاتمدح فيه لأن كل ما لا يرى لايدرك وإنما التمدح بنفى الإدراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصى عن عهدتها ومن ينفى الرؤية يلزمه نفى أنه معلوم موجود وإلا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئى وهذا لأن الرؤية تحقق الشىء بالبصر كما هو فإن كان المرئى فى الجهة يرى فيها وإن كان لافى الجهة يرى لا فيها (وَهُوَ) للطف إدراكه (يُدْرِكُ الْأَبْصَٰرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ)أى العالم بدقائق الأمور ومشكلاتها (الْخَبِيرُ) العليم بظواهر الأشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر (قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ) البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما أن البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه ماهو للقلوب كالبصائر (فَمَنْ أَبْصَرَ) الحق وآمن (فَلِنَفْسِهِ) أبصر وإياها نفع (وَمَنْ عَمِىَ) عنه وضل (فَعَلَيْهَا) فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى (وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنامنذر والله هو الحفيظ عليكم. الكاف فى (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْأَيَٰتِ) فى مرضع نصب صفة المصدر المحذوف أى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك (وَلِيَقُولُوا) جوابه محذوف أى وليقولوا (دَرَسْتَ) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب. دارست مكى وأبو عمرو أى دارست أهل الكتاب. دَرَسَت شامى أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الأولين (وَلِنُبَيِّنَهُ) أى القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لأنها فى معنى القرآن قيل اللام الثانية حقيقة والأولى لام العاقبة والصيرورة

أى لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولـكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولـكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الحق من الباطل (اتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) ولا تتبع أهواءهم (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحى لا محل له من الإعراب أو حال من ربك مؤكدة (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فى الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال (وَلَوْ شَآءَ اللهُ) أى إيمانهم فالمفعول محذوف (مَآ أَشْرَكُوا) بيّن أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولـكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا بمشيئته (وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) مراعيا لأعمالهم مأخوذا بإجرامهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) بمسلط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ) منصوب على جواب النهى (عَدْوًا) ظلما وعدوانا (بِغَيْرِ عِلْمٍ) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التزيين (زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ) من أمم الكفار (عَمَلَهُمْ) وهو كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الأصلح (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ) مصيرهم (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) جهد مصدر وقع موقع الحال أى جاهدين فى الإتيان بأوكد الأيمان (لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ) من مقترحاتهم (لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْأَيَٰتُ عِندَ اللهِ) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) وما يدريكم (أَنَّهَآ) أن الآية المقترحة (إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) بها يعنى أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لاتعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى إنكم لا تدرون ما سبق علمى به من أنهم لايؤمنون إنها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على أن الكلام تم قبله أى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم

من جعل لامزيدة فى قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون. لا تؤمنون شامى وحمزة (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ) عن قبول الحق (وَأَبْصَارَهُمْ) عن رؤية الحق عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم أى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها (وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) قيل وما يشعركم أنا نذرهم فى طغيانهم يعمهون يتحيرون (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ) جمعنا (كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) كفلاء بصحة مابشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل. قِبلا مدنى وشامى أى عيانا وكلاهما نصب على الحال (مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) إيمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) أى هؤلاء لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب (شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ) على البدل من عدوا أو على أنه من المفعول الأول وعدوا مفعول ثان (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض، وعن مالك ابن دينار إن شيطان الإنس أشد علىّ من شيطان الجن لأنى إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا. وقال عليه السلام «قرناء السوء شر من شياطين الجن» (زُخْرُفَ الْقَوْلِ) ما زينوه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصى (غُرُورًا) خدعا وأخذا على غرة وهو مفعول له (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) أى الإيحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم أنه أجزل فى الثواب (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) عليك وعلى الله فإن الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم (وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) ولتميل إلى زخرف القول قلوب الكفار وهى معطوفة على غرورا أى ليغروا ولتصغى إليه (وَلِيَرْضَوْهُ) لأنفسهم (وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ)

من الآثام (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا) أى قل يامحمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بينى وبينكم ويفصل الحق منا من المبطل (وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ) المعجز (مُفَصَّلًا) حال من الكتاب أى مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ماعندهم وموافقته بقوله (وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ) أى عبد الله بن سلام وأصحابه (يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ) شامى وحفص (مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أى ماتكلم به. كلمات ربك حجازى وشامى وأبو عمرو أى تم كل ماأخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صِدْقًا) فى وعده ووعيده (وَعَدْلًا) فى أمره ونهيه وانتصبا على التمييز أو على الحال (لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ) لا أحد يبدل شيئاً من ذلك (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ) لإقرار من أقر (ٱلْعَلِيمُ) بإصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ) أى الكفار لأنهم الأكثرون (يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) دينه (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون فى أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) أى هو يعلم الكفار والمؤمنين. من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجملة نصب بيعلم المقدر لا بأعلم لأن أفعل لايعمل فى الاسم الظاهر النصب ويعمل الجر وقيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده فى بالمهتدين (فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ) هو مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أى على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟) ما استفهام فى موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أى وأى غرض لكم فى أن

لاتأكلوا (مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم) بين لكم (مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة ـ فصل وحرم كوفى غير حفص وبفتحهما مدنى وحفص وبضمهما غيرهم (إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) مما حرم عليكم فإنه حلال لكم فى حال الضرورة أى شدة المجاعة إلى أكله (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ) ليضلون كوفى (بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ) أى يضلون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) بالمتجاوزين من الحق إلى الباطل (وَذَرُوا ظَٰهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) علانيته وسره أو الزنا فى الحوانيت والصديقة فى السر أو الشرك الجلى والخفى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ) يوم القيامة (بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) يكتسبون فى الدنيا (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) عند الذبح (وَإِنَّهُ) وإن أكله (لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ) ليوسوسون (إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ) من المشركين (لِيُجَٰدِلُوكُمْ) بقولهم لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بأيديكم ، والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسى ذاكرا تقديراً (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فى استحلال ماحرمه الله (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) لأن من اتبع غير الله فى دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لايأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما فى الآية من التشديد العظيم ومن أوّل الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال إن الواو فى وإنه لفسق للحال لأن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لايحسن فيكون التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ماسواه حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لاأجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ) أى كافرا فهديناه لأن الإيمان حياة القلوب ميّتاً مدنى (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) مستضيئا به والمراد به اليقين (كَمَن مَّثَلُهُ) أى صفته (فِي الظُّلُمَٰتِ) أى خابط فيها (لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) لايفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والأصح أن الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله فبين أن مثل المهتدى مثل الميت الذى أحيى وجعل مستضيئا يمشى فى الناس بنور الحكمة والإيمان ومثل الكافر مثل من هو فى الظلمات التى لايتخلص منها

(كَذَٰلِكَ) أى كما زين للمؤمن إيمانه (زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ) بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم أعمالهم (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى أعمالهم (وَكَذَٰلِكَ) أى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها (جَعَلْنَا) صيرنا (فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْـكُرُوا فِيهَا) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصى . واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الأكابر وهم الرؤساء لأن مافيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد له النصرة بقوله (وَمَا يَمْـكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ) لأن مكرهم يحيق بهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) أنه يحيق بهم أكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية، ومجرميها بدل من أكابر أو الأول مجرميها والثانى أكابر والتقدير مجرميها أكابر ولما قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، نزل (وَإِذَا جَآءَتْهُمْ) أى الأكابر (ءَايَةٌ) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالإيمان (قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ) أى نعطى من الآيات مثل ما أعطى الأنبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) مكى وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) من أكابرها (صَغَارٌ) ذل وهوان (عِندَ اللَّهِ) فى القيامة (وَعَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الدارين من القتل والأسر وعذاب النار (بِمَا كَانُوا يَمْـكُرُونَ) فى الدنيا (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ) يوسعه وينور قلبه. قال عليه السلام «إذا دخل النور فى القلب انشرح وانفتح» قيل وما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (وَمَن يُرِدْ) أى الله (أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا) ضيْقا مكى (حَرَجًا) حرِجا صفة لضيقا مدنى وأبو بكر بالغ فى الضيق حرَجاً غيرهما وصفا بالمصدر (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَآءِ) كأنه كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعى إلى الإسلام من ضيق صدره عنه إذا ضاقت عليه الأرض فطلب مصعدا فى السماء أو كعازب الرأى طائر القلب فى الهواء يصْعَد مكى يصّاعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون يصّعّد وأصله يتصعد (كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ) العذاب فى الآخرة واللعنة فى الدنيا (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) والآية حجة لنا على المعتزلة

فى إرادة المعاصى (وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ) أى طريقه الذى اقتضته الحكمة وسنته فى شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيقاً لمن أراد ضلاله (مُسْتَقِيماً) عادلا مطردا وهو حال مؤكدة (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (لَهُمْ) أى لقوم يذكرون (دَارُ السَّلَٰمِ) دار الله يعنى الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله: تحيتهم فيها سلام. إلا قيلا سلاما سلاما (عِندَ رَبِّهِمْ) فى ضمانه (وَهُوَ وَلِيُّهُم) محبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) بأعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا فى الدنيا بتوفيق الأعمال وفى العقبى بتحقيق الآمال (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[1] جَمِيعاً) وبالياء حفص أى واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ) أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجنود (وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ) الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم (رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) أى انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى أغوائهم (وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قَالَ النَّارُ مَثْوَىٰكُمْ) منزلكم (خَٰلِدِينَ فِيهَآ) حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى: أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. فمصبحين حال من هؤلاء والعامل فى الحال معنى الاضافة إذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لأن المكان لا يعمل فى شىء (إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ) أى يخلّدون فى عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التى ينقلون فيها من عذاب السعير إلى عذاب الزمهرير (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه (عَلِيمٌ) بأعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضاً) نتبع بعضهم بعضاً فى النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) عن الضحاك بعث إلى الجن رسلا منهم كما بعث

(١) فى الأصول التى بأيدينا نحشرهم وهى قراءة ، وقد نبهنا قبل على أننا مشينا على قراءة حفص .

إلى الانس رسلا منهم لأنهم بهم آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلين فى الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا إلى قومهم منذرين (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي) يقرءون كتبي (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا) يعني يوم القيامة (قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا) بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل إلينا (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ) بالرسل (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من بعثة الرسل إليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك (أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ) تعليل أى الأمر ماقصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، والمعنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه (وَلِكُلٍّ) من المكلفين (دَرَجَـٰتٌ) منازل (مِّمَّا عَمِلُوا) من جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على أن للجن الثواب بالطاعة لأنه ذكر عقيب ذكر الثقلين (وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بساه عنه وبالتاء شامى (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ) عن عباده وعن عبادتهم (ذُو الرَّحْمَةِ) عليهم بالتكاليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) أيها الظلمة (وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ) من الخلق المطيع (كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (إِنَّمَا) مابمعنى الذى (تُوعَدُونَ) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لَأَتٍ) خبر إن أى لكائن (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات. المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قُلْ يَـٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها، ويقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله: على مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه (إِنِّى عَامِلٌ) على مكانتى التى أنا عليها أى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فإنى ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد، دليله قوله (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ الدَّارِ) أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف

فى الإنذار (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ) أى الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حمزة وعلى وموضع من رفع إذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أو نصب إذا كان بمعنى الذى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا) أى وللأصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله تعالى (فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا) بزُعمهم على وكذا ما بعده أى زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ) أى لا يصل إلى الوجوه التى كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ) من إنفاقهم عليها والإجراء على سدنتها روى أنهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للأصنام وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها وقالوا إن الله غنى وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها وفى قوله مما ذرأ إشارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكى لأنه هو الذى ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) فى إيثار آلهتهم على الله وعملهم على مالم يشرع لهم وموضع مارفع أى ساء الحكم حكمهم أو نصب أى ساء حكما حكمهم (وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) أى كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قَتْلَ) مفعول زين (أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامى على إضافة القتل إلى الشركاء أى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم (لِيُرْدُوهُمْ) ليهلكوهم بالإغواء (وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ) وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) وما يفترونه من الإفك أو وافترائهم لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وَقَالُوا هَـٰذِهِ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ) للأوثان (حِجْرٌ) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء ، والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) هى البحائر

والسوائب والحوامى (وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) حالة الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام (افْتِرَآءً عَلَيْهِ) هو مفعول له أو حال أى قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه (سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وعيد (وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ الْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا) كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الإناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والإناث وأنث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لأن ما فى معنى الأجنة وذكر ومحرم حملا على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة (وَإِن يَكُن مَّيْتَةً) أى وإن يكن ما فى بطونها ميتة، وإن تكن ميتةً أبو بكر أى وإن تكن الأجنة ميتة، وإن تكن ميتةٌ شامى على كان التامة، يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكير الضمير فى (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ) لأن الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه شركاء (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم (إِنَّهُ حَكِيمٌ) فى جزائهم (عَلِيمٌ) باعتقادهم (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَـٰدَهُمْ) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر قتّلوا مكى وشامى (سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لاهم (وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) من البحائر والسوائب وغيرها (افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ) مفعول له (قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) إلى الصواب (وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ) خلق (جَنَّـٰتٍ) من الكروم (مَّعْرُوشَـٰتٍ) مسموكات مرفوعات (وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ) متروكات على وجه الأرض لم تعرش يقال عرشت الكرم إذا جعلت لها دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أُكُلُهُ) أكْله حجازى وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لأنه معطوف عليه أو لكل واحد (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا) فى اللون (وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ) فى الطعم (كُلُوا مِن ثَمَرِهِ) من ثمر كل واحد وفائدة (إِذَآ أَثْمَرَ) أن يعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك (وَءَاتُوا حَقَّهُ) عشره وهو حجة أبى حنيفة رحمه الله

فى تمييم العشر (يَوْمَ حَصَادِهِ) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان (وَلَا تُسْرِفُوٓا) بإعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا إلى (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) اعتراض (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا) عطف على جنات أى وأنشأ من الأنعام مايحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنهادانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) أى ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما فى الجاهلية (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) طرقه فى التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) فاتهموه على دينكم (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) بدل من حمولة وفرشا (مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ)زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى والواحد إذا كان وحده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمرو وهما لغتان والهمزة فى (قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها وإناثها ولا مما تحمل الإناث وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها طورا وأولادها كيفما كانت ذكوراً أو إناثا أومختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين بحرم وكذا أم الأنثيين أى أم حرم الأنثيين وكذا مافى أم ما اشتملت (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فى أن الله حرمه(وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ) منهما (حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ) منهما (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ) أم ماتحمل إناثها (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ) أم منقطعة أى بل أكنتم شهداء (إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا) يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه تهكم بهم فى قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين

لأنكم لا تؤمنون بالرسل (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فنسب إليه تحريم مالم يحرم (لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى الذين فى علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات فى الكلام لاتساق إلا للتوكيد (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ) أى فى ذلك الوقت أو فى وحى القرآن لأن وحى السنة قد حرم غيره أو من الأنعام لأن الآية فى رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحى الله وشرعه لابهوى الأنفس (مُحَرَّمًا) حيوانا حرم أكله (عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ) على آكل يأكله (إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً) إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أن تكون مكي وشامي وحمزة ميتة شامي (أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا) مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال (أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) نجس (أَوْ فِسْقًا) عطف على المنصوب قبله وقوله فإنه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى بالفسق لتوغله فى باب الفسق (فَمَنِ اضْطُرَّ) فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات (غَيْرَ بَاغٍ) على مضطر مثله تارك لمواساته (وَلَا عَادٍ) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لا يؤاخذه (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) أى ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الإبل والنعام (وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) أى حرمنا عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) إلا مااشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أَوِ الْحَوَايَا) أو ما اشتمل على الأمعاء واحدها حاوياء أوحوية (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) وهو الألية أو المخ (ذَٰلِكَ) مفعول ثان لقوله (جَزَيْنَاهُم) والتقدير جزيناهم ذلك (بِبَغْيِهِمْ) بسبب ظلمهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال. وعفا عنكم فالآن باشروهن. (فَإِن كَذَّبُوكَ) فيما أوحيت إليك

من هذا (فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ) بها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ) عذابه مع سعة رحمته (عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ) إذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟) إخبار بما سوف يقولونه (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ) أن لا نشرك (مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ) ولكن شاءفهذا عذرنا يعنون أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك(كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)أى كتكذيبهم إياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذافلو بنفهمهم ذلك إذلم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولأنهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم معذورون به وهذا مردود لا الإقرار بالمشيئة أومعنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أى رضى الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضى الا ترى أنه قال فلو شاء لهداكم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرناه دفعا للتناقض (حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا) حتى أنزلنا عليهم العذاب (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ) فتظهروه (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) تكذبون (قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ) عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته (فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ) أى فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ) هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى فى هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع (ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا) أى مازعموه محرما (فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذاسلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذلو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله (وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ) هم المشركون (وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يسوون الأصنام (قُلْ) للذين حرموا الحرث والأنعام (تَعَالَوْا۟) هو من الخاص الذى صار عاما وأصله أن يقول من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ) الذى حرمه ربكم

(عَلَيْكُمْ) من صلة حرم (أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) أن مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً) وأحسنوا بالوالدين إحسانا ولما كان إيجاب الإحسان تحريما لترك الإحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم ما بعده من الأوامر (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق (نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) لأن رزق العبيد على مولاهم (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا) مابينك وبين الخلق (وَمَا بَطَنَ) مابينك وبين الله، ماظهر بدل من الفواحش (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُم بِهِ) أى المذكور مفصلا أمركم ربكم بحفظه (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لتعقلوا عظمها عند الله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) إلا بالخصلة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أشده مبلغ حلمه فادفعوه إليه وواحده شد كفلس وأفلس (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) بالسوية والعدل (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) فاصدقوا (وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) ولوكان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين (وَبِعَهْدِ اللهِ) يوم الميثاق أوفى الأمر والنهى والوعد والوعيد والنذر واليمين(أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ)أىمامر (وَصَّٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حيث كان حمزة وعلى وحفص على حذف إحدى التاءين. غيرهم بالتشديد أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية فى الذال أى أمركم به لتتعظوا (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى) ولأن هذا صراطى فهو علة الاتباع بتقدير اللام ، وأن بالتخفيف شامى وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وإن على الابتداء حمزة وعلى (مُسْتَقِيماً) حال (فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) فتفرقكم أيادى سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام روى أن رسول الله ﷺ خط خطا مستويا ثم قال «هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه» ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها» وتلا هذه

الآية ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وعن كعب: إن هذه الآيات لأول شيء فى التوراة (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لتكونوا على رجاء إصابة التقوى. ذكر أولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لأنهم إذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أى اتعظوا فاتقوا المحارم (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا) أى ثم أخبركم إنا آتينا أو هو عطف على قل أى ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تتمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كل ماأمر به (وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ) وبيانا مفصلا لكل مايحتاجون إليه فى دينهم (وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم) أى بنى اسرائيل (بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) يصدقون أى بالبعث والحساب وبالرؤية (وَهَٰذَا) أى القرآن (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ) كثير الخير (فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا) مخالفته (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) لترحموا (أَن تَقُولُوٓا) كراهة أن تقولوا أولئلا تقولوا (إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا) أى أهل التوراة وأهل الإنجيل وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب (وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ) عن تلاوة كتبهم (لَغَٰفِلِينَ) لا علم لنا بشيء من ذلك إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ﷺ كيلا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عمافيهما (أَوْ تَقُولُوا) كراهة أن تقولوا (لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب (فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم مافيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللهِ) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وَصَدَفَ عَنْهَا) أعرض (سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ) وهو النهاية فى النكاية (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) بإعراضهم (هَلْ يَنظُرُونَ) أى أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون

من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الضلالة بعدها (إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم يأتيهم حمزة وعلى (أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ) أى أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لأن الإتيان متشابه وإتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد إليه (أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) أى أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا) لأنه ليس بإيمان اختيارى بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ) صفة نفسا (أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا) أى إخلاصا كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضا أو توبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل (قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟) إحدى الآيات الثلاث (إِنَّا مُنتَظِرُونَ) بكم إحــــداها (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحــدة وهى الناجية ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وهى السواد الأعظم» وفى رواية «وهى ما أنا عليه وأصحابى» وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. فارقوا دينهم حمزة وعلى أى تركوا (وَكَانُوا۟ شِيَعًا) فرقا كل فرقة تشيع إماما لهــا (لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ) أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم (إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ) فيجازيهم على ذلك (مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) تقديره عشر حسنات أمثالها إلا أنه أقيم صفة الجنس المميزة مقام الموصوف (وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقص الثــواب وزيادة العقاب (قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ) ربى أبو عمرو ومدنى (إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا) نصب على البدل من محل إلى صراط مستقيم لأن معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما (قِيَمًا) قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم قيما كوفى وشامى وهو مصدر بمعنى القيام وصف به (مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) عطف بيان (حَنِيفًا) حال من إبراهيم (وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) بالله يامعشر قريش (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى) أى عبادتى، والناسك العابد أو ذبحى أو حجى (وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى) وما أتيته فى حياتى وأموت عليه من الإيمان والعمل

(لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ) خالصة لوجهه. محياى ومماتى بسكون الياء الأول وفتح الثانى مدنى وبعكسه غيره (لَا شَرِيكَ لَهُ) فى شىء من ذلك (وَبِذَٰلِكَ) الإخلاص (أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) لأن إسلام كل نبى متقدم على إسلام أمته (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أى منكر أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهم (وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) وكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أى لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من الأديان التى فرقتموها (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰئِفَ الْأَرْضِ) لأن محمدا ﷺ خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الأمم أو لأن بعضهم يخلف بعضا أو هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ) فى الشرف والرزق وغير ذلك (دَرَجَٰتٍ) مفعول ثان أو التقدير إلى درجات أوهى واقعة موقع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة (لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك بالمملوك (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ) لمن كفر (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن قام بشكرها، ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب عن النبى ﷺ «من قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة».

﴿ سورة الأعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفي ومدني ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓمٓصٓ) قال الزجاج المختار في تفسيره ماقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا الله أعلم وأفصل (كِتَٰبٌ) خبرمبتدأ محذوف أي هو كتاب (أُنزِلَ إِلَيْكَ) صفته والمراد بالكتاب السورة (فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ) شك فيه وسمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لاشك في أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأذى ولاينشط له فأمنه الله ونهاه من المبالاة بهم والنهي متوجه إلى الحرج وفيه من المبالغة مافيه والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد إنزاله حرج في صدرك واللام في (لِتُنذِرَ بِهِ) متعلق بأنزل أي أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار به لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) في محل النصب بإضمار فعلها أي لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أي هو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بأنه خبر مبتدأ محذوف أو الجر بالعطف على محل لتنذر أي للإنذار وللذكرى (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) أي القرآن والسنة (وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ) من دون الله (أَوْلِيَاءَ) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تذكرون شامي (وَكَم) مبتدأ (مِّن قَرْيَةٍ) تبيين والخبر (أَهْلَكْنَاهَا) أي أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة (فَجَاءَهَا) جاء أهلها (بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَاتًا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتاً حسناً (أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين وإنما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو لأنه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص

هذان الوقتان لأنهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيها أشد وأفظع. وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا أى ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ) دعاؤهم وتضرعهم (إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا) لما جاءهم أوائل العذاب (إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) أرسل مسند إلى إليهم أى فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم عما أجابوا به رسلهم (وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) عما أجيبوا به (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم) على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم (بِعِلْمٍ) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (وَالْوَزْنُ) أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يَوْمَئِذٍ) أى يوم يسأل الله الأمم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين (الْحَقُّ) أى العدل صفته ثم قيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان إظهاراً للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل والله أعلم بكيفيته (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما توزن به حسناتهم (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) هم الكفار فإنه لا إيمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخف موازينهم (فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى جحودها وترك الانقياد لها (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ) جعلنا لكم فيها مكانا وقراراً أومكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) جمع معيشة وهى مايعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لأنها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع أنه همز تشبيها بصحائف (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) مثل قليلا ماتذكرون (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) ممن سجد لآدم عليه السلام (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) ما رفع أى أى شىء

منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (إِذْ أَمَرْتُكَ) فيه دليل على أن الأمر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ) وهى جوهر نورانى (وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) وهو ظلمانى وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه إلى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والإفناء والتراب مئنة الأمانة والإنماء والطين يطفىء النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها إبليس حتى زل بفاسد من المقاييس . وقول نافى القياس أول من قاس ابليس قياس. على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس إبليس عنادللأمر المنصوص. وكان الجواب لما منعك أن يقول منعنى كذا وإنما قال أنا خير منه لأنه قد استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب ـ كأنه قال منعنى من السجود فضلى عليه ـ وزيادة عليه وهى إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله إذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا) من الجنة أو من السماء لأنه كان فيها وهى مكان المطيعين والمتواضعين والفاء فى فاهبط جواب لقوله أنا خير منه أى إن كنت تتكبر فاهبط (فَمَا يَكُونُ لَكَ) فما يصح لك (أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا) وتعصى (فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل إنسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار (قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أمهلنى إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) إلى النفخة الأولى وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الأحباب أى هذا برىء بمن يسيئنى فكيف بمن يحبنى وإنما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال علمه بحلم ذى الجلال (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) أضللتنى أى فبسبب إغوائك إياى والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب إغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أى فأقسم بإغوائك (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) لأعترضن لهم على طريق الإسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو

على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أى على الظهر وعن طاوس أنه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل قدرى فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهو يقول أنا أغوى نفسى (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) أشككهم فى الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أرغبهم فى الدنيا (وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ) من قبل الحسنات (وَعَن شَمَآئِلِهِمْ) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعنى ثم لآتينهم من الجهات الأربع التى يأتى منها العدو فى الأغلب وعن شقيق ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد من بين يدى فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا. ومن خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرأ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها وعن يمينى فيأتينى من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال فى الأولين من لابتداء الغاية وفى الأخيرين عن لأن عن تدل على الانحراف (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ) مؤمنين قاله ظنا فأصاب لقوله ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه أو سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا) من الجنة أو من السماء (مَذْءُومًا) معيبا من ذأمه إذا ذمه والذأم والذم العيب (مَّدْحُورًا) مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام فى (لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ) موطئة للقسم وجوابه (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) وهو ساد مسد جواب الشرط (مِنكُمْ) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أَجْمَعِينَ وَيَـٰٓـَٔادَمُ) وقلنا يا آدم بعد إخراج إبليس من الجنة (اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) اتخذها مسكنا (فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا) فتصيرا (مِنَ الظَّـٰلِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَـٰنُ) وسوس إذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذى يلقى إليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه (لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا) ليكشف لهما

ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستقبحا فى الطباع والعقول. فإن قلت مالواو المضمومة فى ووري لم تقلب همزة كما فى أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لأن الثانية مدة كألف وارى فكما لم يجب همزها فى واعد لم يجب فى ووري وهذا لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل مالا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة وهذامدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها فى موضع الثقل لافى غيره وقرأ عبدالله أورى بالقلب (وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ) إلا كراهة أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ ملكين لقوله وملك لا يبلى (أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين (وَقَاسَمَهُمَآ) وأقسم لهما (إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ) وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنها من اثنين (فَدَلَّـٰهُمَا) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بِغُرُورٍ) بما غرهما به من القسم بالله وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ) وجدا طعمها آخذين فى الأكل منها وهى السنبلة أو الكرم (بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا) ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الأظفار أى كالظفر بياضا فى غاية اللطف واللين فبقى عند الأظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم (وَطَفِقَا) وجعلا يقال طفق يفعل كذا أى جعل (يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ) يجعلان على عورتهما من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها كما تخصف النعل (وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ [illegible] ـنا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ وروى أنه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك [illegible]ن شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ماظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكد يمين وعرق جبين فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وطحن وعجن وخبز (وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ) فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة (قَالَ ٱهْبِطُوا)

الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لأن إبليس هبط من قبل ويحتمل أنه هبط إلى السماء ثم هبطوا جميعا إلى الأرض (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) استقرار أو موضع استقرار (وَمَتَاعٌ) وانتفاع بعيش (إِلَىٰ حِينٍ) إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فإنما أصابنى ما أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ) فى الأرض (وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) للثواب والعقاب تَخرجون حمزة وعلى (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) جعل ما فى الأرض منزلا من السماء لأن أصله من الماء وهو منها (يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ) يستر عوراتكم (وَرِيشًا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوءاتكم ولباسا يزينكم (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) ولباس الورع الذى يقى العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهى (ذَٰلِكَ خَيْرٌ) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر أو ذلك صفة للمبتدأ وخير خبر المبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير أو لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أى وهو لباس التقوى أى ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن ولباسَ التقوى مدنى وشامى وعلى عطفا على لباسا أى وأنزلنا عليكم لباس التقوى (ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى إنزال اللباس (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى من الفضيحة وإشعارا بأن التستر من التقوى (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها (يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا فى أن نزع عنهما والنهى فى الظاهر للشيطان وفى المعنى لبنى آدم

أى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم (لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا) عوراتهما (إِنَّهُ) الضمير للشأن والحديث (يَرَاكُمْ هُوَ) تعليل للنهى وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم من حيث لا تشعرون (وَقَبِيلُهُ) وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير فى يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لأن معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) قال ذو النون إن كان هو يراك من حيث لاتراه فاستعن بمن يراه من حيث لايراه وهوالله الكريم الستار الرحيم الغفار(إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) فيه دلالة خلق الأفعال (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) مايبالغ فى قبحه من الذنوب وهوطوافهم بالبيت عراة وشركهم (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) أى إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لأن أحدهما تقليد للجهال والثانى افتراء على ذى الجلال (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) إذ المأمور به لابد أن يكون حسنا وإن كان فيه على مراتب على ماعرف فى أصول الفقه (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) استفهام إنكار وتوبيخ (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) وقل أقيموا وجوهكم أى اقصدوا عبادته مستقبلين إليها غير عادلين إلى غيرها فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود (وَادْعُوهُ) واعبدوه(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)أى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا(كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليه فى إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فَرِيقًا هَدَى) وهم المسلمون (وَفَرِيقًا) أى أضل فريقا (حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) وهم الكافرون (إِنَّهُمُ) إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى أنصارا (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال فى الهداية والإضلال (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ) لباس زينتكم (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب ، والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لأن الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر (وَكُلُوا) من اللحم والدسم (وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) بالشروع فى الحرام أو فى مجاوزة الشبع (إِنَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصرانى حاذق فقال لعلىّ بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له علىّ قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولم يرو عن رسولكم شىء فى الطب فقال قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماعودته» فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم إنكارا على محرم الحلال بقوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ) من الثياب وكل مايتجمل به (الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) أى أصلها يعنى القطن من الأرض والقز من الدود (وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ الرِّزْقِ) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهى مبتدأ خبره للذين آمنوا وفى الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أى هى خالصة، وغيره نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هى ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ) نميز الحلال من الحرام (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أنه لا شريك له (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ) ربى حمزة الفواحش ماتفاحش قبحه أى تزايد (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) سرها وعلانيتها (وَالْإِثْمَ) أى شرب الخمر أو كل ذنب (وَالْبَغْيَ) والظلم والكبر (بِغَيْرِ الْحَقِّ) متعلق بالبغى ومحل (وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكى وبصرى وفيه تهكم إذلا يجوز أن ينزل برهانا على أن يشرك به غيره (وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل

فأجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل فى الإمهال (يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ) هى إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى) يقرءون عليكم كتبى وهو فى موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط (فَمَنِ اتَّقَىٰ) الشرك (وَأَصْلَحَ) العمل منكم (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أصلا فلا خوف يعقوب (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا) منكم (بِـَٔايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا) تعظموا عن الإيمان بها (أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ) فمن أشنع ظلما (مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أُولَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَـٰبِ) ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا) ملك الموت وأعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى إذا جاءتهم رسلنا (يَتَوَفَّوْنَهُمْ) يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أى متوفيهم وما فى (قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ) فى خط المصحف موصولة بأين وحقها أن تكتب مفصولة لأنها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ) ليذبوا عنكم (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) غابوا عنا فلا نراهم (وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر (قَالَ ادْخُلُوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا (فِىٓ أُمَمٍ) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم (قَدْ خَلَتْ) مضت (مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) من كفار الجن والإنس (فِى النَّارِ) متعلق بادخلوا (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) النار (لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) شكلها فى الدين أى التى ضلت بالاقتداء بها (حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا) أصله تداركوا أى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فأبدلت التاء دالا وسكنت للإدغام ثم أدخلت همزة الوصل (جَمِيعًا) حال (قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ) منزلة وهى الأتباع والسفلة (لِأُولَىٰهُمْ) منزلة وهى القادة والرءوس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم (رَبَّنَا) يا ربنا (هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا) مضاعفا (مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ) للقادة بالغواية والإغواء وللأتباع بالكفر والاقتداء (وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ)

مالـكل فريق منكم من العذاب. لايعلمون أبو بكر أى لايعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر (وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَـكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ) عطفوا هذا الـكلام على قـول الله تعالى للسفلة لـكل ضعف أى فقد ثبت أن لافضل لـكم علينا وأنا متساوون فى استحقاق الضعف (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولاوقف على فضل أو من قول الله لهم جميعاً والوقف على فضل (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَـٰتِنَا وَاسْتَـكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) أى لايؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة إذهى فى السماء أو لايصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لاتصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء ، وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معـه حمزة وعلى (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ) حتى يدخل البعير فى ثقب الإبرة أى لا يدخلون الجنة أبداً لأنه علقه بما لايكون والخياط والمخيط مايخاط به وهو الإبرة (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا (نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ) أى الـكافرين بدلالة التـكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ) فراش (وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) أغطية جمع غاشية (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّـٰلِمِينَ) أنفسهم بالـكفر (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُـكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها والتـكليف إلزام مافيه كلفة أى مشقة (أُولَـٰئِكَ) مبتدأ والخبر (أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ) والجملة خبر الذين، ولا نـكلف نفساً إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر (هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) حقد كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَـٰرُ) حال من هم فى صدورهم والعامل فيها معنى الإضافة (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا) لما هو وسيلة إلى هـذا الفوز العظيم وهو الإيمان (وَمَا كُنَّا) ما كنا بغير واو شامى على أنها جملة موضحة للأولى (لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ) اللام لتوكيد النفى أى وما كان يصح أن نـكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) فـكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا وإظهارا لما اعتقدوا (وَنُودُوا أَن تِلْـكُمُ الْجَنَّةُ) أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها

خبرها تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل لهم تلكم الجنة (أُورِثْتُمُوهَا) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) سماها ميراثا لأنها لاتستحق بالعمل بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شىء بل هو صلة خالصة. وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله إن المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحاً عليه السلام وأهل الجنة والنار وإبليس لأنه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام: ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم. وقال أهل الجنة: وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. وقال أهل النار: لو هدانا الله لهديناكم. وقال إبليس: فبما أغويتنى (وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا) من الثواب (حَقًّا) حال (فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ) من العذاب (حَقًّا) وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وإنما قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قَالُوا نَعَمْ) وبكسر العين حيث كان على (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ) أنّ لعنةَ مكى وشامى وحمزة وعلى (الَّذِينَ يَصُدُّونَ) يمنعون (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وَهُم بِالْآخِرَةِ) بالدار الآخرة (كَٰفِرُونَ وَبَيْنَهُمَا) وبين الجنه والنار أو بين الفريقين (حِجَابٌ) وهو السور المذكور فى قوله: فضرب بينهم بسور (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهى أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رِجَالٌ) من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولا فى الجنة لاستواء حسناتهم وسيآتهم أو من لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين (يَعْرِفُونَ كُلًّا) من زمرة السعداء والأشقياء (بِسِيمَٰهُمْ) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (وَنَادَوْا) أى أصحاب الأعراف (أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ) أنه سلام أو أى سلام وهو تهنئة منهم لأهل الجنة (لَمْ يَدْخُلُوهَا) أى أصحاب الأعراف ولا محل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها

(وَهُمْ يَطْمَعُونَ) فى دخولها أوله محل وهو صفة لرجال (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ) أبصار أصحاب الأعراف وفيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا (تِلْقَاءَ) ظرف أى ناحية (أَصْحَابِ النَّارِ) ورأوا ماهم فيه من العذاب (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فاستعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم (وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا) من رءوس الكفرة (يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ) المال أو كثرتكم واجتماعكم وما نافية (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أَهَٰؤُلَاءِ) مبتدأ (الَّذِينَ) خبر مبتدأ مضمر تقديره أهؤلاء هم الذين (أَقْسَمْتُمْ) حلفتم فى الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) جواب أقسمتم وهو داخل فى صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لأصحاب الأعراف (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ) وذلك بعد أن نظروا إلى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ماقالوا (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) أن مفسرة وفيه دليل على أن الجنة فوق النار (أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) من غيره من الأشربة لدخوله فى حكم الإفاضة أو أريد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبناً وماءً بارداً * أى وسقيتها وإنما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة لأن المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) هو تحريم منع كما فى وحرمنا عليه المراضع وتقف هنا إن رفعت أو نصبت مابعده ذما وإن جررته وصفاً للكافرين فلا (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) فحرموا وأحلوا ماشاءوا أو دينهم عيدهم (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) اغتروا بطول البقاء (فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ) نتركهم فى العذاب (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) أى كنسيانهم وجحودهم (وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (عَلَىٰ عِلْمٍ) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هُدًى وَرَحْمَةً) حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا تَأْوِيلَهُ) إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة مانطق به من الوعد

والوعيد(يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ) تركوه وأعرضوا عنه(قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) أى تبين وصح أنهم جاءوا بالحق فأقروا حين لاينفعهم (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ) جواب الاستفهام (أَوْ نُرَدُّ) جملة معطوفة على الجملة قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه قيل فهل لنا من شفعاء أوهل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيد أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أوهل نرد (فَنَعْمَلَ) جواب الاستفهام أيضا(غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوآ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) ماكانوا يعبدونه من الأصنام (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) أراد السموات والأرض ومابينهما وقد فصلها فى حم السجدة أى من الأحد إلى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا وللإعلام بالتأنى فى الأمور ولأن لكل عمل يوما ولأن إنشاء شىء بعد شىء أدل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته (ثُمَّ اسْتَوَىٰ) استولى (عَلَى الْعَرْشِ) أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لأن العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لأن التغير من صفات الأكوان والمنقول عن الصادق والحسن وأبى حنيفة ومالك رضى الله عنهم أن الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والإيمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة (يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ) يغشّى حمزة وعلى وأبو بكر أى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل (يَطْلُبُهُ حَثِيثاً) حال من الليل أى سريعا والطالب هوالليل كأنه لسرعة مضيه يطلب النهار (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) أى وخلق الشمس والقمر والنجوم (مُسَخَّرَاتٍ) حال أى مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بِأَمْرِهِ) هو أمر تكوين ولماذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) أى هو الذى خلق الأشياء وله الأمر (تَبَارَكَ اللهُ) كثر خيره أو دام بره من البركة النماء أو من البروك الثبات ومنه البركة (رَبُّ الْعَلَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل أى تذللا وتملقا. قال عليه السلام «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا إنه معكم

أينما كنتم» عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا (إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) المجاوزين ما أمروا به فى كل شىء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب فى الدعاء وعن النبى ﷺ «سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين (وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) أى بالمعصية بعد الطاعة أوبالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل (وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً) حالان أى خائفين من الرد طامعين فى الإجابة أومن النيران وفى الجنان أو من الفراق وفى التلاق أو من غيب العاقبة وفى ظاهر الهداية أو من العدل وفى الفضل (إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أوالترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أى شىء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى أو للإضافة إلى المذكر (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) الريح مكى وحمزة وعلى (بُشْرًا) نشرا حمزة وعلى مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا وإما على الحال أى منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لأن الرياح تبشر بالمطر نشرا شامى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور أى ناشرة للمطر (بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) أمام نعمته وهو الغيث الذى هو من أجلّ النعم (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ) حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا (سَحَابًا ثِقَالاً) بالماء جمع سحابة (سُقْنَـٰهُ) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لوحمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ) ـميت ـ لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميّت مدنى وحمزة وعلى وحفص (فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الإخراج وهوإخراج الثمرات (نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فيؤديكم التذكر إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين لأن كل واحد منهما إعادة الشىء بعد إنشائه (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ) الأرض الطيبة التراب (يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ) بتيسيره وهو موضع الحال كأنه قيل يخرج نباتة حسنا وافيا لأنه واقع فى مقابلة نكدا (وَالَّذِى خَبُثَ) صفة للبلد أى والبلد الخبيث (لاَ

يُخْرُجُ) أى نباته فحذف للاكتفاء (إِلَّا نَكِدًا) هو الذى لاخير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على أثرذكر مثل المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التصريف (نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) نرددها ونكررها (لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لَقَدْ أَرْسَلْنَا) جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا (نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم إدريس عليه السلام (فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قَالَ الْمَلَأُ) أى الأشراف والسادة (مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب، والرؤية رؤية القلب (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) ولم يقل ضلال كما قالوا لأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بى شيء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفى الضلالة فقال (وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) لأن كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان فى الغاية القصوى من الهدى (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي) ما أوحى إلى فى الأوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الأوامر والنواهى والمواعظ والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وَأَنصَحُ لَكُمْ) وأقصد صلاحكم بإخلاص يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أوالنهاية فى صدق العناية (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لايرد عن القوم المجرمين (أَوَعَجِبْتُمْ) الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أَن جَاءَكُمْ) من أن جاءكم (ذِكْرٌ) موعظة (مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء

ربنا لأنزل ملائكة (لِيُنذِرَكُمْ) ليحذركم عاقبة الكفر (وَلِتَتَّقُوا) ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الإنذار (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم (فَكَذَّبُوهُ) فنسبوه إلى الكذب (فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة: بنوه سام وحام ويافث، وستة ممن آمن به (فِى ٱلْفُلْكِ) يتعلق بمعه كأنه قيل والذين صحبوه فى الفلك (وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) عن الحق يقال أعمى فى البصر وعمٍ فى البصيرة (وَإِلَىٰ عَادٍ) وأرسلنا إلى عاد وهو عطف على نوحا (أَخَاهُمْ) واحدا منهم من قولك ياأخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هُودًا) عطف بيان لأخاهم وهو هود بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح (قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ) وإنما لم يقل فقال كما فى قصة نوح عليه السلام لأنه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦٓ) وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح لأن فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن (إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعنى أنه متمكن فيها غير منفك عنها (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ) فى ادعائك الرسالة (قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ) فيما أدعوكم إليه (أَمِينٌ) على ما أقول لكم وإنما قال هنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وإنا لنظنك من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفى إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) أى خلفتموهم

فى الأرض أوفى مساكنهم وإذ مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى (فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ ٱللَّهِ) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواها من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ومعنى المجىء فى (قَالُوا أَجِئْتَنَا) أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله ﷺ بحراء قبل البعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم (لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشئوا عليه (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من العذاب (إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) أن العذاب نازل بنا (قَالَ قَدْ وَقَعَ) أى قد نزل (عَلَيْكُم) جعل المتوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان (مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ) عذاب (وَغَضَبٌ) سخط (أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ) فى أشياء ما هى إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهى خالية عن معنى الألوهية (أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ) حجة (فَٱنتَظِرُوٓا) نزول العذاب (إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ) ذلك (فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ) أى من آمن به (بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا) الدابر الأصل أو الكائن خلف الشىء وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) فائدة نفى الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خص المكذبين وقصتهم أن عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام فأوفدوا إليه قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل: اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السوداء على ظن أنها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا

وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (وَإِلَىٰ ثَمُودَ) وأرسلنا إلى ثمود وقرىء وإلى ثمودٍ بتأويل الحى أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر ومنع الصرف بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ) وهذه إضافة تخصيص وتعظيم لأنها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم (لَكُمْ ءَايَةً) حال من الناقة والعامل معنى الإشارة فى هذه كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هى له آية وهى ثمود لأنهم عاينوها (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِ) أى الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها إكراما لآية الله (فَيَأْخُذَكُمْ) جواب النهى (عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ) ونزلكم، والمباءة المنزل (فِى الْأَرْضِ) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا) غرفا للصيف (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) للشتاء، وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قميصا إذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة (فَاذْكُرُوٓا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) روى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها فى الأرض وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا فى سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاءوا فآمن به جندع ورهط من قومه (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ) وقال شامى (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ) بدل من الذين استضعفوا

بإعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان فى تقدير إعادة العامل والضمير فى منهم راجع إلى قومه وهو يدل على أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين أو إلى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ) قالوه على سبيل السخرية (قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ) وإنما صار هذا جوابا لهم لأنهم سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به لاشبهة فيه وإنما الكلام فى وجوب الإيمان به فنخبركم أنابه مؤمنون (قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ) أسند العقر إلى جميعهم وإن كان العاقر قدار بن سالف لأنه كان برضاهم وكان قدار أحمر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام «ياعلى أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك» (وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله أوشأن ربهم وهو دينه (وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من العذاب (إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ) الصيحة التى زلزلت لها الأرض واضطربوا لها (فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ) فى بلادهم أو مساكنهم (جَٰثِمِينَ) ميتين قعودا يقال الناس جثم أى قعود لاحراك بهم ولا يتكلمون (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) لما عقروا الناقة (وَقَالَ يَٰقَوْمِ) عند فراقه إياهم (لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ) الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة، ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفر وجوهكم أول يوم وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث ويصيبكم العذاب فى الرابع وكان كذلك روى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فلما علم أنهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ) أى واذكر لوطا وإذ بدل منه (أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (مَا سَبَقَكُم بِهَا) ماعملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام «سبقك بها عكاشة» (مِنْ أَحَدٍ) من زائدة لتأكيد النفى وإفادة معنى الاستغراق (مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) من للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم

عليها فقال أنتم أول من عملها وقوله تعالى (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) ءأنكم لتأتون الرجال ـ بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للإنكار. إنكم على الإخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة إذا غشيها (شَهْوَةً) مفعول له أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية (مِّن دُونِ النِّسَآءِ) أى لا من النساء (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ) أى لوطا ومن آمن معه يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من إنكار الفاحشة ووصفهم بصفة الإسراف الذى هو أصل الشر ولكنهم جاءوا بشىء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به (فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ) من الباقين فى العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ) وأرسلنا إلى مدين وهو اسم قبيلة (أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى معجزة وإن لم تذكر فى القرآن (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ) أتموها والمراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان أو يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ) ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شىء فى مبايعتهم وبخس يتعدى إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه أى نقصته إياه (وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا) بعد الإصلاح فيها أى

لاتفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء وإضافته كإضافة بل مكر الليل والنهار أى بل مكركم فى الليل والنهار (ذَٰلِكُمْ) إشارة إلى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد فى الأرض (خَيْرٌ لَّكُمْ) فى الإنسانية وحسن الأحدوثة (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) مصدقين لى فى قولى (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ) بكل طريق(تُوعِدُونَ) من آمن بشعيب بالعذاب (وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) عن العبادة (مَنْ ءَامَنَ بِهِ) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وَتَبْغُونَهَا) وتطلبون لسبيل الله (عِوَجًا) أى تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وماعطف عليه النصب على الحال أى لاتقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا) إذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فَكَثَّرَكُمْ) الله ووفر عددكم وقيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا) فانتظروا (حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) أى بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على مايسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) لأن حكمه حق وعدل لايخاف فيه الجور (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) أى ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم فى الكفر (قَالَ) شعيب (أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أى والله لقد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم (بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا) خلصنا الله فإن قلت كيف قال شعيب إن عدنا فى ملتكم والكفر على الأنبياء

عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب (وَمَا يَكُونُ لَنَآ) وما ينبغي لنا وما يصح (أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا) إلا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها إذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) تمييز أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) أي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء بالحق بفتح الأمر المغلق فلذا سمي فتحا ويسمى أهل عمان القاضي فتاحا (وَأَنتَ خَيْرُ الْفَٰتِحِينَ) كقوله وهو خير الحاكمين (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط إنكم إذاً لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ) ميتين (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا) مبتدأ خبره (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) لم يقيموا فيها. غنى بالمكان أقام (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا) مبتدأ خبره (كَانُوا هُمُ الْخَٰسِرِينَ) لامن قالوا لهم إنكم إذاً لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) بعد أن نزل بهم العذاب (وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ) أحزن (عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم مانزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم في الإبلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أي فكذبوه (إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ) بالبؤس والفقر (وَالضَّرَّآءِ) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان النفس والمال

﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة: الرخاء والسعة والصحة (حَتَّى عَفَوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات إذا كثر ومنه قوله عليه السلام «واعفوا اللحى» (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) أى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بنزول العذاب واللام فى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ) إشارة إلى أهل القرى التى دل عليها وما أرسلنا فى قرية من نبى كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (ءَامَنُوا) بدل كفرهم (وَاتَّقَوْا) الشرك مكان ارتكابه (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم) لفتّحنا شامى (بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه (وَلَٰكِن كَذَّبُوا) الأنبياء (فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ) يريد الكفار منهم (أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَٰتًا) ليلا أى وقت بيات، يقال بات بياتا (وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى) نهارا والضحى فى الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت والفاء والواو فى أفأمن وأو أمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الإنكار والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى أوْ أمن شامى وحجازى على العطف بأو والمعنى إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلا أو ضحى فإن قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافى الاستفهام قلت التنافى فى المفرد لا فى عطف جملة على جملة لأنه على استئناف جملة بعد جملة (وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يشتغلون بما لا يجدى عليهم (أَفَأَمِنُوا) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى (مَكْرَ اللَّهِ) أخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلى قدس الله روحه العزيز: مكره بهم تركه إياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال

يابنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) إلا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار (أَوَلَمْ يَهْدِ) يبين (لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ) أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهد وأن مخففة من الثقيلة أى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (وَنَطْبَعُ) مستأنف أى ونحن نختم (عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) الوعظ (تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا) كقوله هذا بعلى شيخا فى أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح إلى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عند مجىء الرسل بالبينات (بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجىء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفى (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الطبع الشديد (يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ) الضمير للناس على الإطلاق يعنى أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الإيمان والآية اعتراض أو للأمم المذكورين فإنهم كانوا إذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وَإِن) وإن الشأن والحديث (وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) لخارجين من الطاعة ، والوجود بمعنى العلم بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلا فى المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم (مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) بالمعجزات الواضحات (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان (فَانظُرْ كَيْفَ

كانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ) حيث صاروا مغرقين (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة وكأنه قال ياملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان (إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) إليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ) أى أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به. حقيق علىّ نافع أى واجب علىّ ترك القول على الله إلا الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الأول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أبى أى إنى رسول خليق بأن لا أقول أو يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى إنى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق (قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) بما يبين رسالتى (فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) فخلهم يذهبوا معى راجعين إلى الأرض المقدسة التى هى وطنهم. وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الأسباط واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام معى حفص (قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ) من عند من أرسلك (فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) فأتنى بها لتصحح دعواك ويثبت صدقك فيها (فَأَلْقَىٰ) موسى عليه السلام (عَصَاهُ) من يده (فَإِذَا هِىَ) إذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثُعْبَانٌ) حية عظيمة (مُّبِينٌ) ظاهر أمره روى أنه كان ذكرا فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون ياموسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصا (وَنَزَعَ يَدَهُ) من جيبه (فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ) أى فإذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر إليه روى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها فى جيبه ونزعها فإذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة (قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ)

عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل إلى الناس المصاحية والآدم أبيض. وهذا الكلام قد عزى إلى فرعون فى سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وهنا عزى إليهم فيحتمل أنه قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثمة وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ) يعنى مصر (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) تشيرون من آمرته فأمرنى بكذا إذا شاورنه فأشار عليك برأى وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم (قَالُوٓا أَرْجِهْ) بسكون الهاء عاصم وحمزة أى أخر واحبس أى أخر أمره ولا تعجل أو كأنه هم بقتله فقالوا أخر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق (وَأَخَاهُ) هرون (وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ) سحار حمزة وعلى أى يأتوك بكل ساحر عليم مثله فى المهارة أو بخير منه (وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ) يريد فأرسل إليهم فحضروا (قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازى وحفص ولم يقل فقالوا لأنه على تقدير سؤال سائل ماقالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجراً الجملاعلى الغلبة والتنكير للتعظيم كأنهم قالوا لابدلنا من أجرعظيم (إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَٰلِبِينَ قَالَ نَعَمْ) إن لكم لأجراً (وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) عندى فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا أوسبعين ألفاً أو بضعة وثلاثين ألفاً (قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ) عصاك (وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) لما معنا وفيه دلالة على أن رغبتهم فى فى أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قَالَ) لهم موسى عليه السلام (أَلْقُوا) تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المتناظرون قبل أن يتحاوروا الجدال وقد سوغ لهم موسى مارغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ النَّاسِ) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه روى أنهم ألقوا حبالا غلاظاً وخشبا طوالا فإذا هى أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) فى باب السحر أو فى عين من رآه (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ) ـ تلقف ـ تبتلع تلقف حفص (مَا يَأْفِكُونَ) ماموصولة أو مصدرية يعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روى أنها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت

عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ) فحصل وثبت (وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من السحر (فَغُلِبُوا هُنَالِكَ) أى فرعون وجنوده والسحرة (وَانقَلَبُوا صَٰغِرِينَ) وصاروا أذلاء مبهوتين (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفاراً سحرة وفى آخره شهداء بررة (قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) هو بدل مما قبله (قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفى غير حفص فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد (قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ) قبل إذنى لكم (إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا) إن صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض لكم وهو أن تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى اسرائيل (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ) من كل شق طرفا (ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ) فلا نبالى بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته أو إنا جميعاً يمنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا (وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا) وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا إلا ماهو أصل المناقب والمفاخر وهو الإيمان ومنه قوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) أى اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) ثابتين على الإسلام(وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفر (وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ)عطف على ليفسدوا. قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الأعلى (قَالَ) فرعون مجيبا للملإ (سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ) سنقتل حجازى أى سنميه

عليهم قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذى تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم (إِنَّ الْأَرْضَ) اللام للعهد أى أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوليا (لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيه تمنيته إياهم أرض مصر (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأخليت هذه الجملة عن الواو لأنها جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال الملأ لأنها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون (قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبىء وإعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر (قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ) تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) سنى القحط وهن سبع سنين والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم (وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) قيل السنون لأهل البوادى ونقص الثمرات للأمصار (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر ولأن الناس فى حال الشدة أضرع خدوداً وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ) الصحة والخصب (قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ) أى هذه التى نستحقها (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جدب ومرض (يَطَّيَّرُوا) أصله يتطيروا فأدغمت التاء فى الطاء لأنها من طرف اللسان وأصول الثنايا (بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا وإنما دخل إذا فى الحسنة

وعرفت الحسنة وأن فى السيئة ونكرت السيئة لأن جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته وأما السيئة فلا تقع إلا فى الندرة ولا يقع إلا شىء منها (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ) سبب خيرهم وشرهم (عِندَ ٱللَّهِ) فى حكمه ومشيئته والله هو الذى يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة فل كل من عند الله (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) أصل مهما ما ما فا الأولى للجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى ما تخرج أخرج أينما تكونوا فإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى وهو فى موضع النصب بتأتنا أى أيما شىء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لهما والضمير فى به وبها راجع إلى مهما إلا أن الأول ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لأنها فى معنى الآية وإنما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ) ماطاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لايرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل دخل الماء فى بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل من الماء قطرة أو هو الجدرى أو الطاعون (وَٱلْجَرَادَ) فأكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل منها شىء (وَٱلْقُمَّلَ) وهى الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها أو البراغيث أو كبار القردان (وَٱلضَّفَادِعَ) وكانت تقع فى طعامهم وشرابهم حتى إذا تكلم الرجل تقع فى فيه (وَٱلدَّمَ) أى الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى إن القبطى والإسرائيلى إذا اجتمعا على إناء فيكون مايلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما وقيل سال عليهم النيل دما (ءَايَٰتٍ) حال من الأشياء المذكورة (مُّفَصَّلَٰتٍ) مبينات ظاهرات لايشكل على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فَٱسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بموسى (وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ) العذاب الأخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحداً بعد واحد (قَالُوا يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ) ما مصدرية أى بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنا متوسلا إليه بعهده عندك (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ

لكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ) إلى حد من الزمان (هُم بَٰلِغُوهُ) لا محالة فمعذبون فيه لاينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله (إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث ولم يؤخروه (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) هو ضد الإنعام كما أن العقاب هو ضد الثواب (فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ) هو البحر الذى لايدرك قعره أو هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المنتفعين به يقصدونه (بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ) أى كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ) هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا) يعنى أرض مصر والشام (الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا) بالخصب وسعة الأرزاق وكثرة الأنهار والأشجار (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ) هو قوله: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض. أو ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض إلى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أى مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه (بِمَا صَبَرُوا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (وَدَمَّرْنَا) أهلكنا (مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) من العمارات وبناء القصور (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله ﷺ مما رآه من بنى إسرائيل بالمدينة (وَجَٰوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَٰءِيلَ الْبَحْرَ) روى أنهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكراً لله (فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ) فمروا عليهم (يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلى (قَالُوا يَٰمُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا) صنما نعكف عليه (كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف

ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودى لعلى رضى الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال: قلتم اجعل لنا إلها ولم تجف أقدامكم (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ) يعنى عبدة تلك التماثيل (مُتَبَّرٌ) مهلك من التبار (مَّا هُمْ فِيهِ) أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى وفى إيقاع هؤلاء إسما لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لايعدوهم البتة (وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحل (قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا) أى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا (وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) حال أى على عالمى زمانكم (وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ) أنجاكم شامى (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها وهو استئناف لامحل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) يقتلون نافع (وَفِي ذَٰلِكُم) أى فى الإنجاء أوفى العذاب (بَلَاءٌ) نعمة أو محنة (مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) لإعطاء التوراة (وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهى شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فأوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة لذلك (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ) ماوقت له من الوقت وضربه له (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) نصب على الحال أى تم بالغا هذا العدد ولقد أجمل ذكر الأربعين فى البقرة وفصلها هنا (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ) هو عطف بيان لأخيه (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) كن خليفتى فيهم (وَأَصْلِحْ) مايجب أن يصلح من أمور بنى اسرائيل (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا) لوقتنا الذى وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص أى اختص مجيئه لميقاتنا (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) بلا واسطة ولا كيفية وروى أنه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ فى التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتا

تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لأحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع فى رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ) ثانى مفعولى أرنى محذوف أى أرنى ذاتك أنظر إليك يعنى مكنى من رؤيتك بأن تتجلى لى حتى أراك أرْنى مكى وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لأهل السنة على جواز الرؤية فإن موسى عليه السلام اعتقد أن الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز مالا يجوز على الله كفر (قَالَ لَن تَرَىٰنِي) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لأخبر بأنه ليس بمرئى إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان (وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) بقى على حاله (فَسَوْفَ تَرَىٰنِي) وهو دليل لنا أيضا لأنه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشىء بما هو ممكن يدل على إمكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على أنه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده لأنه مختار فى فعله ولأنه تعالى ما آيسه من ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحاً عليه السلام بقوله: إنى أعظك أن تكون من الجاهلين. حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) أى ظهر وبأن ظهوراً بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلى للجبل ما قاله الأشعرى إنه تعالى خلق فى الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص فى إثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكرى الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئى باطل إذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا إليك ثم يقول له لن يرونى ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى أنهم لما قالوا له اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله إنكم قوم تجهلون (جَعَلَهُ دَكًّا) مدكوكا مصدر بمصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك أخوان. دكاء حمزة وعلى أى مستوية بالأرض لا أكمة

فيها وناقة دكاء لاسنام لها (وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) حال أى سقط مغشيا عليه (فَلَمَّآ أَفَاقَ) من صعقته (قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ) من السؤال فى الدنيا (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) بعظمتك وجلالك وبأنك لاتعطى الرؤية فى الدنيا مع جوازها وقال الكعبى والأصم معنى قوله أرنى أنظر إليك أرنى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأنى أنظر إليك لن تراني لن تطيق معرفتى بهذه الصفة ولكن انظر إلى الجبل فإنى أظهر له آية فإن ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لأنه قال أرنى أنظر إليك ولم يقل إليها وقال لن تراني ولم يقل لن ترى آيتى وكيف يكون معناه لن ترى آيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) اخترتك على أهل زمانك (بِرِسَٰلَٰتِى) هى أسفار التوراة برسالتى حجازى (وَبِكَلَٰمِى) وبتكليمى إياك (فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ) أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام (وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى الْأَلْوَاحِ) الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (مِن كُلِّ شَىْءٍ) فى محل النصب على أنه مفعول كتبنا (مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو اسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فَخُذْهَا) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للألواح أو لكل شىء لأنه فى معنى الأشياء (بِقُوَّةٍ) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا) أى فيها ماهو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَٰسِقِينَ) دار فرعون وقومه وهى مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أوجهنم (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) يتطاولون

على الخلق ويأنفون من قبول الحق. وحقيقته التكلف للكبرياء التي اختصت بالبارى عزت قدرته (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) هو حال أى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده (وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ) من الآيات المنزلة عليهم (لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ) طريق صلاح الأمر وطريق الهدى. الرَّشد حمزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ) الضلال (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) ومحل (ذَٰلِكَ) الرفع أى ذلك الصرف (بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا) بسبب تكذيبهم (وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ) غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) هو من إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ) خبر والذين (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الإرسال (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ) من بعد ذهابه إلى الطور (مِنْ حُلِيِّهِمْ) وإنما نسبت إليهم مع أنها كانت عوارى فى أيديهم لأن الإضافة تكون لأدنى ملابسة وفيه دليل على أن من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها ثم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فأسند الفعل إليهم والحلى جمع حلى وهو اسم مايتحسن به من الذهب والفضة حِليهم حمزة وعلى للإتباع (عِجْلًا) مفعول اتخذ (جَسَدًا) بدل منه أى بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد (لَّهُ خُوَارٌ) هو صوت البقر والمفعول الثانى محذوف أى إلها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (أَلَمْ يَرَوْا) حين اتخذوه إلها (أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق إلى سبيل الحق بما ركز فى العقول من الأدلة وبما أنزل فى الكتب ثم ابتدأ فقال (اتَّخَذُوهُ) إلها فأقدموا على هذا الأمر المنكر (وَكَانُوا ظَـٰلِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله أن من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه وقع فيها وسقط مسند إلى فى أيديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط

الندم فى أيديهم أى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وإن استحال أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم (قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلى. وانتصاب ربنا على النداء (لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) المغبونين فى الدنيا والآخرة (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ) من الطور (إِلَىٰ قَوْمِهِ) بنى اسرائيل (غَضْبَانَ) حال من موسى (أَسِفًا) حال أيضا أى حزينا (قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي) قمتم مقامى وكنتم خلفائى (مِن بَعْدِي) والخطاب لعبدة العجل من السامرى وأشياعه أو لهارون ومن معهمن المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى والمعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ماخلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتمونى من بعد مارأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه أو من بعد ما كنت أحمل بنى إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف (أَعَجِلْتُمْ) أسبقتم بعبادة العجل (أَمْرَ رَبِّكُمْ) وهو إتيانى لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشىء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان فى نفسه شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بنى اسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شىء وفيما بقى هدى ورحمة (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من موسى (قَالَ ابْنَ أُمَّ) بنى الابن مع الأم على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلى وشامى لأن أصله أمى فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وإنما ذكر الأم لأنها كانت مؤمنة ولأن ذكرها أدعى إلى العطف (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) أى إنى لم آل جهدا فى كفهم بالوعظ والإنذار ولكنهم استضعفونى وهموا بقتلى (فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ) الذين عبدوا العجل أى لا

تفعل بى ماهو أمنيتهم من الاستهانة بى والإساءة إلى (وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ) أى قريناً لهم بغضبك على فلما اتضح له عذر أخيه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى) ليرضى أخاه وينفى الشماتة عنه بإشراكه معه فى الدعاء والمعنى اغفرلى ما فرط منى فى حق أخى ولأخى إن كان فرط فى حسن الخلافة (وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ) عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة (وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) هو ماأمروا به من قتل أنفسهم توبة (وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) خروجهم من ديارهم فالغربة تذل الأعناق أو ضرب الجزية عليهم (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا إلهكم وإله موسى (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔاتِ) من الكفر والمعاصى (ثُمَّ تَابُوا) رجعوا إلى الله (مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا) وأخلصوا الإيمان (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) أى السيئات أو التوبة (لَغَفُورٌ) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رَّحِيمٌ) منعم عليهم بالجنة وإن مع اسمها وخبرها خبر الذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جناياتهم أولا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن عظمت فعفوه أعظم ولما كان الغضب لشدته كأنه هوالآمر لموسى بما فعل قيل (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ) وقال الزجاج معناه سكن وقرىء به (أَخَذَ الْأَلْوَاحَ) التى ألقاها (وَفِى نُسْخَتِهَا) وفيما نسخ منها أى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل (سَبْعِينَ رَجُلاً) قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع (لِّمِيقَـٰتِنَا) لاعتذارهم عن عبادة العجل (فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ) بما كان منهم من عبادة العجل (وَإِيَّـٰىَ) لقتلى القبطى (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العجل (إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) ابتلاؤك وهو راجع إلى قوله إنا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هى تلك الفتنة التى أخبرتنى بها أوهى ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء، ونبلوكم بالشر والخير فتنة (تُضِلُّ بِهَا) بالفتنة (مَن تَشَآءُ) من علمت منهم اختيار الضلالة (وَتَهْدِى) بها (مَن تَشَآءُ) من علمته

منهم اختيار الهدى ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ مولانا القائم بأمورنا (فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا) وأثبت لنا واقسم (فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) عاقبة وحياة طيبة وتوفيقا فى الطاعة (وَفِي الْآخِرَةِ) الجنة (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب (قَالَ عَذَابِي) من صفته أنى (أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) أى لا أعفو عنه (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) أى من صفة رحمتى أنها واسعة تبلغ كل شيء مامن مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا (فَسَأَكْتُبُهَا) أى هذه الرحمة (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) المفروضة (وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا) بجميع كتبنا (يُؤْمِنُونَ) لا يكفرون بشيء منها (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ) الذى نوحى إليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النَّبِيَّ) صاحب المعجزات (الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ) أى يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ) بخلع الأنداد وإنصاف العباد(وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ) عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وماخلا كسبه من السحت (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أوماخبث فى الحكم كالرباوالرشوةونحوهما من المكاسب الخبيثة (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) هو الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة. آصارهم شامى على الجمع (وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) هى الأحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) بمحمد ﷺ (وَعَزَّرُوهُ) وعظموه أومنعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العزر المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ) أى القرآن ومع متعلق باتبعوا أى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) بعث كل رسول

إلى قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى كافة الإنس وكافة الجن (جَمِيعًا) حال من إليكم (الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ) فى محل النصب بإضمار أعنى وهو نصب على المدح (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) بدل من الصلة وهى له ملك السماوات والأرض وكذلك (يُحْيِى وَيُمِيتُ) وفى لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية إذ لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره (فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِ) أى الكتب المنزلة (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله إنى رسول الله إليكم لتجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ولما فى الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذى وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ) أى يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذى هم عليه (وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ) وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام وأضرابه (وَقَطَّعْنَٰهُمُ) وصيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام . نعم مميز ماعدا العشرة مفرد فكان ينبغى أن يقال اثنى عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أُمَمًا) بدل من اثنتى عشرة أى وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ) فضرب (فَانۢبَجَسَتْ) فانفجرت (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) هو اسم جمع غير تكسير (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ) وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ) وقلنا لهم (كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا) أى وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم (وَلَٰكِن كَانُوٓا

أنفسهم يظلمون) ولكن كانوايضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ)
واذكر إذ قيل لهم (اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا
حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ) تُغفر لكم مدنى وشامى خطيئاتكم
مدنى خطاياكم أبو عمرو خطيئتكم شامى (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها فى هذه السورة وبين قوله فىسورة البقرة
ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو
أخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم
سنزيد المحسنين موعدبشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لايخل بذلك لأنه استئناف مرتب
على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا
وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد (وَسْئَلْهُمْ) واسأل اليهود (عَنِ الْقَرْيَةِ) أيلة
أو مدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم (الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قريبة منه
(إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت
وقد نهوا عنه إذ يعدون فى محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل
واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال (إِذْ تَأْتِيهِمْ)منصوب
بيعدون أوبدل بعد بدل (حِيتَانُهُمْ) جمع حوت أبدلت الواوياء لسكونها وانكسار ماقبلها
(يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان، والسبت مصدر
سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى إذ يعدون فى تعظيم هذا
اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ) ويوم ظرف لاتأتيهم (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) مثل ذلك البلاء
الشديد نبلوهم بفسقهم (وَإِذْ قَالَتْ) معطوف على إذيعدون وحكمه كحكمه فى الإعراب (أُمَّةٌ
مِّنْهُمْ) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ماركبوا الصعب والذلول فى
موعظتهم لآخرين لايقلعون عن وعظهم (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ

عَذَابًا شَدِيدًا) وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ) معذرة ـ أى موعظتنا ابلاء[1] عذر إلى الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر إلى التفريط معذرة حفص على أنه مفعول له أى وعظناهم للمعذرة (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ولطمعنا فى أن يتقوا (فَلَمَّا نَسُوا) أى أهل القرية لما تركوا (مَا ذُكِّرُوا بِهِ) ماذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه (أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) من العذاب الشديد (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين، فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس. بئس شامى بيس مدنى بَيْئَس على وزن فيعل أبوبكر غير حماد (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا، والعذاب البئيس: هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) أى أعلم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) أى كتب على نفسه ليسلطن على اليهود (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ) من يوليهم (سُوءَ الْعَذَابِ) فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث محمد ﷺ فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ) للكفار (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) للمؤمنين (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ) وفرقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة (أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ) بالنعم والنقم والخصب والجدب (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ينتهون فينيبون (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ) من بعد المذكورين (خَلْفٌ) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله ﷺ والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (وَرِثُوا الْكِتَابَ) التوراة ووقفوا على ما فيها من

---

(١) فى القاموس أبلاه عذرا: أداه إليه فقبله .

الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ) هو حال من الضمير في ورثوا، والعرض: المتاع أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلم وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجر ورأى لنا (وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) وقرءوا ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ) من ذلك العرض الخسيس (لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الرشا والمحارم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ـ أفلا يعقلون ـ أنه كذلك وبالتاء مدني وحفص (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ) يمسكون أبو بكر والإمساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بشيء (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) خص الصلاة مع أن التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لأنها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) أي إنا لا نضيع أجرهم وجاز أن يكون مجروراً عطفا على الذين يتقون وإنا لا نضيع اعتراض (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ) واذكروا إذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) هي كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رءوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم) من الكتاب (بِقُوَّةٍ) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) من الأوامر والنواهي ولا تنسوه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ما أنتم عليه (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ) أي واذكر إذ أخذ (مِن ظُهُورِهِمْ) بدل من بني

آدم والتقدير وإذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذُرِّيَّتَهُمْ) ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك (أَن تَقُولُوا) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا (يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ) لم ننبه عليه (أَوْ تَقُولُوا) أو كراهة أن يقولوا (إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ) فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الإعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة لنا (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) لهم (وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن شركهم نفصلها إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألست بربكم فأجابوه ببلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه إياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق أن يعبدونى قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للأولين أنه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولأنا لا نتذكر ذلك فأنى يصير حجة. ذرياتهم مدنى وبصرى وشامى أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) على اليهود (نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله (فَانسَلَخَ مِنْهَا) فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ)

إلى منازل الأبرار من العلماء (بِهَا) بتلك الآيات (وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) مال إلى الدنيا ورغب فيها (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى إيثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْـكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ) أى تزجره وتطرده (يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ) غيرمطرود (يَلْهَثْ) والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الـكلب فى أخس أحواله وأذلها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا حرك أما الـكلب فيلهث فى الحالين فكان مقتضى الـكلام أن يقال ولـكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط. ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الـكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الـكلب وقيل معناه هوضال وعظ أوترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالـكلب ينبح إن طرد أو ترك (ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) من اليهود بعد أن قرءوا نعت رسول الله ﷺ فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) أى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته (سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أى مثل القوم لحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أى ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز (وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) معطوف على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أى وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها (مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى) حمل على اللفظ (وَمَن يُضْلِلْ) أى ومن يضلله (فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الـكافر والمؤمن إذ البيان ثابت فى حق الفريقين فدل أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للـكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) هم الـكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الـكفر فشاء منهم الـكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافى بين هذا وبين قوله

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده وأما من علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه فالحاصل أن من علم منه فى الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أى لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرارا عن إرادة المعاصى عدول عن الظاهر ‏(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا)‏ الحق ولا يتفكرون فيه ‏(وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا)‏ الرشد ‏(وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا)‏ الوعظ ‏(أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ)‏ فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر ‏(بَلْ هُمْ أَضَلُّ)‏ من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالأنعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمى روحانى شهوانى سماوى أرضى فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السماوات وإن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض ‏(أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)‏ الكاملون فى الغفلة ‏(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)‏ التى هى أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شىء والباقى بعد كل شىء والقادر على كل شىء والعالم بكل شىء والواحد الذى ليس كمثله شىء ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر ‏(فَادْعُوهُ بِهَا)‏ فسموه بتلك الأسماء ‏(وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)‏ واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا ياسخى يارفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد والحد مال ‏(سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا)‏ للجنة لأنه فى مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم ‏(أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)‏ فى أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين وفيه دلالة على أن إجماع كل عصر حجة ‏(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ)‏ سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ‏(مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)‏ ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهما كهم فى الغى فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون

فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثرة من الله تعالى وتقريب وإنما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أوالاستنزال درجة بعد درجة (وَأُمْلِي لَهُمْ) عطف على سنستدرجهم وهوغيرداخل فى حكم السين أى أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أخذى شديد، سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه فى الظاهر إحسان وفى الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبى ﷺ إلى الجنون نزل (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم) محمد عليه السلام ومانافية بمدوقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله مابصاحبهم (مِّن جِنَّةٍ) جنون (إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) منذر من الله موضح إنذاره (أَوَلَمْ يَنظُرُوا) نظر استدلال (فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) الملكوت الملك العظيم (وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لايحصرها العدد (وَأَنْ عَسَى) أن مخففة من الثقيلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت، والمعنى أولم ينظروا فى أن الشأن والحديث عسى (أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) بعد القرآن (يُؤْمِنُونَ) إذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لايبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعدوضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا (مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ) أى يضلله الله (وَيَذَرُهُمْ) بالياء عراق وبالجزم حمزة وعلى عطفا على محل فلاهادى له كأنه قيل من يضلل الله لايهده أحدويذرهم والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم. الباقون بالنون (فِي طُغْيَانِهِمْ) كفرهم (يَعْمَهُونَ) يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ) وهى من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا. وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أولسرعة حسابها أولأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أَيَّانَ) متى واشتقاقه من أى فعلان منه لأن معناه أى وقت (مُرْسَاهَا) إرساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الإدخال أو وقت إرسائها أى إثباتها والمعنى متى يرسيها الله (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي) أى علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما

أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ) لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يخافون شدائدها وأهوالها (لَا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً) فجأة على غفلة منكم (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ فى السؤال عنها لأن من بالغ فى المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه إحفاء الشارب أو عنها متعلق بيسئلونك أى يسئلونك عنها كأنك حفى أى عالم بها (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ) وكرر يسئلونك وإنما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كأنك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة، منهم محمد بن الحسن رحمه الله (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) أنه المختص بالعلم بها (قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ) هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء مالكى من النفع لى والدفع عنى (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوٓءُ) أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى فى الحروب وقيل الغيب الأجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت من الخصب للجدب .والسوء الفقر وقد رد (إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأنى أن أعلم الغيب واللام فى (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يتعلق بالنذير والبشير لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أى إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) هى نفس آدم عليه السلام (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ليطمئن ويميل لأن الجنس إلى الجنس أميل خصوصا إذا كان بعضا منه كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه. وذكر ليسكن بعدما أنث فى قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم (فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا) جامعها (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً) خف عليها

ولم تلق منه مايلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه (فَمَرَّتْ بِهِ) فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق أو حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت (فَلَمَّآ أَثْقَلَت) حان وقت ثقل حملها (دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكراً لأن الذكورة من الصلاح (لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ) لك والضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا) أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوى (جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك (فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا) أى آتى أولادهما دليله (فَتَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصى أى هو الذى خلقكم من نفس واحدة قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ماطلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبدالدار والضمير فى أيشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك. شركا مدنى وأبو بكر أى ذوى شرك وهم الشركاء (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا) يعنى الأصنام (وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أجريت الأصنام مجرى أولى العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة، والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شىء وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو الضمير فى وهم يخلقون للعابدين أى أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولى العلم تغليبا للعابدين (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ) لعبدتهم (نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) فيدفعون عنها مايعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وَإِن تَدْعُوهُمْ) وإن تدعوا هذه الأصنام (إِلَى الْهُدَىٰ) إلى ماهو هدى ورشاد أو إلى أن يهدوكم أى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) إلى مرادكم

وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. لا يتبعوكم نافع (سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ) عن دعائهم فى أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لرءوس الآى (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) أى مخلوقون مملوكون أمثالكم (فَٱدْعُوهُمْ) لجلب نفع أو دفع ضر (فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ) فليجيبوا (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى أنهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ) مشيكم (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ) يتناولون بها (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أى فلم تعبدون ماهو دونكم (قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثُمَّ كِيدُونِ) جميعا أنتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه أبو عمرو فى الوصل (فَلَا تُنظِرُونِ) فإنى لا أبالى بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (إِنَّ وَلِـِّۧىَ) ناصرى عليكم (ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ) أوحى إلىّ وأعزنى برسالته (وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم (وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ) من دون الله (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ) يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه (وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) المرئى (خُذِ ٱلْعَفْوَ) هو ضد الجهد أى ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام «يسروا ولا تعسروا» (وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ) بالمعروف والجميل من الأفعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ) ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم، وفسرها جبريل عليه السلام بقوله: صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك. وعن الصادق أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ) وإما ينخسنك منه نخس أى بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ) ولا تطعه والنزغ: النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه إن لى شيطانا يعترينى (إِنَّهُۥ سَمِيعٌ) لنزغه (عَلِيمٌ)

بدفعه (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ) طيف مكي وبصري وعلى أي لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبي عمرو هما واحد وهي الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته (تَذَكَّرُوا) ما أمر الله به ونهى عنه (فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) فأبصروا السداد ودفعوا وسوسته. وحقيقته أن يفروا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (وَإِخْوَٰنُهُمْ) وأما إخوان الشياطين من شياطين الإنس فإن الشياطين (يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ) أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم يمدونهم من الإمداد مدني (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وإنما جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد لأن المراد به الجنس (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ) مقترحة (قَالُوا لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا) هلا اخترتها أي اختلقتها كما اختلقت ماقبلها (قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى) ولست بمقترح لها (هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الأصح (وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ) هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) متضرعا وخائفا (وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ) ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر (بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات، والآصال جمع أصُل والأصل جمع أصيل وهو العشي (وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعني الملائكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ) لا يتعظمون عنها (وَيُسَبِّحُونَهُۥ) وينزهونه مما لا يليق به (وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم .

﴿ سورة الأنفال مدنية وهى خمس أو ست أو سبع وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه والأنفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم مايشاء ليس لأحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ماتقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر فى قسمتها مفوضا إلى رأى أحد (فَاتَّقُوا اللَّهَ) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين فى الله (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أحوال بينكم يعنى مابينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج: معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أى فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يامعشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) كاملى الإيمان (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) إنما الكاملو الإيمان (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) فزعت لذكره استعظاما له وهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ) أى القرآن (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم إيمانا بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لايخشون ولا يرجون إلا إياه (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا. وعن الحسن رحمه الله أن رجلا سأله أمؤمن أنت

قال إن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألنى عن قوله: إنما المؤمنون الآية فلا أدرى أنا منهم أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى فى إيمانك قال اتباعا لإبراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى، وعن ابراهيم التيمى قل أنا مؤمن حقاً فإن صدقت أثبت عليه وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك، وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحد فقال إيش اسمك فقال أحد فقال أتقول أنا أحد حقا أو أنا أحد إن شاء الله فقال أنا أحد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثنى وقد سماك الله فى القرآن مؤمنا تستثنى (لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال (عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ) وتجاوز لسيآتهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب. الكاف فى (كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ) فى محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون (مِن بَيْتِكَ) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه (بِالْحَقِّ) إخراجا متلبسا بالحكمة والصواب (وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبى عليه السلام فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو النفير فى المثل السائر: لا فى العير ولا فى النفير. فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فأبى وسار بمن معه إلى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً فاستشار النبى ﷺ أصحابه وقال العير «أحب إليكم أم النفير» قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو

فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم ردّد عليهم فقال «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبوجهل قد أقبل» فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فإنا معك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ﷺ وقال سعد بن معاذ امض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هـذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال «سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم» وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنهم غير متأهبين له (يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ) الحق الذى جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقى النفير لإيثارهم عليه تلقى العير (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلاقلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لايشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وإنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان (وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ) إذ منصوب باذكر وإحدى مفعول ثان (أَنَّهَا لَكُمْ) بدل من إحدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى (وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ) أى يثبته ويعليه (بِكَلِمَٰتِهِۦ) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة

من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور والله تعالى يريد معالى الأمور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (لِيُحِقَّ الْحَقَّ) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى مافعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لأن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) المشركون ذلك (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أى ربنا انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) فأجاب وأصل (أَنِّي مُمِدُّكُم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) ـ مردَفين ـ مدنى غيره بكسر الدال فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على أنه أردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه إذا تبعه وأردفته إياه إذا اتبعته (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الإمداد الذى دل عليه ممدكم (إِلَّا بُشْرَىٰ) إلا بشارة لكم بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) يعنى أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ) أى ولاتحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أووما النصر من الملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فلك واحد كاف فى إهلاك أهل الدنيا

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) بنصر أوليائه (حَكِيمٌ) بقهر أعدائه (إِذْ يُغَشِّيكُمْ) بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. يغْشيكم مدنى (النُّعَاسَ) النوم والفاعل هو الله على القراءتين. يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أَمَنَةً) مفعول له أى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لأمنكم أو مصدر أى فأمنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس (مِّنْهُ) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (وَيُنَزِّلُ) بالتخفيف مكي وبصرى وبالتشديد غيرهم (عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ) بالماء من الحدث والجنابة (وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لأنه من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة (وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ) بالصبر (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) أى بالماء إذ الأقدام كانت تسوخ فى الرمل أو بالربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم فى مواطن القتال (إِذْ يُوحِي) بدل ثالث من إذ يعدكم أو منصوب بيثبت (رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ) بالنصر (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) بالبشرى وكان الملك يسير أمام الصف فى صورة رجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) هو امتلاء القلب من الخوف والرعُب شامى وعلى (فَاضْرِبُوا) أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا (فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) أى أعالى الأعناق التى هى المذابح تطييرا للرءوس أو أراد الرءوس لأنها فوق الأعناق يعنى ضرب الهام (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) هى الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لأن هذا فى عدوة وخُصم أى جانب وذاك فى عدوة وخصم (وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات، ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ)

والواو في (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا) حال من الذين كفروا. والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيباً من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر (فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا) مائلا (لِّقِتَالٍ) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أَوْ مُتَحَيِّزًا) منضما (إِلَىٰ فِئَةٍ) إلى جماعة من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم (فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز. ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخراً قتلت وأسرت قيل لهم (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. ولما قال جبريل للنبي ﷺ: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال «شاهت الوجوه» فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا قيل (وَمَا رَمَيْتَ) يا محمد (إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ) يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف إليه كسبا وإلى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله إذ رميت ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله ولكن الله رمى، ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامي وحمزة وعلي (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ) وليعطيهم (مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا) عطاء جميلا والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لدعائهم (عَلِيمٌ) بأحوالهم (ذَٰلِكُمْ) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الأمر ذلكم (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) معطوف على ذلكم أي المراد إبلاء المؤمنين وتوهين

كيد الكافرين. مُوَهِّن كيد شامى وكوفى غير حفص موهن كيد حفص، موهنٌ غيرهم (إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ) إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على الحق فانصرنا وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وإن تنتهوا للكافرين أى (وَإِن تَنتَهُوا) عن عداوة رسول الله ﷺ (فَهُوَ) أى الانتهاء (خَيْرٌ لَّكُمْ) وأسلم (وَإِن تَعُودُوا) لمحاربته (نَعُدْ) لنصرته عليكم (وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ) جمعكم (شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) عدداً (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) بالفتح مدنى وشامى وحفص أى ولأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبدالله والله مع المؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ) عن رسول الله ﷺ لأن المعنى أطيعوا رسول الله كقوله: والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع فى فلان أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الأمر وأمثاله وأصله ولا تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفا (وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ) أى وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول ﷺ ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أى تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا) أى ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب (وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) أى إن شر من يدب على وجه الأرض البهائم وإن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ) فى هؤلاء الصم البكم (خَيْرًا)صدقاً ورغبة (لَّأَسْمَعَهُمْ) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وَّهُم مُّعْرِضُونَ) عن الإيمان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ) وحد الضمير أيضا كما وحده

حيا قبله لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض (لِمَا يُحْيِيكُمْ) من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر :

لاتعجبن الجهول حلته   فذاك ميت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من إخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) عذابا (لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً) هوجواب للأمر أى إن أصابتكم لاتصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الأمر لأن فيه معنى النهى كما إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لاتطرحنك ومن فى منكم للتبعيض (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) إذا عاقب (وَاذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ) إذ مفعول به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة (مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ) أرض مكة قبل الهجرة : أتستضعفكم قريش (تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) لأن الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فَـَٔاوَىٰكُمْ) إلى المدينة (وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ) بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ) من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ) بأن تعطلوا فرائضه (وَالرَّسُولَ) بأن لا تستنوا به (وَتَخُونُوٓا) جزم عطف على لاتخونوا أى ولا تخونوا (أَمَـٰنَـٰتِكُمْ) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) تبعة ذلك ووباله أو وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعنى أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لاعن سهو أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما أن معنى الإيفاء التمام ومنه تخونه إذا انتقصه ثم استعمل فى ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان فيه (وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ) أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الإثم والعذاب أو

محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا) نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم فى أقطار الأرض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة (وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ) أى الصغائر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم أى الكبائر (وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) على عباده (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار فرقوا [1] أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم إبليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسو فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال إبليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن له الله فى الهجرة فأمر عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتفوا أثره فأبطل الله مكرهم (لِيُثْبِتُوكَ) ليحبسوك ويوثقوك (أَوْ يَقْتُلُوكَ) بسيوفهم (أَوْ يُخْرِجُوكَ)

---

(١) الفرق: الخوف وقد فرق منه من باب طرب اهـ مختار

من مكة (وَيَمْكُرُونَ) ويخفون المكايد له (وَيَمْكُرُ اللَّهُ) ويخفى الله ما أعده لهم حتى يأتيهم بغتة (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا. كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية فى قراءته فقال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن (قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ) وهذا صلف منهم ووقاحة لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا) أى القرآن (هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان. روى أن النضر لما قال إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبى عليه الصلاة والسلام «ويلك هذا كلام الله» فرفع النضر رأسه إلى السماء وقال إن كان هذا هو الحق من عندك (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ) أى إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل (أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) بنوع آخر من جنس العذاب الأليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ) اللام لتأكيد النفى والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لأنك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) هو فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ﷺ من المستضعفين (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) أى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم ومالهم ألا يعذبهم الله (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ)

وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ)
إِلاَّ الْمُتَّقُونَ) من المسلمين وقيل الضميران راجعان إلى الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)
ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ
عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً) صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو إذا
صفر (وَتَصْدِيَةً) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين
أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يعملون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون
عليه (فَذُوقُوا الْعَذَابَ) عذاب القتل والأسر يوم بدر (بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) بسبب
كفركم . ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل
واحد منهم كل يوم عشر جزر (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ
اللَّهِ) أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله (فَسَيُنفِقُونَهَا
ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) ثم تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما
وتنقلب حسرة (ثُمَّ يُغْلَبُونَ) آخر الأمر وهو من دلائل النبوة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه
فكان كما أخبر (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) والكافرون منهم (إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) لأن منهم
من أسلم وحسن إسلامه واللام في (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ) الفريق الخبيث من الكفار (مِنَ
الطَّيِّبِ) أي من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون لِيُميِّز حمزة وعلي (وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ) الفريق الخبيث (بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا) فيجمعه (فَيَجْعَلَهُ فِي
جَهَنَّمَ) أي الفريق الخبيث (أُولَٰئِكَ) إشارة إلى الفريق الخبيث (هُمُ الْخَاسِرُونَ) أنفسهم
وأموالهم (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا) أي أبي سفيان وأصحابه (إِن يَنتَهُوا) عما هم عليه من عداوة
رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام (يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) لهم من العداوة (وَإِن
يَعُودُوا) لقتاله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) بالإهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى أو معناه
أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج
أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) ويضمحل

عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده (فَإِنِ انتَهَوْا) عن الكفر وأسلموا (فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يثيبهم على إسلامهم (وَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (نِعْمَ الْمَوْلَىٰ) لا يضيع من تولاه (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) لا يغلب من نصره. والمخصوص بالمدح محذوف (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم) ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب إلا مفصولا إذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (مِّن شَيْءٍ) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) والفاء إنما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وأن وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم أن لله خمسه (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فالخمس كان فى عهد رسول الله ﷺ يقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله، وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله ﷺ فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وإنما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان على ستة لله والرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضى الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ) فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وَمَا أَنزَلْنَا) معطوف على بالله أى إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ) يوم بدر (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (إِذْ أَنتُم) بدل من يوم الفرقان أو التقدير اذكروا إذ أنتم (بِالْعُدْوَةِ) شط الوادى، وبالكسر فيهما مكى وأبو عمرو (الدُّنْيَا) القربى إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى (وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ) البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى وأما القصوى فكالقود فى مجيئه

على الأصل (وَالرَّكْبُ) أى العير وهو جمع راكب فى المعنى (أَسْفَلَ مِنكُمْ) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ (وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ) لخالف بعضكم بعضاً فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالوعد وثبطهم مافى قلوبهم من تهيب رسول الله ﷺ والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ماوفقه الله وسبب له (وَلَكِن) جمع بينكم بلاميعاد (لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)من إعزاز دينه وإعلاء كلمته أواللام تتعلق بمحذوف أى ليقضى الله أمراً كان ينبغى أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ماقد علم أنه يكون كائنا أوليتم أمراً كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الإسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى (لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) حيى نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والإظهار لأن حركة الثانى غير لازمة لأنك تقول فى المستقبل يحيا والإدغام أكثر. استعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعن مخالجة شبهة حتى لايبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضاعن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم مع أنهم قدعلموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لاتكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لابأس بها ولاماء بالعدوة الدنيا وهى خبار[1] تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ) لأقوالهم (عَلِيمٌ) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ) نصب بإضمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى بعلم المصالح إذ يقللهم فى عينك (فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) أى فى رؤياك وذلك أن الله تعالى أراه إياهم فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على

(١) فى القاموس الخبار كسحاب ما لان من الأرض واسترخى.

عدوهم (وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ) لجبنتم وهبتم الإقدام (وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ) الضميران مفعولان أى وإذ يبصركم إياهم (إِذِ الْتَقَيْتُمْ) وقت اللقاء (فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً) هو نصب على الحال وإنما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله ﷺ وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ) حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور قيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلةمبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بأن يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول مايرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحمزة وعلى (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال (فَاثْبُتُوا) لقتالهم ولا تفروا (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم: اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى الأمر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا) فتجبنوا وهو منصوب بإضمار أن ويدل عليه (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أى دولتكم يقال هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله وفى الحديث «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» (وَاصْبِرُوٓا) فى القتال مع العدو وغيره (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ) أى معينهم وحافظهم (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن

دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كأس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دين الله (وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) عالم وهو وعيد (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ) واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول الله ﷺ ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون وغالب مبنى نحو لا رجل ولكم فى موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم (وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ) أى مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم (فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ) فلما تلاقى الفريقان (نَكَصَ) الشيطان هاربا (عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) أى رجع القهقرى (وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ) أى رجعت عما ضمنت لكم من الأمان، روى أن إبليس تمثل لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فى جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقال له الحارث بن هشام أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ) أى الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان (إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ) أى عقوبته (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) اذكروا (إِذْ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ) بالمدينة (وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) هو من صفة المنافقين أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الأقدام فى الإسلام (غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يكل إليه أمره (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (حَكِيمٌ) لا يسوى بين وليه وعدوه (وَلَوْ تَرَىٰٓ) ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضى كما ترد إن الماضى إلى معنى الاستقبال (إِذْ) نصب على الظرف (يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) يقبض أرواحهم (الْمَلَٰٓئِكَةُ) فاعل (يَضْرِبُونَ) حال منهم (وُجُوهَهُمْ) إذا أقبلوا (وَأَدْبَٰرَهُمْ)

ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام وقيل فى يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر والأول الوجه لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء (وَذُوقُوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى مقدمة عذاب النار أوذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيما (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) أى كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وَأَنَّ اللَّهَ) عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله(لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لنفى أنواع الظلم. الكاف فى (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كَفَرُوا) تفسير لدأب آل فرعون (بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم فى التعذيب (ذَٰلِكَ) العذاب أو الانتقام (بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) بسبب أن الله لم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا مابهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لما يقول مكذبو الرسل (عَلِيمٌ) بما يفعلون (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ تكرير للتأكيد أو لأن فى الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق (فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) بماء البحر (وَكُلٌّ) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش (كَانُوا ظَالِمِينَ) أنفسهم بالكفر والمعاصى

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أى أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان (الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ) فى كل معاهدة (وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ) فإما تصادفنهم وتظفرن بهم (فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم. وقال الزجاج: افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ) معاهدين (خِيَانَةً) نكثا بأمارات تلوح لك (فَانبِذْ إِلَيْهِمْ) فاطرح إليهم العهد (عَلَىٰ سَوَآءٍ) على استواء منك ومنهم فى العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ إليهم أى حاصلين على استواء فى العلم (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ) الناقضين للعهود (وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء وفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم أنهم شامى أى لأنهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره أن سبقوا فحذف أن وأن مخففة من الثقيلة أى أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين أو يكون الفاعل مضمرا أى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بيناه من عدم تفرده بها وعن الزهرى أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وَأَعِدُّوا) أيها المؤمنون (لَهُم) لناقضى العهد أو لجميع الكفار (مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها وفى الحديث «ألا إن القوة الرمى» قالها ثلاثا على المنبر وقيل هى الحصون (وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ) هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكال (تُرْهِبُونَ بِهِ) بما استطعتم (عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ)

أى أهـل مكة (وَءاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن فى الحديث «إن الشيطان لايقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق» وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن (لَا تَعْلَمُونَهُمُ) لا تعرفونهم بأعيانهم (اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) يوفر عليكم جزاؤه (وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) فى الجزاء بل تعطون على التمام (وَإِن جَنَحُوا) مالوا جنح له وإليه مال (لِلسَّلْمِ) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فَاجْنَحْ لَهَا) فمل إليها (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ولا تخف من إبطانهم المكر فى جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالك (الْعَلِيمُ) بأحوالك (وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ) تمكروا ويغدروا (فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) كافيك الله (هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ) قواك (بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) جميعا أو بالأنصار (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) قلوب الأوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة(لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) أى بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق فى إصلاح ذات بينهم ماقى الأرض من الأموال لم يقدر عليه (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فأحدث بينهم التوادّ والتحابّ وأماط عنهم التباغض والتماقت (إِنَّهُ عَزِيزٌ) يقهر من يخدعونك (حَكِيمٌ) ينصر من يتبعونك (يَٰأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الواو بمعنى مع ومابعده منصوب والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا. ويجوز أن يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبى ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يَٰأَيُّهَا النَّبِىُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) التحريض المبالغة فى الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم

ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) ضعفا عاصم وحمزة (فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ) بالياء فيهما كوفى وافقه البصرى فى الأولى والمراد الضعف فى البدن (يَغْلِبُوا مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ) وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين (مَا كَانَ لِنَبِىٍّ) ما صح له ولا استقام (أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ) أن تكون بصرى (حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ) الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة حتى يذل الكفر بإشاعة القتل فى أهله ويعز الإسلام بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك روى أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبى عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام «مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصانى فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا» ثم قال رسول الله ﷺ لهم «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم» فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا) متاعها يعنى الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه (وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ) أى ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان فى القتل (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ) يقهر الأعداء (حَكِيمٌ) فى عتاب الأولياء (لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ) لولا حكم من الله (سَبَقَ) أن لا يعذب أحدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لأنهم نظروا فى أن استبقاءهم ربما كان سببا فى إسلامهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفى عليهم إن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله فى اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو ألا يؤاخذ قبل البيان والإعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكرى القياس. كتاب

مبتدأ ومن الله صفته أى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أى لولا كتاب بهذه الصفة فى الوجود وسبق لايجوز أن يكون خبرا لأن لولا لايظهر خبرها أبدا (لَمَسَّكُمْ) لنالكم وأصابكم (فِيمَا أَخَذْتُمْ) من فداء الأسرى (عَذَابٌ عَظِيمٌ) روى أن عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال «أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة منه وروى أنه عليه السلام قال «لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ» لقوله كان الاثخان فى القتل أحب إلىّ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا (حَلَالًا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (طَيِّبًا) لذيذا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فلا تقدموا على شىء لم يعهد إليكم فيه (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لما فعلتم من قبل (رَحِيمٌ) بإحلال ما غنمتم (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم) فى ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم (مِّنَ الْأَسْرَىٰ) جمع أسير من الأسارى أبو عمرو جمع أسرى (إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) خلوص إيمان وصحة نية (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ) من الفداء إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) روى أنه قدم على رسول الله ﷺ مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ماقدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وإن أدناهم ليتجر فى عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وَإِن يُرِيدُوا) أى الأسرى (خِيَانَتَكَ) نكث مابايعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ماضمنوه من الفداء (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) فأمكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة (وَاللَّهُ

عَلِيمٌ) بالمآل (حَكِيمٌ) فيما أمر فى الحال (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا) من مكة حبا لله ورسوله (وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) هم المهاجرون (وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا) أى آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار (أُوْلَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ) أى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا) من مكة (مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم) من توليهم فى الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد (مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا) فكان لا يرث المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ) أى من أسلم ولم يهاجر (فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) أى إن وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ) فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) تحذير عن تعدى حد الشرع (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ) ظاهره إثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) أى إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تَكُن فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) تحصل فتنة فى الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين مالم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى (لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) لا منة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لأن

هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة (وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰئِكَ مِنكُمْ) جعلهم منهم تفضلا وترغيبا (وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فِي كِتَٰبِ اللَّهِ) فى حكمه وقسمته أوفى اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الأرحام (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فيقضى بين عباده بماشاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا .

﴿ سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره ﴾

لها أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفى ترك التسمية فى ابتدائها أقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم أن بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال لأن فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال، وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (بَرَآءَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى أن الله ورسوله قد

برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) فسيروا فى الأرض كيف شئتم والسيح: السير على مهل، روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لايتعرض لهم وهى الأشهر الحرم فى قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد وأمّر رسول الله ﷺ أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبى بكر فقال لايؤدّى عنى إلا رجل منى فلما دنا على سمع أبوبكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام علىّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ياأيها الناس: إنى رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لايقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك ياعلى أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهدوراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على إباحة القتال فى الأشهر الحرم وأن ذلك قد نسخ (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) لاتفوتونه وإن أمهلكم (وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) مذلهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى إخبار بثبوت البراءة والثانية إخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وإنما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس لأن البراءة مختصة

بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ) يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر (أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) أى بأن الله حذفت صلة الأذان تخفيفاً (وَرَسُولُهُ) عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء وقرىء بالنصب عطفا على اسم إن والجر على الجوار أو على القسم كقولك لعمرك وحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا منه برىء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابى قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية (فَإِن تُبْتُمْ) من الكفر والغدر (فَهُوَ) أى التوبة (خَيْرٌ لَّكُمْ) من الاصرار على الكفر (وَإِن تَوَلَّيْتُمْ) عن التوبة أو تبتم على التولى والإعراض عن الاسلام (فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) استثناء من قوله فسيحوا فى الأرض والمعنى براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا) من شروط العهد أى وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرىء لم ينقضوكم أى عهدكم وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لأنه فى مقابلة التمام (وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) ولم يعاونوا عليكم عدوا (فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ) فأدوه إليهم تاماً كاملا (إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ) إلى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) يعنى أن قضية التقوى ألا يسوّى بين الفريقين فاتقوا الله فى ذلك (فَإِذَا انسَلَخَ) مضى أو خرج (الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) من حل أو حرم (وَخُذُوهُمْ) وأسروهم، والأخذ: الأسر (وَاحْصُرُوهُمْ) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف

(فَإِن تَابُوا) عن الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) بستر الكفر والغدر بالإسلام (رَّحِيمٌ) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) أحد مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أى وإن استجارك أحد استجارك والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لاعهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ماتدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ) ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر (ثُمَّ أَبْلِغْهُ) بعد ذلك (مَأْمَنَهُ) داره التى يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت وفيه دليل على أن المستأمن لايؤذى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذَٰلِكَ) أى الأمر بالإجارة فى قوله فأجره (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ) بسبب أنهم قوم جهلة لايعلمون ماالإسلام وماحقيقة ماتدعو إليه فلابد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ) كيف استفهام فى معنى الاستنكار أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) ولم يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد (فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) على الوفاء وما شرطية أى فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) يعنى أن التربص بهم من أعمال المتقين (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا) لايراعوا حلفا ولا قرابة (وَلَا ذِمَّةً) عهداً (يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ) بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ) الإيمان والوفاء بالعهد (وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ) ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر لامروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما (اشْتَرَوْا) استبدلوا (بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) بالقرآن (ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا يسيرا

وهو اتباع الأهواء والشهوات (فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ)فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى بئس الصنيع صنيعهم (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) ، ولا تكرار لأن الأول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لأنه قال فى مؤمن (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فَإِن تَابُوا) عن الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ) فهم إخوانكم على حذف المبتدأ (فِي الدِّينِ) لافى النسب (وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ) ونبينها (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض، كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضاً على تأمل مافصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ) أى نقضوا العهود المؤكد بالأيمان (وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) وعابوه (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا بإخراج الرسول وقالوا إذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهراً جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة. أئمة بهمزتين كوفى وشامى، الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أأممة لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت فى الميم الأخرى فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ) وإنما أثبت لهم الايمان فى قوله وإن نكثوا أيمانهم لأنه أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقه وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لاتكون يميناً ومعناه عند الشافعى رحمه الله أنهم لا يوفون بها لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث . لا إيمان شامى أى لا إسلام (لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ) متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسىء ثم حرض على القتال فقال (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) التى حلفوها فى المعاهدة (وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) من مكة (وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) بالقتال والبادىء أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم، وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أَتَخْشَوْنَهُمْ) توبيخ

على الخشية منهم (فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ) بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) فاخشوه أى إن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالى بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به بقوله (قَٰتِلُوهُمْ) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله (يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ) قتلا (وَيُخْزِهِمْ) أسرا (وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ) يغلبكم عليهم (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة (١) رسول الله ﷺ (وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ) ابتداء كلام وإخبار بأن بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقدأسلم ناس منهم كأبى سفيان وعكرمة ابن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على المعتزله قولهم إن الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لايتوبون باختيارهم (وَاللهُ عَلِيمٌ) يعلم ماسيكون كايعلم ماقد كان (حَكِيمٌ) فى قبول التوبة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ) أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أى لا تتركون على ماأنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً) أى بطانة من الذين يضادون رسول الله ﷺ والمؤمنين ولما معناها التوقع وقددلت على أن تبين ذلك متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقولك ماعلم الله منى ماقيل فى . تريدماوجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) من خير أو شر فيجازيكم عليه (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ) ماصح لهم وما استقام (أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ اللهِ) مسجد الله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وإنما جمع فى القراءة بالجمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو آكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول :

(١) عيبة الرجل : موضع سره ، كما يوخذ من القاموس .

فلان لايقرأ كتب الله فإنه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ) باعترافهم بعبادة الأصنام وهو حال من الواو فى يعمروا والمعنى مااستقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته (أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ) دائمون (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ) عمارتها رَمّ مااسترم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها عمالم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم (مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ) ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاقترانهما فى الأذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها أودل عليه بقوله (وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ) وفى قوله (وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ) تنبيه على الاخلاص، والمراد الخشية فى أبواب الدين بأن لايختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف إذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفى تلك الخشية عنهم (فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم فى الانتفاع بأعمالهم لأن عسى كلمة إطماع والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولابد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر فى غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العانى وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالإسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) أولئك (أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ) من أهل السقاية والعمارة (وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ) لا أنتم والمختصون

بالفوز دونهم (يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم) يَبْشُرهم حمزة (بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ) تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لَّهُمْ فِيهَا) في الجنات (نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) دائم (خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته أوولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَٰنِ) أي آثروه واختاروه (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ) أي ومن يتول الكافرين (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ)أقاربكم وعشيراتكم أبوبكر(وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا)اكتسبتموها (وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) فوات وقت نفاقها (وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦ) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أوفتح مكة (وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ)والآية تنعى على الناس ماهم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين إذلا تجد عند أورع الناس مايستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل إن المواطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (وَيَوْمَ) أي واذكروا يوم (حُنَيْنٍ) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام (إِذْ) بدل من يوم (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان ابن الحارث بن عمه آخذا بركابه فقال العباس «صح بالناس» وكان صيتاً فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون : لبيك، لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ

رسول الله ﷺ كفا من تراب فرماهم به ثم قال «انهزموا ورب الكعبة» فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى متلبساً بها والمعنى لم تجدوا موضعاً لفراركم من أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم (ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) ثم انهزمتم (ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفاً (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر وسبى النساء والذرارى (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ) وهم الذين أسلموا منهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ) بستر كفر العدو بالإسلام (رَّحِيمٌ) بنصر الولى بعد الانهزام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) أى ذوو نجس وهو مصدر يقال نجس نجساً وقذر قذراً لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية (بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبوبكر رضى الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعى رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) أى فقراً بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الإسلام (إِن شَاءَ) هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال إليه (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بأحوالكم (حَكِيمٌ) فى تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل فى أهل الكتاب (قَاتِلُوا

الذين لا يؤمنون بالله) لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة (ولا باليوم الآخر) لأنهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا أكل في الجنة ولا شرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لأنهم لا يحرمون ماحرم في الكتاب والسنة أو لا يعملون بما في التوراة والإنجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الإسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين قبله وأما المجوس فلحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لما روى الزهرى أن النبي عليه السلام صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب (حتى يعطوا الجزية) إلى أن يقبلوها وسميت جزية لأنه مما يجب على أهلها أن يجزوه أى يقضوه أو هى جزاء على الكفر على التحميل في تذليل (عن يد) أى عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا أعطى بيده إذا انقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ (وهم صغرون) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية ياذمى وإن كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالاسلام (وقالت اليهود) كلهم أو بعضهم (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمى ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهم عاصم وعلى فقد جعله عربياً (وقالت النصرى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفوههم) أى قول لايعضده برهان ولا يستند إلى بيان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة (يضهئون قول الذين كفروا من قبل) لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً يعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم يضاهئون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بأنها لاتحيض كذا قاله الزجاج (قتلهم الله) أى هم أحقاء بأن يقال

لهم هذا (أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الحق بعدقيام البرهان (اتَّخَذُوٓا) أى أهل الكتاب (أَحْبَارَهُمْ) علماءهم (وَرُهْبَـٰنَهُمْ) نساكهم (أَرْبَابًا) آلهة (مِّن دُونِ اللَّهِ) حيث أطاعوهم فى تحليل ماحرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الأرباب فى أوامرهم ونواهيهم (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) عطف على أحبارهم أى اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله (وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَـٰهًا وَٰحِدًا) يجوز الوقف عليه لأن مابعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لواحدا (لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ) تنزيه له عن الإشراك (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ) مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد ﷺ بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطفئه بنفخه. أجرى ويأبى الله مجرى لايريد الله ولذا وقع فى مقابلة يريدون وإلا لا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا (هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ) محمدا عليه السلام (بِالْهُدَىٰ) بالقرآن (وَدِينِ الْحَقِّ) الإسلام (لِيُظْهِرَهُۥ) ليعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ) على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ النَّاسِ) استعار الأكل للأخذ (بِالْبَـٰطِلِ) أى بالرشا فى الأحكام (وَيَصُدُّونَ) سفلتهم (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ)

يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم أخذ الرشا وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبى ﷺ «ماأدى زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا» ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وماعابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الاعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح لايذم صاحبه (وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ) الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهما دنانير ودراهم، فهو كقوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. أو أريد الكنوز والأموال أو معناه ولاينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فإنى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك. وخصا

بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء. وذكر كنزهما دليل على ما سواها (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ومعنى قوله (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) أن النار تحمى عليها أى توقد وإنما ذكر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير (فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) وخصت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ (فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) من غير زيادة والمراد بيان أن أحكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالأهلة دون الشمسية (فِي كِتَابِ اللَّهِ) فيما أثبته وأوجبه من حكمته أو فى اللوح (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) ثلاثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه أى لتعظيمه (ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين ابرهيم وإسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسىء فغيروا (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) فى الحرم أو فى الاثنى عشر (أَنفُسَكُمْ) بارتكاب المعاصى (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) حال من الفاعل أو المفعول (كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) جميعا (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) أى ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها (إِنَّمَا النَّسِيءُ) بالهمزة مصدر نسأه إذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم (يُضَلُّ) كوفى غير أبى بكر (بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالنسىء والضمير فى

(يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) للنسيء أى إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل (لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللهُ) ليوافقوا العدة التى هى الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه أو بيحرمونه فحسب وهو الظاهر (فَيُحِلُّوا مَاحَرَّمَ اللهُ) أى فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ماحرم الله من القتال أومن ترك الاختصاص للأشهر بعينها (زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة(وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا) اخرجوا (فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ) تثاقلتم وهو أصله إلا أن التاء أدغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أى تباطأتم (إِلَى الْأَرْضِ) ضمن معنى الميل والإخلاد فعدى بإلى أى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ماخرج رسول الله ﷺ فى غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) بدل الآخرة (فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ) فى جنب الآخرة (إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُوا) إلى الحرب(يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غنى عنهم فى نصرة دينه لايقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير فى ولا تضروه للرسول عليه السلام لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعده كائن لامحالة (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من التبديل والتعذيب وغيرهما(قَدِيرٌ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ) إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أسند الإخراج إلى الكفار لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له فى الخروج فكأنهم أخرجوه (ثَانِىَ اثْنَيْنِ) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر وانتصابه على الحال (إِذْ هُمَا) بدل من إذ أخرجه (فِى الْغَارِ) هو نقب فى أعلى ثور وهو جبل

فى يعنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (إِذْ يَقُولُ) بدل ثان (لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبوبكر على رسول الله ﷺ فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام «ماظنك باثنين الله ثالثهما» وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله ﷺ «اللهم أعم أبصارهم» فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) ما ألقى فى قلبه من الأمنة التى سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه (عَلَيْهِ) على النبى ﷺ أو على أبى بكر لأنه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى دعوتهم إلى الكفر (السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ) دعوته إلى الإسلام (هِيَ) فصل (الْعُلْيَا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه إذ هى كانت ولم تزل عالية (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) يعز بنصره أهل كلمته (حَكِيمٌ) يذل أهل الشرك بحكمته (انْفِرُوا خِفَافًا) فى النفور لنشاطكم له (وَثِقَالًا) عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة (فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ) الجهاد (خَيْرٌ لَكُمْ) من تركه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) كون ذلك خيرا فبادروا إليه ونزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لَوْ كَانَ عَرَضًا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان مادعوا إليه مغنما (قَرِيبًا) سهل المأخذ (وَسَفَرًا قَاصِدًا) وسطا مقاربا، والقاصد والقصد المعتدل (لَاتَّبَعُوكَ) لوافقوك فى الخروج (وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) المسافة الشاطة الشاقة (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) من دلائل النبوة لأنه أخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما أخبر، وبالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون

لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابى القسم ولو جميعا . ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا (يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ) بدل من سيحلفون أو حال منه أى مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من لخرجنا أى لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها على المسير فى تلك الشقة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) فيما يقولون (عَفَا اللَّهُ عَنكَ) كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو فى الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام (لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَٰذِبِينَ) يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الأسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه عليه السلام إنما فعل ذلك بالاجتهاد وإنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأفضل وهم يعاتبون على ترك الأفضل (لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا (بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) عدة لهم بأجزل الثواب (إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يتحيرون لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المتبصر (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ) للخروج أو للجهاد (عُدَّةً) أهبة لأنهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فَثَبَّطَهُمْ) فكسلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه (وَقِيلَ اقْعُدُوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مَعَ الْقَٰعِدِينَ) هو ذم لهم وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود فى البيوت (لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ) بخروجهم معكم (إِلَّا خَبَالًا) إلا فسادا وشرا والاستثناء

متصل لأن المعنى مازادوكم شيئا إلا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك مازادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعضه (وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي. وخط في المصحف ولاأوضعوا بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه (يَبْغُونَكُمُ) حال من الضمير في أوضعوا (الْفِتْنَةَ) أي يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم (وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ) أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ) بالمنافقين (لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ) بصد الناس أو بأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد (مِن قَبْلُ) من قبل غزوة تبوك (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوّروا الآراء في إبطال أمرك (حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ) وهو تأييدك ونصرك (وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ) وغلب دينه وعلا شرعه (وَهُمْ كَٰرِهُونَ) أي على رغم منهم (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي) ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت أولا تلقني في الهلكة فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الأنصار إني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) يعني أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ) الآن لأن أسباب الإحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة (إِن تُصِبْكَ) في بعض الغزوات (حَسَنَةٌ) ظفر وغنيمة (تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم(مِن

قَبْلُ) من قبل ما وقع (وَيَتَوَلَّوا) من مقام التحدث بذلك إلى أهاليهم (وَهُمْ فَرِحُونَ) مسرورون (قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا) أى قضى من خير أوشر (هُوَ مَوْلَنَا) أى الذى يتولانا ونتولاه (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) وحق المؤمنين أن لايتوكلوا على غير الله (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ) تنتظرون بنا (إِلآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ) وهما النصرة والشهادة (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ) إحدى السوءيين إما (أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أَوْ) بعذاب (بِأَيْدِينَا) وهو القتل على الكفر (فَتَرَبَّصُوآ) بنا ماذكرنا (إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ) ماهوعاقبتكم (قُلْ أَنفِقُوا) فى وجوه البر (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) طائعين أو مكرهين نصب على الحال . كُرها حمزة وعلى وهو أمر فى معنى الخبر ومعناه (لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أولا تستغفر لهم وقوله .

أسيئى بناأو أحسنى لا ملومة لدينـا ولا مقلية إن تقلت

أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أولا يثيبها الله وقوله طوعا أى من غير إلزام من الله ورسوله وكرها أى ملزمين وسمى الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه (إِنَّكُمْ) تعليل لرد إنفاقهم (كُنتُمْ قَوْمًا فَسِقِينَ) متمردين عاتين (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ) وبالياء حمزة وعلى (إِلآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى ومامنعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم (بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ) جمع كسلان (وَلَا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَرِهُونَ) لأنهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع فى قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ﷺ أومن رؤسائهم وماطوعهم ذلك إلاعن كراهة واضطرار لاعن رغبة واختيار (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلآ أَوْلَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) الإعجاب بالشىء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ماأوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالإنفاق منه فى أبواب الخير

وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبى أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالأصلح لأنه أخبر أن إعطاء الأموال والأولاد لهم للتعذيب والإماتة على الكفر وعلى إرادة الله تعالى المعاصي لأن إرادة العذاب بإرادة ما يعذب عليه وكذا إرادة الإماتة على الكفر (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ) لمن جملة المسلمين (وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً) مكانا يلجئون إليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أَوْ مَغَٰرَٰتٍ) أو غيرانا (أَوْ مُدَّخَلًا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ) لأقبلوا نحوه (وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يسرعون إسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح (وَمِنْهُم) ومن المنافقين (مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ) يعيبك فى قسمة الصدقات ويطعن عليك (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) إذا للمفاجأة أى وإن لم يعطوا منها فاجئوا السخط وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأنه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَٰغِبُونَ) جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله فى أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التى توضع فيها فقال (إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ) قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أى هى مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل إنما هى لهم لا لغيرهم كقولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعى رحمه الله لابد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذى لا يسأل لأن عنده ما

يكفيه للحال والمسكين الذى يسأل لأنه لايجد شيئاً فهو أضعف حالا منه وعند الشافعى رحمه الله على العكس (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) هم السعاة الذين يقبضونهـا (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) على الإسلام أشراف من العرب كان رسول الله ﷺ يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الإسلام (وَفِي الرِّقَابِ) هم المكاتبون يعانون منهـا (وَالْغَارِمِينَ) الذين ركبتهم الديون(وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ)فقراءالغزاة أوالحجيج المنقطع بهم (وَابْنِ السَّبِيلِ) المسافر المنقطع عن ماله وعـدل عن اللام إلى فى فى الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها . وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وإنما وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم وإشعارا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهى بذهاب ذلك المعنى (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) فى معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بالمصلحة (حَكِيمٌ) فى القسمة (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) الأذن الرجل الذى يصـدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة وإيذاؤهم له هوقولهم فيه هوأذن قصدوا به المذمةوأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بماهومدح له وثناء عليه فقال (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولـكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن فى غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه(يُؤْمِنُ بِاللَّهِ)أى يصدق بالله لماقام عنده من الأدلة (وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وعـدى فعل الإيمان بالباء إلى الله لأنه قصد به التصديق بالله الذى هو ضد الـكفر به وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين

وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبو عن الباء (وَرَحْمَةٌ) بالعطف على أذن ورحمةٍ حمزة عطف على خير أى هو أذن خير وأذن رحمة لايسمع غيرهما ولا يقبله (لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم فى الآخرة بإيمانهم فى الدنيا (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الدارين (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ) أى إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه لاتفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا فى حكم شىء واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشنى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ) أن الأمر والشأن (مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يجاوز الحد بالخلاف وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فَأَنَّ لَهُ) على حذف الخبر أى فحق أن له (نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ) خبر بمعنى الأمر أى ليحذر المنافقون (أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ) تنزل بالتخفيف مكى وبصرى (تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم دليله قل استهزءوا أو الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يعود إليه (قُلِ اسْتَهْزِءُوا) أمر تهديد (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ) مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون إظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أنى قدمت فجلدت مائة وأنه لاينزل فينا شىء يفضحنا (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) بينا رسول الله ﷺ يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يانبى الله

لا والله ما كنا فى شىء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أى ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا إنما كنا نخوض ونلعب (قُلْ) يامحمد (أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لَا تَعْتَذِرُوا) لاتشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعدظهور سركم (قَدْ كَفَرْتُم) قدأظهرتم كفركم باستهزائكم (بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ) بعدإظهاركم الإيمان (إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ) بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق (نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) مصرين على النفاق غير تائبين منه إن يعف تعذب طائفة غيرعاصم (الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ) الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين (بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ) أى كأنهم نفس واحدة وفيه نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ) بالكفر والعصيان (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) عن الطاعة والإيمان (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) شحا بالمبار والصدقات والإنفاق فى سبيل الله (نَسُوا اللَّهَ) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فَنَسِيَهُمْ) فتركهم من رحمته وفضله (إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمهم (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود فيها (هِىَ) أى النار (حَسْبُهُمْ) فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لايزاد عليه (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين اللاعين (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم معهم فى العاجل لاينفكون عنه وهو مايقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين وما يحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الكاف فى (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)

كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ) محلها رفع أى أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذذوا بملاذ الدنيا. والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ماخلق للإنسان بمعنى قدر من خير (وَخُضْتُمْ) فى الباطل (كَالَّذِى خَاضُوٓاْ) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوا والخوض الدخول فى الباطل واللهو وإنما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فى مقابلة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ) هو بدل من الذين (وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ) وأهل مدين وهم قوم شعيب (وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ) مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) فما صح منه أن يظلمهم بإهلاكهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر وتكذيب الرسل (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ) فى التناصر والتراحم (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بالطاعة والإيمان (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) عن الشرك والعصيان (وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) السين مفيدة وجود الرحمة لامحالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد فى سأنتقم منك يوماً (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على كل شىء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حَكِيمٌ) واضع كلا موضعه (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد (فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ) هو علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن وقد عرفت أن الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل وهى مدينة فى

الجنة (وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ) وشيء من رضوان الله (أَكْبَرُ) من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماوعد أو إلى الرضوان (هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) وحده دون ما يعده الناس فوزاً (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ) بالسيف (وَٱلْمُنَٰفِقِينَ) بالحجة (وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) جهنم أقام رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معهم. منهم الجلاس بن سويد فقال والله لئن كان مايقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس أجل والله إن محمداً صادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر فحلف بالله ماقال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ) يعنى إن كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير أو هى استهزاؤهم فقال الجلاس يارسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام وفيه دلالة على أن الإيمان والإسلام واحد لأنه قال وكفروا بعد إسلامهم (وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟) من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبى وإن لم يرض رسول الله ﷺ (وَمَا نَقَمُوٓا۟) وما أنكروا وما عابوا (إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة فى ضنك من العيش لايركبون الخيل ولايحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسو الله ﷺ بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فَإِن يَتُوبُوا۟) عن النفاق (يَكُ) التوب (خَيْرًا لَّهُمْ) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس (وَإِن يَتَوَلَّوْا۟) يصروا على النفاق (يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ) بالقتل والنار (وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ينجيهم من العذاب (وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ) روى أن ثعلبة بن حاطب قال

يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه السلام «ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه» فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقـه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل كثر ماله حتى لايسعه واد «فقال ياويح ثعلبة» فبعث رسول الله ﷺ مصدّقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ماهذه الاجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه «ياويح ثعلبة» مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها و جاء بها إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه (لَئِنْ ءاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِ) أى المال (لَنَصَّدَّقَنَّ) لنخرجن الصدقة والأصل لنتصدقن ولـكن التاء أدغمت فى الصاد لقربها منها (وَلَنَـكُونَنَّ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ) بإخراج الصدقة (فَلَمَّا ءاتَـٰهُم مِّن فَضْلِهِ) أعطاهم الله المال ونالوا مناهم (بَخِلُوا بِهِ) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وَتَوَلَّوا) عن طاعة الله (وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ) مصرون على الإعراض (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ) فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لأنه كان سببا فيه (إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بِمَآ أَخْلَفُوا اللهَ مَاوَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَـكْذِبُونَ) بسبب إخلافهم ماوعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق (أَلَمْ يَعْلَمُوآ) يعنى المنافقين (أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ) ما أسروه من النفاق بالعزم على إخلاف ماوعـدوه (وَنَجْوَىٰهُمْ) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وَأَنَّ اللهَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ) فلا يخفى عليـه شىء (الَّذِينَ) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجواهم (يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ) يعيبون المطوعين المتبرعين (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَـٰتِ) متعلق بيلمزون . روى أن رسـول الله ﷺ حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت

ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال عليه السلام «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (وَٱلَّذِينَ) عطف على المطوعين (لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) طاقتهم وعن نافع جَهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وأما صاع أبى عقيل فالله غنى عنه (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) فيهزءون (سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ) جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبى رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه فى مرضه نزل (ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) وقد مر أن هذا الأمر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ) والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لأنهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وإن بالغت فى الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الأخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أن العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الأشفاع اثنان وأول الأوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لأن فيها أوتاراً ثلاثة وأشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لأن ما جاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر إلى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك إلى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذَٰلِكَ) إشارة إلى اليأس من المغفرة (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ) ولا غفران للكافرين (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ) الخارجين عن الإيمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله

ﷺ فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بِمَقْعَدِهِمْ) بقعودهم عن الغزو (خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) أى لم يفعلوا مافعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما فى المؤمنين من باعث الإيمان وداعى الإيقان (وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ) قال بعضهم لبعض أوقالوا للمؤمنين تثبيطا (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ) استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل (فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) أى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم فى الدنيا ويبكون كثيراً جزاء فى العقبى إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقألهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) من النفاق (فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ) أى ردك من تبوك وإنما قال (إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ) لأن منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ) إلى غزوة بعد غزوة تبوك (فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا) وبسكون الياء حمزة وعلى وأبوبكر (وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا) معى حفص (إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أول مادعيتم إلى غزوة تبوك (فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ) مع من تخلف بعد، وسأل ابن عبد الله بن أبى وكان مؤمنا أن يكفن النبى ﷺ أباه فى قميصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام «ذلك لا ينفعه وإنى أرجو أن يؤمن به ألف من قومه» فنزل (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم) من المنافقين يعنى صلاة الجنازة روى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبى ﷺ (مَّاتَ) صفة لأحد (أَبَدًا) ظرف لتصل وكان عليه السلام إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل (وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ) تعليل للنهى أى أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولأن كل آية فى فرقة غير الفرقة الأخرى (وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ) يجوز أن يراد سورة

بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أَنْ ءامِنُوا بِاللهِ) بأن آمنوا أوهى أن المفسرة (وَجَٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَئْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) ذوو الفضل والسعة (وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَٰعِدِينَ) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى النساء جمع خالفة (وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الهلاك والشقاوة (لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءامَنُوا مَعَهُ جَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) أى إن تخلف هؤلاء فقد نهض إلى الغزو من هو خير منهم (وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَٰتُ) تناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بكل مطلوب (أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) هو من عذّر فى الأمر إذا قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء فى الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فأذن لنا فى التخلف (وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الإيمان (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من الأعراب (عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) الهرمى والزمنى (وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة (حَرَجٌ) إثم وضيق فى التأخر (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) بأن آمنوا فى السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) المعذورين الناصحين (مِن سَبِيلٍ) أى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (وَاللهُ غَفُورٌ) يغفر تخلفهم (رَّحِيمٌ) بهم (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) لتعطيهم الحمولة (قُلْتَ) حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمرة أى إذا ما أتوك قائلا (لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا) هو جواب إذا (وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) أى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على

التمييز ويجوز أن يكون قلت لاأجد استئنافاً كأنه قيل إذا ماأتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لاأجد ماأحملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حَزَنًا) مفعول له (أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ) لئلا يجدوا ماينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون أبوموسى الأشعرى وأصحابه أوالبكاؤن وهم ستة نفرمن الأنصار (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ) فى التخلف (وَهُمْ أَغْنِيَآءُ) وقوله (رَضُوا) استئناف كأنه قيل مابالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى بالانتظام فى جملة الخوالف (وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ) يقيمون لأنفسهم عذراً باطلا (إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) من هذه السفرة (قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا) بالباطل (لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ) لن نصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به (قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) علة لانتفاء تصديقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى تردون إليه وهو عالم كل سر وعلانية (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم على حسب ذلك (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) لتتركوهم ولاتوبخوهم (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) فأعطوهم طلبتهم (إِنَّهُمْ رِجْسٌ) تعليل لترك معاتبتهم أى أن المعاتبة لاتنفع فيهم ولا تصلحهم لأنهم أرجاس لاسبيل إلى تطهيرهم (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) ومصيرهم النار يعنى وكفتهم النار عتاباً وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أى يجزون جزاء كسبهم (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) أى فإن رضاكم وحدكم لاينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وإنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم (الْأَعْرَابُ) أهل البدو (أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء (وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا) وأحق بأن لايعلموا (حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ) يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام:

«إن الجفاء والقسوة فى الفدادين» يعنى الأكرة لأنهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والفديد الصياح (وَاللهُ عَلِيمٌ) بأحوالهم (حَكِيمٌ) فى إمهالهم (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ) أى يتصدق (مَغْرَمًا) غرامة وخسرانا لأنه لاينفق إلا تقيّة من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) أى دوائر الزمان وتبدل الأحوال بدور الأيام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين. السُّوء مكى وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق (وَاللهُ سَمِيعٌ) لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة (عَلِيمٌ) بما يضمرونه (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ) فى الجهاد والصدقات (قُرُبَاتٍ) أسبابا للقربة (عِندَ اللهِ) وهو مفعول ثان ليتخذ (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) أى دعاءه لأنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله «اللهم صل على آل أبى أوفى» (أَلَا إِنَّهَا) أى النفقة أو صلوات الرسول (قُرْبَةٌ لَّهُمْ) قُرُبة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة مااعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك (سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ) أى جنته وما فى السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) يستر عيب المخل (رَّحِيمٌ) يقبل جهد المقل (وَالسَّابِقُونَ) مبتدأ (الْأَوَّلُونَ) صفة لهم (مِنَ الْمُهَاجِرِينَ) تبيين لهم وهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو بيعة الرضوان (وَالْأَنصَارِ) عطف على المهاجرين أى ومن الأنصار وهم أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ) من المهاجرين والأنصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة والخبر (رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بأعمالهم الحسنة (وَرَضُوا عَنْهُ) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وَأَعَدَّ لَهُمْ) عطف على رضى (جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ) من تحتها مكى (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم) يعنى حول بلدتكم وهى المدينة (مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا

نازلين حولها (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) عطف على خبر المبتدأ الذى هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول لايخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله (لَا تَعْلَمُهُمْ) أى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى مايشككك فى أمرهم ثم قال (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) أى لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) هما القتل وعذاب القبر أو الفضيحة وعذاب القبر أو أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) أى عذاب النار (وَءَاخَرُونَ) أى قوم آخرون سوى المذكورين (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس مافعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم مانزل فى المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم فقالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزل خذ من أموالهم صدقة (خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا) خروجا إلى الجهاد (وَءَاخَرَ سَيِّئًا) تخلفا عنه أو التوبة والإثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما أى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للإلصاق فيتناسبان أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء (عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ولم يذكر توبتهم لأنه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ

صَدَقَةً) كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكاة (تُطَهِّرُهُمْ) عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث والتاء فى (وَتُزَكِّيهِم) للخطاب لا محالة (بِهَا) بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة فى المال (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها (إِنَّ صَلَوٰتَكَ) صلاتك كوفى غير أبى بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لأنها للجنس (سَكَنٌ لَّهُمْ) يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قدتاب عليهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لدعائك أوسميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عَلِيمٌ) بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (أَلَمْ يَعْلَمُوٓا) المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) إذا صحت (وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ) ويقبلها إذا صدرت على خلوص النية وهو للتخصيص أى إن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ) كثير قبول التوبة (الرَّحِيمُ) يعفو الحوبة (وَقُلِ) لهؤلاء التائبين (اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) أى فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فمالهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله . وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة (وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ) ما يغيب عن الناس (وَالشَّهَٰدَةِ) ما يشاهدونه (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) بغير همز مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجئون غيرهم من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) إن أصروا ولم يتوبوا (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) إن تابوا وهم ثلاثة: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله : وعلى الثلاثة الذين خلفوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) برجائهم (حَكِيمٌ) فى إرجائهم وإما للشك وهو راجع إلى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجو لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر

أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لاينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغيرواو مدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنو مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى ﷺ بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال «إنى على جناح سفر وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه» فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فقال: لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضِرَارًا) مفعول له وكذا مابعد أى مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء (وَكُفْرًا) وتقوية للنفاق (وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) لأنهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وَإِرْصَادًا لِّمَنْ) وإعدادا لأجل من (حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله ﷺ وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (مِن قَبْلُ) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق (وَلَيَحْلِفُنَّ) كاذبين (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ) ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) فى حلفهم (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) للصلاة (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ) اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) من أيام وجوده قبل القياس فيه مذ لأنه لابتداء

الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب إن من عام فى الزمان والمكان (أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ) مصليا (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) قيل لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام «أترضون بالقضاء» قالوا نعم قال «أتصبرون على البلاء» قالوا نعم قال «أتشكرون فى الرخاء» قالوا نعم قال عليه السلام «مؤمنون أنتم ورب الكعبة» فجلس ثم قال «يامعشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط» فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبى عليه السلام: رجال يحبون أن يتطهروا. قيل هو عام فى التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشىء ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) وضع أساس مايبنيه (عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافى التقوى والشفا: الحرف والشفير، وجرف الوادى: جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا، والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بألف فاعل إنما هى عينه وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره. أفمن أسس بنيانه، أم من أسس شامى ونافع جرف شامى وحمزة ويحيى هار بالإمالة أبوعمرو وحمزة فى رواية ويحيى (فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجىء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظّٰلِمِينَ) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ) لايزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) شامى وحمزة وحفص أى تتقطع. غيرهم تُقطع أى إلا أن تقطع قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وماهو كائن منه بقتلهم أوفى القبور أوفى النار أومعناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بعزائمهم (حَكِيمٌ) فى جزاء جرائمهم (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى: تاجرهم، فأغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله ﷺ أعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لانقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد (يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) بيان محل التسليم (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) أى تارة يقتلون العدوّ وطوراً يقتلهم العدو فيُقتلون. ويَقتلون حمزة وعلى (وَعْدًا عَلَيْهِ) مصدر أى وعدهم بذلك وعداً (حَقًّا) صفته أخبر بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِ) لأن إخلاف الميعاد قبيح لايقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين ولا ترى ترغيباً فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ) فافرحوا غاية الفرح فإنكم تبيعون فانيا بباق (وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها (التَّـٰئِبُونَ) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أوهو مبتدأ خبره (الْعَـٰبِدُونَ) أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق (الْحَـٰمِدُونَ) على نعمة الإسلام (السَّـٰئِحُونَ) الصائمون لقوله عليه السلام «سياحة أمتى الصيام» أوطلبة العلم لأنهم يسيحون فى الأرض يطلبونه فى مظانه أو السائرون فى الأرض للاعتبار (الرَّٰكِعُونَ السَّـٰجِدُونَ)

المحافظون على الصلوات (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بالإيمان والمعرفة والطاعة (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ) عن الشرك والمعاصي ودخلت الواو للاشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الأمر والنهي كما في قوله: ثيبات وأبكارا (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) أوامره ونواهيه أومعالم الشرع (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) المتصفين بهذه الصفات، وهمّ عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب فنزل (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ) أى ماصح له الاستغفار في حكم الله وحكمته (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) من بعد ماظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) أى وعد أبوه إياه أن يسلم أوهو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لأستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ماأسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذى به يغفر له (فَلَمَّا تَبَيَّنَ) من جهة الوحى (لَهُ) لإبراهيم (أَنَّهُ) أن أباه (عَدُوٌّ لِّلَّهِ) بأن يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه (تَبَرَّأَ مِنْهُ) وقطع استغفاره (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) هو التأوه شفقاً وفرقاً ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حَلِيمٌ) هوالصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ) أى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لايؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم إلا إذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون مايجب اتقاؤه للنهى فأما مايعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ) أى تاب عليه من إذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفاالله عنك (وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) فى غزوة تبوك ومعناه فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة

على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا كرشها وشربوه وفى شدة زمان من حارّة القيظ ومن الجدب والقحط (مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشأن والجملة بعده فى موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) تكرير للتوكيد (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَـٰثَةِ) أى وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أميه وهو عطف على النبي (الَّذِينَ خُلِّفُوا) عن الغزو (حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ) اى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم (وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) بعد خمسين يوماً (لِيَتُوبُوا) ليكونوا من جملة التوابين (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) عن أبى بكر الوراق أنه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّـٰدِقِينَ) فى إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا. والآية تدل على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ) المراد بهذا النفى النهى وخص هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه (وَلَا يَرْغَبُوا) ولا أن يضنوا (بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) عما يصيب نفسه أى لا يختاروا إبقاء أنفسهم على نفسه فى الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه فى البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه فى كل شدة (ذَٰلِكَ) النهى عن التخلف (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) عطش (وَلَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ) مجاعة (فِى سَبِيلِ اللَّهِ) فى الجهاد (وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا) ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم (يَغِيظُ الْكُفَّارَ) يغضبهم ويضيق صدورهم (وَلَا يَنَالُونَ

مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً) ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة (إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَٰلِحٌ) عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبى ﷺ لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب. والموطىء إما مصدر كالورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً) فى سبيل الله (صَغِيرَةً) ولو تمرة (وَلَا كَبِيرَةً) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو فى الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الأرض (إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ) من الإنفاق وقطع الوادى (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ) متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لأجل الجزاء (أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لأجرهم (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً) اللام لتأكيد النفى أى أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة (فَلَوْلَا نَفَرَ) فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر (مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى تحصيلها (وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ) وليجعلوا مرمى همتهم فى التفقه إنذار قومهم وإرشادهم (إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) دون الأغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة فى المراكب والملابس (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ما يجب اجتنابه وقيل إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الأكبر إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرا من الجهاد بالنصال والضمير فى ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية

قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَـٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم) يقربون منكم (مِّنَ ٱلْكُفَّارِ) ، القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب وقد حارب النبي ﷺ قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) شدة وعنفا في القتال قبل القتال (وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ) بالنصرة والغلبة (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ) ماصلة مؤكدة (فَمِنْهُم) فمن المنافقين (مَّن يَقُولُ) بعضهم لبعض (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ) السورة (إِيمَـٰنًا) إنكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا) يقينا وثباتا أو خشية أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) كفرا مضموما إلى كفرهم (وَمَاتُوا وَهُمْ كَـٰفِرُونَ) هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت (أَوَلَا يَرَوْنَ) يعني المنافقين وبالتاء حمزة خطاب المؤمنين (أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما (فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ) من نفاقهم (وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) لا يعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ لا يتوبون بما يرون من دولة الإسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطدام (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) تغامزوا بالعيون إنكارا للوحي وسخرية به قائلين (هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ) من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يرا كم من أحد إن قمتم من حضرته عليه السلام (ثُمَّ ٱنصَرَفُوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم) عن فهم القرآن (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) لا يتدبرون حتى يفقهوا (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ) محمد عليه السلام (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في

العذاب (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) على إيمانكم (بِالْمُؤْمِنِينَ) منكم ومن غيركم (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ (فَإِن تَوَلَّوْا) فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك (فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) فاستعن بالله وفوض إليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فوضت أمرى إليه (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ) هو أعظم، خلق الله خلق مطافا لأهل السماء وقبلة للدعاء (الْعَظِيمِ) بالجر وقرىء بالرفع على نعت الرب جل وعز . عن أبىّ آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية .

﴿ سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية ﴾

(وكذا مابعدها إلى سورة النور)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الٓر) ونحوه ممال حمزة وعلى وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدى (تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة لاشتماله عليها أو المحكم عن الكذب والاقتراف والهمزة فى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا) لإنكار التعجب والتعجيب منه (أَنْ أَوْحَيْنَآ) اسم كان وعجبا خبره واللام فى للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا (إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ) بأن أنذر أو هى مفسرة إذ الإيحاء فيه معنى القول (وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ) بأن لهم ومعنى اللام فى للناس أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منه والذى تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الأمور ليس بمعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضا لأن الله تعالى إنما يختار للنبوة من جمع أسبابها والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة

والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير وإضافتها إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة أو مقام صدق أو سبق السعادة (قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ) [إن هذا] الكتاب لسحر مدنى وبصرى وشامى. ومن قرأ لساحر فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين فى تسميته سحرا (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) أى استولى فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود (يُدَبِّرُ) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الْأَمْرَ) أى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السماوات والأرض والعرش. ولما ذكر مايدل على عظمته وملكه من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لايخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ) دليل على عزته وكبريائه (ذَٰلِكُمُ) العظيم الموصوف بما وصف به (اللَّهُ رَبُّكُمْ) وهو الذى يستحق العبادة (فَاعْبُدُوهُ) وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلا عن جماد لايضر ولاينفع (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجوب المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) حال أى لاترجعون فى العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع (وَعْدَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم (حَقًّا) مصدر مؤكد لقوله وعدالله (إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه (لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ)أى الحكمة بإبداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (بِالْقِسْطِ) بالعدل وهو متعلق بيجزى أى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم أى بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا إذ الشرك ظلم إن الشرك لظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلة قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) ولوجه كلامى (هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً) الياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكثرة ما قبلها وقلبها قنبل همزة لأنها للحركة أجل (وَالْقَمَرَ نُورًا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وَقَدَّرَهُۥ) وقدر القمر أى وقدر مسيره (مَنَازِلَ) أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ) أى عدد السنين والشهور فا كتفى

بالسنين لاشتمالها على الشهور (وَالْحِسَابَ) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (مَا خَلَقَ اللهُ ذَٰلِكَ) المذكور (إِلَّا) ملتبساً (بِالْحَقِّ) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) مكى وبصرى وحفص وبالنون غيرهم (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فينتفعون بالتأمل فيها (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر أو فى اختلاف لونيهما (وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الخلائق (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) خصهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى (وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لأن خبر إن (أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ) فأولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى إلى الثواب ولذا جعل (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) بيانا له وتفسيراً إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها أو يهديهم فى الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة ومنه الحديث «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال بإيمانهم ولم يضم إليه العمل الصالح (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) متعلق بتجرى أو حال من الأنهار (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أى دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك أى يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) أى يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو هى تحية الملائكة إياهم وأضيف المصدر إلى المفعول أو تحية الله لهم (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين أن مخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله رب العالمين والضمير

الشأن قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) لأميتوا وأهلكوا. لقضى إليهم أجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ) شركهم وضلالهم (يَعْمَهُونَ) يترددون ووجه اتصاله بما قبله أن قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى إليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم أى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ) أصابه والمراد به الكافر (الضُّرُّ دَعَانَا) أى دعا الله لإزالته (لِجَنبِهِ) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى (أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) عليه أى دعانا مضطجعا أو قاعداً أو قائماً فائدة ذكر هذه الأحوال أن معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها سواء كان مضطجعا عاجزاً عن النهوض أو قاعداً لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشى (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ) أزلنا ما به (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ) أى مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به والأصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التزيين (زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ) للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ) يا أهل مكة (لَمَّا ظَلَمُوا) أشركوا وهو ظرف لأهلكنا والواو فى (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفى يعنى أن السبب فى إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة فى إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كَذَٰلِكَ)

مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك (نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ) الخطاب للذين بعث إليهم محمد ﷺ أى استخلفناكم فى الأرض بعد القرون التى أهلكناها (لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) أى لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام «الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) حال (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا) لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان (ائْتِ بِقُرْءانٍ غَيْرِ هَٰذَا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أَوْ بَدِّلْهُ) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ) ما يحل لى (أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي) من قبل نفسى (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) لا أتبع إلا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لأن الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فأبدله (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي) بالتبديل من عند نفسى (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى يوم القيامة وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان وقد ظهر لهم العجز عنه إلا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى لقوله إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم وغرضهم فى هذا الاقتراح الكيد أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ) يعنى أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمرا عجيبا خارجاً عن العادات وهو أن يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على

كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التى لايعلمها إلا الله (وَلَآ أَدْرَٰكُم بِهِۦ) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦ) من قبل نزول القرآن أى فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولاقدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لامن مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى أنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء (أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ) بالقرآن فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر سواء (إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ) إن تركوا عبادتها (وَلَا يَنفَعُهُمْ) إن عبدوها (وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ) أى الأصنام (شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ) أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لايقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور (قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله (فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ) تأكيد لنفيه لأن مالم يوجد فيهما فهو معدوم (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) نزه ذاته عن أن يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلى وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم (وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (فَٱخْتَلَفُوا۟) فصاروا مللا (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) عاجلا (فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فيما اختلفوا فيه وليز الحق من البطل وسبق كلمته لحكمة وهى أن هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ) أى آية من الآيات التى اقترحوها (فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ) أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال

الآيات المقترحة لا غير (فَانتَظِرُوٓا) نزول ما اقترحتموه (إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ) أهل مكة (رَحْمَةً) خصبا وسعة (مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ) يعنى القحط والجوع (إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا) أى مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها . روى أنه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله ﷺ ويكيدونه فإذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهى للمفاجأة وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أى وإن تصبهم سيئة قنطوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وإنما قال (قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلت على ذلك كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن ينفسلوا رءوسهم من مس الضراء (إِنَّ رُسُلَنَا) يعنى الحفظة (يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) إعلام بأن ماتظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى (حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ) أى السفن (وَجَرَيْنَ) أى السفن (بِهِم) بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) لينة الهبوب لاعاصفة ولاضعيفة (وَفَرِحُوا بِهَا) بتلك الريح للينها واستقامتها (جَآءَتْهَا) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها (رِيحٌ عَاصِفٌ) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ) هو ماعلا على الماء (مِن كُلِّ مَكَانٍ) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحى مثلا فى الإهلاك (دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) من غير إشراك به لأنهم لايدعون حينئذ معه غيره يقولون (لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ) الأهوال أو من هذه الريح (لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء

بالإنجاء وجواب إذا جاءتها ويدعوا بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ) يفسدون فيها (بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) باطلا أى مبطلين (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم) أى ظلمكم يرجع إليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر لبغيكم. غيره بالرفع على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث «أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة» وروى «ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين» وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وعن محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر. قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومن نكث فإنما ينكث على نفسه (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فنخبركم به ونجازيكم عليه (إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ) من السحاب (فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ) بالماء (نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ) يعنى الحبوب والثمار والبقول (وَٱلْأَنْعَٰمُ) يعنى الحشيش (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه (وَٱزَّيَّنَتْ) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وَظَنَّ أَهْلُهَآ) أهل الأرض (أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا) فجعلناها زرعها (حَصِيدًا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كَأَن لَّمْ تَغْنَ) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لابد منه ليستقيم المعنى (بِٱلْأَمْسِ) هو مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فينتفعون بضرب الأمثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض

الإقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ماالتف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه وحكمة التشبيه التنبيه على أن الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما أن صفو الماء فى أعلى الإناء قال :

ألم تر أن العمر كأس سلافة فأوله صفو وآخر كدر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الأنس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الاسم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايله الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفراً فتغيب جثة فى الرمس كأن لم تغن بالأمس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث ، وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولابد من ترك مازاد كما لابد من أخذ الزاد وأخذ المال لايخلو من زلة، كما أن خائض الماء لاينجو من بلة وجمعه وإمساكه تلف صاحبه وإهلاكه فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز. والجواز إلى المفاز لايمكن إلا بقنطرة وهى الزكاة وعمارتها بذل الصلات فمتى اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام «الزكاة قنطرة الإسلام» وكذا المال يساعد الأوغاد دون الأمجاد كما أن الماء يجتمع فى الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع إلا بكد البخيل كما أن الماء لايجتمع إلا بسد المسيل ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء فى الكف (وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ) هى الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها أو السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما (وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ) ويوفق من يشاء (إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إلى الإسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا) آمنوا بالله ورسله (الْحُسْنَىٰ) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وَزِيَادَةٌ) رؤية الرب عز وجل كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الأشعرى وعبادة بن الصامت

رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر إلى الله تعالى وعن صهيب أن النبي ﷺ قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار -قال- فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال إنه حديث مدفوع مع أنه مرفوع قد أورده صاحب المصابيح فى الصحاح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان (وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ) ولا يغشى وجوههم (قَتَرٌ) غبرة فيها سواد (وَلَا ذِلَّةٌ) ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين كسبوا (السَّيِّئَاتِ) فنون الشرك (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدر بمثلها (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) ذل وهوان (مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ) من عقابه (مِنْ عَاصِمٍ) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعاً جمع قطعة وهو مفعول ثان لأغشيت. قِطْعاً مكى وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلماً صفة لقطع وعلى الأول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأن من الليل صفة لقطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) أى الكفار وغيرهم (جَمِيعًا) حال (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أَنتُمْ) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وَشُرَكَاؤُكُمْ) عطف عليه (فَزَيَّلْنَا) ففرقنا (بَيْنَهُمْ) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم) من عبدوه من دون الله من أولى العقل أو الأصنام ينطقها الله عز وجل (مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم وهو قوله ويوم نحشرهم

جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم إلى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أى كفى الله شهيدا وهو تمييز (إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هُنَالِكَ) فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ) تختبر وتذوق (مَّا أَسْلَفَتْ) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج: تعلم كل نفس ماقدمت. تتلو حمزة وعلى أى تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذى يهديه إلى طريق الجنة أوالنار أوتقرأ فى صحيفتها ماقدمت من خير أو شر كذا عن الأخفش (وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ) ربهم الصادق فى ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وضاع عنهم ما كانوا يدّعون أنهم شركاء لله أوبطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شىء (وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) فسيجيبونك عند سؤالك إن القادر على هذه هو الله (فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) الشرك فى العبودية إذ اعترفتم بالربوبية (فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ) أى من هذه قدرته هو الله (رَبُّكُمُ الْحَقُّ) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) أى لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الحق (حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) كلمات شامى ومدنى أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) بدل من الكلمة أى حق عليهم

انتفاء الإيمان أو حق عليهم كلمة الله أن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لايؤمنون تعليل أى لأنهم لايؤمنون (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) إنما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالإعادة لأنه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما على أن فيهم من يقر بالإعادة أو يحتمل إعادة غير البشر كإعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال والنبات (قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) أمر نبيه بأن ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لاتدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) يرشد إليه (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ) يقال هداه للحق وإلى الحق لجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلى أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لايهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش وبإشمام الهاء فتحة أبوعمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والأصل يهتدى وهى قراءة عبد الله فأدغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع مابعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى إلى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أولا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا ان ينقل أولا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ) فى قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله والمراد بالأكثر الجميع (إِلَّا ظَنًّا) بغير دليل وهو اقتداؤهم بأسلافهم ظنا منهم أنهم مصيبون (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ) وهو العلم (شَيْئًا) فى موضع المصدر أى إغناء (إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) من اتباع الظن وترك الحق (وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره وإعجازه مفترى (وَلَٰكِن) كان (تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ) وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ) بل أيقولون اختلقه (قُلْ) إن كان الأمر كما تزعمون (فَأْتُوا) أنتم على وجه الافتراء (بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية (وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ) أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أنه افتراء (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التكذيب (كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يعنى كفار الأمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يجربوا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ) بالنبى أو بالقرآن أى يصدق به فى

نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب (وَمِنْهُم مَّن لاَ يُؤْمِنُ بِهِ) لايصدق به ويشك فيه أويكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) بالمعاندين أو المصرين (وَإِن كَذَّبُوكَ) وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم (فَقُل لِّى عَمَلِى) جزاء عملى (وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) جزاء أعمالكم (أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) فكل مؤاخذ بعمله (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ) أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع فى صماخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الأمر (وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ) ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لايصدقون (أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ) أتحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقو كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ولكن الناس حمزة وعلى . أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) وبالياء حفص (كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهول ما يرون (يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة وكأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنهم. ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللهِ) على إرادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك أوهى شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم ويبعهم الإيمان بالكفر (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ماأخسرهم (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ) من العذاب (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ)

قبل عذابهم (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف أى وإما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة (ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على مايفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ) يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق (فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قُضِيَ بَيْنَهُم) بين النبى ومكذبيه (بِالْقِسْطِ) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بالقسط (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) لايعذب أحد بغير ذنبه ولما قال وإما نرينك بعض الذى نعدهم أى من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) أى وعد العذاب (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبى والمؤمنين (قُل) يامحمد (لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا) من مرض أو فقر (وَلَا نَفْعًا) من صحة أو غنى (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) استثناء منقطع أى ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لايتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ) الذى تستعجلونه (بَيَاتًا) نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لاتشعرون (أَوْ نَهَارًا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ) أى من العذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأى شىء تستعجلون منه وليس شىء منه يوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لأنه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو إن أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) العذاب (آمَنتُم بِهِ) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون

اعتراض والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (ءآلْئَنَ) على إرادة القول أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) أى بالعذاب تكذيباً واستهزاء. آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام نافع (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) أى الدوام (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) من الشرك والتكذيب (وَيَسْتَنبِئُونَكَ) ويستخبرونك فيقولون (أَحَقٌّ هُوَ) وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قُلْ) يامحمد (إِى وَرَبِّى) نعم والله (إِنَّهُ لَحَقٌّ) إن العذاب كائن لامحالة (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة (مَافِى الأَرْضِ) فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لاَفْتَدَتْ بِهِ) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) وأظهروها من قولهم أسر الشىء إذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الأمر فأسر من الأضداد (وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ) ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله بقوله (أَلآ إِنَّ لِلَّهِ مَافِى السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ) فكيف يقبل الفداء وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق بقوله (أَلآ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالثواب أو بالعذاب (حَقٌّ) كائن (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ هُوَ يُحْىِ وَيُمِيتُ) هو القادر على الاحياء والاماتة لايقدر عليهما غيره (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وإلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد. والموعظة التى تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما فى القرآن من الأوامر والنواهى داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب إذ الأمر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوباً وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى النهى (وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ) أى صدوركم من العقائد الفاسدة (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

لمن آمن به منكم (قُلْ) يا محمد (بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقدير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والإسلام فى الحديث « من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه » وقرأ الآية (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) وبالتاءشامى، فلتفرحوا يعقوب (قُلْ أَرَءَيْتُم) أخبرونى (مَّآ أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ) ما منصوب بأنزل أو بأرأيتم أى أخبرونيه (فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلاً) فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ماف بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا نعم الأرزاق تخرج من الأرض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تنبت الأرض النبات والشمس التى بها النضج وينع الثمار أضيف إنزالها إلى السماء (قُلْ ءَآللهُ أَذِنَ لَكُمْ) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه (أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) أم أنتم تكذبون على الله فى نسبة ذلك إليه أو الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد فى شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان وإلا فهو مفتر على الديان (وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) ينسبون ذلك إليه (يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أى أى شيء ظن المفترين فى ذلك اليوم مايصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره (إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) هذه النعمة ولا يتبعون ماهدوا إليه (وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ) ما نافية والخطاب للنبى ﷺ والشأن الأمر (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ) من التنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل (مِن قُرْءَانٍ) لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل (وَلَا تَعْمَلُونَ) أنتم جميعا (مِنْ عَمَلٍ) أى عمل (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) شاهدين رقباء

نحصى عليكم (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) تخوضون من أفاض فى الأمر إذا اندفع فيه (وَمَا يعزبُ عَن رَّبِّكَ) وما يبعد وما يغيب وبكسر الزاى على حيث كان (مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ) وزن نملة صغيرة (فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ) رفعهما حمزة على الابتداء والخبر (إِلاَّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الأرض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السماوات لأن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه أوهم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولاأموال يتعاطونها أوهم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) إذا خاف الناس (وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ) إذا حزن الناس (الَّذِينَ ءَامَنُوا) منصوب بإضمار أعنى أو لأنه صفة لأولياء أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين آمنوا (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك والمعاصى (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبى ﷺ «هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» وعنه عليه السلام «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة» وهذا لأن مدة الوحى ثلاث وعشرون سنة وكان فى ستة أشهر منها يؤمر فى النوم بالإنذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ أو هى محبة الناس له والذكر الحسن أولهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه فى الجنة (وَفِى الْأَخِرَةِ) هى الجنة (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللهِ) لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده (ذَٰلِكَ) إشارة إلى كونهم مبشرين فى الدارين (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب أن يقع بعده لاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت (وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وإبطال أمرك (إِنَّ الْعِزَّةَ) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل إن العزة (لِلَّهِ) إن الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منهما لاهم ولاغيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إنا لننصر رسلنا أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير إن العزة مقول الكفار (جَمِيعًا) حال (هُوَ السَّمِيعُ) لما يقولون (الْعَلِيمُ) بما يدبرون ويعزمون

عليه وهو مكافئهم بذلك (أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفى ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فاوراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَآءَ) ما نافية أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله فى الربوبية محال (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) إلا ظنهم أنهم شركاء الله (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يحزرون ويقدّرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شىء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدها للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع مذكر معتبر (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء (هُوَ الْغَنِيُّ) علة لنفى الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل أمارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولأن الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج إلى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد (لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا ولا تجتمع النبوة معه (إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بإضافة الولد إليه (لَا يُفْلِحُونَ) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (مَتَٰعٌ فِي الدُّنْيَا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى ﷺ بالتظاهر به (ثُمَّ إِلَيْنَا

مَّرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ) المخلد (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بكفرهم (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ) واقرأ عليهم (نَبَأَ نُوحٍ) خبره مع قومه والوقف عليه لازم إذ لو وصل لصار إذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم) عظم وثقل كقوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (مَّقَامِى) مكانى يعنى نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أى خاف ربه أوقيامى ومكثى بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاما أومقامى (وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ) لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ) أى فوضت أمرى إليه (فَأَجْمِعُوٓا أَمْرَكُمْ) من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه (وَشُرَكَآءَكُمْ) الواو بمعنى مع أى فأجمعوا أمركم مع شركائكم (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) أى غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أوملتبسا فى خفية والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنه الحديث «لاغمة فى فرائض الله» أى لاتستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به (ثُمَّ ٱقْضُوٓا إِلَىَّ) ذلك الأمر الذى تريدون بى أى أدوا إلى ماهو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم (وَلَا تُنظِرُونِ) ولا تمهلونى (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ) فإن أعرضتم عن تذكيرى ونصحى (فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ) فأوجب التولى أوفما سألتكم من أجر ففاتنى ذلك بتوليكم (إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة أى مانصحتكم إلا لله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدينى (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) من المستسلمين لأوامره ونواهيه إن أجرى بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (فَكَذَّبُوهُ) فداموا على تكذيبه (فَنَجَّيْنَٰهُ) من الغرق (وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ) فى السفينة (وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ) يخلفون الهالكين بالغرق (وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله ﷺ عن مثله وتسلية له (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ) من بعد نوح عليه السلام (رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ) أى هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا (فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) فأصروا على الكفر بعد المجىء (بِمَا كَذَّبُوا بِهِۦ

مِن قَبْلُ) من قبل مجيئهم يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ) من ذلك الطبع نختم (عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم) من بعد الرسل (مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِآيَاتِنَا) بالآيات التسع (فَاسْتَكْبَرُوا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها (وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله (قَالُوا) لحبهم الشهوات (إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر (قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) هو إنكار ومقولهم محذوف أى هذا سحر ثم استأنف إنكارا آخر فقال (أَسِحْرٌ هَٰذَا) خبر ومبتدأ (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) أى لا يظفر (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) لتصرفنا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ) أى الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) بمصدقين فيما جئتما به ويكون حاد ويحيي (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) سحار حمزة وعلى (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ) ما موصولة واقعة مبتدأ أو جئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله . آلسحر بعد وقف أبو عمرو على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شيء جئتم به أهو السحر (إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) يظهر بطلانه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) لا يثبته بل يدمره (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ) ويثبته (بِكَلِمَاتِهِ) بأوامره وقضاياه أو يظهر الإسلام بعداته بالنصرة (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ذلك (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ) فى أول أوامره (إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ) إلا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف أو الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته والضمير فى (وَمَلَإِيْهِمْ) يرجع إلى

فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أولأنه ذو أصحاب يأتمرون له أو إلى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى اسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (أَن يَفْتِنَهُمْ) يريد أن يعذبهم فرعون (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ) لغالب فيها قاهر (وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبية (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ) صدقتم به وبآياته (فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) فإليه أسندوا أمركم فى العصمة من فرعون (إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) شرط فى التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أى يجعلوها له سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لاجرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أى يضلوننا والفاتن المضل عن الحق (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) أى من تعذيبهم وتسخيرهم (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقوله توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا فى أول الأمر مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الإسلام بمكة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) فى بيوتكم حتى تأمنوا (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض إلى الأنبياء ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً) هو مايتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وَأَمْوَالًا) أى نقدا ونعما وضيعة (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى ولاوقف على الدنيا لأن قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار. الأول للإلحاح

فى التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله إذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله إنما نملى لهم ليزدادوا إثما فتكون الآية حجة على المعتزلة (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَالِهِمْ) أى أهلكها وأذهب آثارها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئاتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فَلَا يُؤْمِنُوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) إلى أن يروا العذاب الأليم وكان كذلك فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل وإنما دعا عليهم بهذا لما أيس من إيمانهم وعلم بالوحى أنهم لا يؤمنون فأما قبل أن يعلم بأنهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا (قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمّن فثبت أن التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى أن دعاء كما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن فى وقته (فَاسْتَقِيمَا) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ (وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة. ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم لأن النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو إخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وَجَاوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ) هو دليلنا على خلق الأفعال (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته (بَغْيًا) تطاولا (وَعَدْوًا) ظلما وانتصبا على الحال أو على المفعول له (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) ولا وقف عليه لأن (قَالَ ءَامَنتُ) جواب إذا (أَنَّهُ) إنه حمزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الإيمان (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (ءَآلْـَٔـٰنَ) أتؤمن

الساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن (وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ) من الضالين المضلين عن الإيمان روى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه (فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ) نلقيك بنجوة من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور (بِبَدَنِكَ) فى موضع الحال أى الحال التى لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شىء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بأبدانك وهو مثل قولهم هو بأجرامه أى ببدنك كله وافيا بأجزائه أو بدروعك لأنه ظاهر بينها (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان فى أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وأن ما كان يدعيه من الربوبية محال وأنه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) منزلا صالحا مرضياً وهو مصر والشام (وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا) فى دينهم (حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ) أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد ﷺ فى تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم فى صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يميز المحق من المبطل ويجزى كلا جزاءه (فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ) لما قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن

أمر رسـول الله ﷺ مكتوب فى التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ﷺ ويبالغ فى ذلك فقال فإن وقع لك شـك فرضاوتقديرا ـ وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته أوبمباحثة العلماء ـ فسل علماء أهل الكتاب فإنهم من الاحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال (لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ماأتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أوهو على طريقة التهييج والإلهاب كقوله: فلا تكونن ظهيرا للكافرين. ولايصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك. ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله «لاأشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق» أوخوطب رسول الله ﷺ والمراد أمته أى وإن كنتم فى شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورامبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذاعز أخوك فهن أوإن للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل أى لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى. فإن قلت إنما يجىء إن للنفى إذا كان بعده إلا كقوله: إن الكافرون إلا فى غرور. قلت ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله إن أمسكهما من أحد من بعده فإن للنفى وليس بعده إلا (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا أو قوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لَا يُؤْمِنُونَ) لأن (وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ) تتعلق بما قبلها (حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) أى عند اليأس فيؤمنون ولاينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بحتفه (فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ) بأن تقبل الله إيمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ)

استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أومتصل والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) إلى آجالهم . روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرّقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم إلى بعض وأظهروا الإيمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا ياحى حين لاحى وياحى محي الموتى وياحى لا إله إلا أنت فقالوها فكشف الله عنهم. وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ) على وجه الإحاطة والشمول (جَمِيعًا) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لايختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لوشاء لآمن من فى الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به، وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والإلجاء أى لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ـ أى ليس إليك مشيئة الاكراه والجبر فى الايمان إنما ذلك إلىّ ـ فاسد لأن الايمان فعل العبد وفعله مايحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا أن لله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام فى أفأنت بمعنى النفى أى لا تملك أنت يامحمد أن تكرههم على الايمان لأنه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه (وَيَجْعَلُ

الرِّجْسَ) أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان (عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) لا ينتفعون بعقولهم، ونجعل حماد ويحي (قُلِ انظُرُوا) نظر استدلال واعتبار (مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وَمَا تُغْنِي الْآيَٰتُ) مانافية (وَالنُّذُرُ) والرسل المنذورون أو الانذارات (عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ) يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجى رسلنا على حكاية الأحوال الماضية (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) ومن آمن معهم (كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) أى مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى حق ذلك علينا حقا . ننجى بالتخفيف على وحفص (قُلْ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ) يا أهل مكة (إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي) وصحته وسداده فهذادينى فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال ((فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ) يميتكم وصفه بالتوفى ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون مالا يقدر على شىء (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أى بأن أكون يعنى أن الله أمرنى بذلك بما ركب فىّ من العقل وبما أوحى إلىّ فى كتابه (وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) أى وأوحى إلىّ أن أقم ليشا كل قوله أى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله أو استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا (حَنِيفًا) حال من الدين أو الوجه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ) إن دعوته (وَلَا يَضُرُّكَ) إن خذلته (فَإِن فَعَلْتَ) فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا (فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّٰلِمِينَ) إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ) يصبك (بِضُرٍّ) مرض (فَلَا كَاشِفَ لَهُ) لذلك الضر (إِلَّا هُوَ) إلا الله (وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ) عافيـة (فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) فلا راد لمراده

(يُصِيبُ بِهِ) بالخير (مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه (وَهُوَ الْغَفُورُ) المكفر بالبلاء (الرَّحِيمُ) المعافى بالعطاء أتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله هو الضار النافع الذى إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذا إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان وهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وإنما ذكر المس فى أحدهما والإرادة فى الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين الإرادة والإصابة فى كل واحد من الضر والخير وأنه لاراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله يصيب به من يشاء من عباده (قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ) يا أهل مكة (قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ) القرآن أو الرسول (مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ) اختار الهدى واتبع الحق (فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) فما نفع باختياره إلا لنفسه (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) بحفيظ موكول إلى أمركم إنما أنا بشير ونذير (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ) على تكذيبهم وإيذائهم (حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ) لأنه المطلع على السرائر فلا يحتاج إلى بينة وشهود .

﴿ سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓر كِتَـٰبٌ) أى هذا كتاب فهو خبر مبتدإ محذوف (أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ) صفة له أى نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثُمَّ فُصِّلَتْ) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو

فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة أوفصل فيها مايحتاج إليه العباد أى بين ولخص وليس معنى ثم التراخى فى الوقت ولكن فى الحال (مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعدخبر أوصلة لأحكمت وفصلت أى من عنده أحكامها وتفصيلها (أَلاَّ تَعْبُدُوآ إِلاَّ اللّهَ) مفعول له أى لئلاتعبدوا أوأن مفسرة لأن فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لاتعبدوا إلاالله أو أمركم أن لاتعبدوا إلاالله (إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) أى من الله (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثُمَّ تُوبُوآ إِلَيْهِ) أى استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة (يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا) يطوّل نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى أن يتوفاكم (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ) ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيئا (وَإِن تَوَلَّوْا) وإن تتولوا (فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) هو يوم القيامة(إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ) رجوعكم (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فكان قادراً على إعادتكم (أَلآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يزورّون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشىء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) ليطلبوا الخفاء من الله فلايطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم (أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يتغطون بها أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) أى لا تفاوت فى علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلاوجه لتوصلهم إلى مايريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده قيل نزلت فى المنافقين (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) تفضلا لا وجوبا (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) مكانه من الأرض ومسكنه (وَمُسْتَوْدَعَهَا) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) وما بينهما (فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) من الأحد إلى الجمعة تعليما للتأنى (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ) أى فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض

إلاالماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانامخلوقين قبل خلق السموات والأرض قيل بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفى وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لأهل الأفكار (لِيَبْلُوَكُمْ) أى خلق السموات والأرض ومابينهما للمتحن فيهماولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) أكثر شكرا وعنه عليه السلام «أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه» ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار مافيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (إِلَىٰ أُمَّةٍ) إلى جماعة من الأوقات (مَّعْدُودَةٍ) معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم (لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ) مايمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ) العذاب (لَيْسَ) العذاب (مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وَحَاقَ بِهِم) وأحاط بهم (مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ) هو للجنس (مِنَّا رَحْمَةً) نعمة من صحة وأمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (إِنَّهُ لَيَئُوسٌ) شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كَفُورٌ) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نسّاء له (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) أى المصائب التى ساءتنى (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) أشر بطر (فَخُورٌ) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا) فى المحنة والبلاء (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وشكروا فى النعمة

والرخاء (أُوْلَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ) لذنوبهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أوجاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول ﷺ أن يلقى إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ) أى لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ) بأن تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان أفسح الناس صدراً ولأنه أشكل بتارك (أَن يَقُولُوا) مخافة أن يقولوا (لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه (إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ) أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك أن ردوا أو تهاونوا (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أَمْ يَقُولُونَ) أم منقطعة (ٱفْتَرَىٰهُ) الضمير لما يوحى إليك (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحوما أكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال اقتصرت منك على سطر واحد (مِّثْلِهِۦ) فى الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منها له (مُفْتَرَيَٰتٍ) صفة لعشر سور. لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ) إلى المعاونة على المعارضة (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أنه مفترى (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أى أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل

لأن الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ أو لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يحدثونهم أو لأن الخطاب للمشركين والضمير في فإن لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي بإذنه أو بأمره (فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو مايرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) وحبط فى الآخرة ماصنعوه أو صنيعهم أى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا (وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لأنه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لاثواب له (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى أن بين الفريقين تباينا بينا وأرادبهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أى على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام وهو دليل العقل (وَيَتْلُوهُ) ويتبع ذلك البرهان (شَاهِدٌ) يشهد بصحته وهو القرآن (مِّنْهُ) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا (وَمِن قَبْلِهِ) ومن قبل القرآن (كِتَٰبُ مُوسَىٰ) وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (إِمَامًا) كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (وَرَحْمَةً) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم وهما حالان (أُوْلَٰئِكَ) أى من كان على بينة (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ) بالقرآن (مِنَ الْأَحْزَابِ) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله ﷺ (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) مصيره ومورده (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِّنْهُ) من القرآن أو من الموعد (إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ

عَلَىٰ رَبِّهِمْ) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم (وَيَقُولُ الْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ) ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ) الكاذبين على ربهم والأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) يصرفون الناس عن دينه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد (وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ) هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا) أى ما كانوا (مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ) بمعجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد (يُضَٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) لأنهم أضلوا الناس عن دين الله. يضعّف مكى وشامى (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) أى استماع الحق (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) الحق (أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وَضَلَّ عَنْهُم) وبطل عنهم وضاع مااشتروه وهو (مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من الآلهة وشفاعتها (لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) بالصد والصدود وفى لاجرم أقوال أحدها أن لا رد لكلام سابق أى ليس الأمر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وأنهم فى الآخرة فى محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم فى الآخرة وثانيها أن لاجرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقاً وأن فى موضع رفع بأنه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها أن معناه لامحالة (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الأرض المطمئنة (أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هَلْ يَسْتَوِيَانِ) يعنى الفريقين (مَثَلًا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فتنتفعون بضرب المثل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أى بأنى والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إنى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به

الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وبكسر الألف شامى ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول (أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير (إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الألم فيه (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ) يريد الأشراف لأنهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أبهة أولأنهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة (مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا) أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا أو ملكا (وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) أخساءنا جمع الأرذل (بَادِىَ) وبالهمزة أبو عمرو (الرَّأْىِ) وبغير همز أبو عمرو أى اتبعوك ظاهر الرأى أو أول الرأى من بدا يبدو إذا أظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمّين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ) فى مال ورأى عنوا نوحاً وأتباعه (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) أى نوحاً فى الدعوة ومتبعيه فى الإجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والإجابة تسبيباً للرياسة (قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ) أخبرونى (إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) برهان (مِّن رَّبِّى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ) يعنى النبوة (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) فعميت أى خفيت. فعُمِّيت حمزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كالو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) أى الرحمة (وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ) لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن أبى عمرو اسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا وهو لحن لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا فى ضرورة الشعر (وَيَٰقَوْمِ لَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله إنى لكم نذير (مَالًا) أجراً يثقل عليكم إن أديتم أو علىّ إن أبيتم (إِنْ أَجْرِىَ)

مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوآ) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم (إِنَّهُم مُّلَقُوا رَبِّهِمْ) فيشكوننى إليه إن طردتهم (وَلَكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم (وَيَقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ) من يمنعنى من انتقامه (إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ) تتعظون (وَلآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللهِ) فأدعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل (وَلآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) حتى أطلع على ما فى نفوس أتباعى وضمائر قلوبهم وهو معطوف على عندى خزائن الله أى لا أقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (وَلآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ) حتى تقولوا إلى ما أنت إلا بشر مثلنا (وَلآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ) ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم (لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا) فى الدنيا والآخرة لهوانه عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ) من صدق الاعتقاد وإنما على قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطلع على خفى أسرارهم (إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ الظَّلِمِينَ) إن قلت شيئا من ذلك. والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وأصله تزترى فأبدلت التاء دالا (قَالُوا يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا) خاصمتنا (فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من العذاب (إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ) فى وعدك (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِن شَآءَ) أى ليس الإتيان بالعذاب إلىّ وإنما هو إلى من كفرتم به (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) أى لم تقدروا على الهرب منه (وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ) هو إعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى. ولكنى إنى نصحى مدنى وأبو عمرو (إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف . تقديره إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا فى إرادة المعاصى (هُوَ رَبُّكُمْ) فيتصرف فيكم على قضية إرادته (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازيكم على أعمالكم (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ) بل أيقولون افتراه (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى) أى إن صح أنى افتريته فعلى عقوبة إجرامى أى افترائى يقال أجرم الرجل إذا أذنب (وَأَنَا بَرِىٓءٌ) أى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مِمَّا تُجْرِمُونَ) من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلى فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم (وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن

قَدْ ءَامَنَ) إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للإيمان حكم التجدد كأنه قال إن الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الإيمان بالقرآن (فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه من أن يزيغ فى صنعته عن الصواب (وَوَحْيِنَا) وأنا نوحى إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير (وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) حكاية حال ماضية (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) من عمله السفينة وكان يعملها فى برية فى أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يانوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ) عند رؤية الهلاك (كَمَا تَسْخَرُونَ) منا عند رؤية الفلك روى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفا ومائتى ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب نوح ومن معه فى البطن الأعلى مع مايحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ) من فى محل نصب بتعلمون أى فسوف تعلمون الذى يأتيه (عَذَابٌ يُخْزِيهِ) ويعنى به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) وينزل عليه (عَذَابٌ مُّقِيمٌ) وهو عذاب الآخرة (حَتَّىٰ) هى التى يبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهى غاية لقوله ويصنع الفلك أى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد ومابينهما من الكلام حال من يصنع أى يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخروا بدل من مر أو صفة للملأ (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا)

عذابنا (وَفَارَ التَّنُّورُ) هو كناية عن اشتداء الأمر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الأرض (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) فى السفينة (مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) تفسيره فى سورة المؤمنين (وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) عطف على اثنين وكذا (وَمَنْ ءَامَنَ) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وماسبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وإرادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ماأراد (وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) قال عليه السلام «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم» وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجـوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غـير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى باسم الله إجراؤها وإرساؤها وكان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم فرست. مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى إما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتـح الراء (إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ) لمن آمن منهم (رَّحِيمٌ) حيث خلصهم (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيـل فركبوا فيها يقولون بسم وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو مايرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبـل فى تراكمها وارتفاعها (وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ) كنعان وقيل يام والجمهور على أنه ابنه الصلبى وقيل كان ابن امرأته (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه (يَابُنَيَّ) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك يابنيا. غيره بكسر الياء اقتصارا عليه

من ياء الاضافة (ارْكَبْ مَعَنَا) فى السفينة أى أسلم واركب (وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي) الجأ(إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) يمنعنى من الغرق (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ) إلا الراحم وهو الله تعالى أولا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أى إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لايعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم إلا اتباع الظن (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) فصار أو فكان فى علم الله (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) أنشفى وتشربى، والبلع: النشف (وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي) أمسكى (وَغِيضَ الْمَاءُ) نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومتعد (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) وأنجز ما وعد الله نوحا من إهلاك قومه (وَاسْتَوَتْ) واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر (عَلَى الْجُودِيِّ) وهو جبل بالموصل (وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبَعَدًا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء * والنظر فى هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فى فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول إن الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد وأن نقطع طوفان السماء فانقطع وأن نغيض الماء النازل من السماء فغيض وأن نقضى أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى وأن نسوى السفينة على الجودى فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالأمر الذى لايتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود تصويراً لاقتداره العظيم وأن السماوات والأرض منقادة لتكوينه فيها مايشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو ياأرض وياسماء ثم قال مخاطباً

لها يا أرض وياسماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع
الذى هو أعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفى ثم استعار الماء للغذاء
تشبيهاً له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء فى الإنبات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك بإضافة
الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس
المطر الإقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى
الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا ولم يصرح بمن أغاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوى
السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض وياسماء سلوكا فى كل واحد من ذلك لسبيل
الكناية وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن
فاعلها واحد لايشارك فى فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك وياسماء
أقلعى ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى
مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلما لأنفسهم إظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد
ما كان إلا لظلمهم * ومن جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم
وتأخير فيما بين جملها وذلك أنه اختير يا دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على
بعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزة والجبروت وهو تبعيد
المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعى القرب ولم يقل
يا أيتها الأرض للاختصار واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلعى
على ابتلعى لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين أقلعى وقيل أقلعى ولم يقل عن المطر وكذا
لم يقل يا أرض ابلعى ماءك فبلعت وياسماء أقلعى فأقلعت اختصاراً واختير غيض على غيّض
وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والأمر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء
بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء
الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم إرادة للمطابقة ثم قيل بعداً للقوم ولم يقل
ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم وأما من حيث
النظر إلى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الأمر فقيل ياأرض ابلعى وياسماء أقلعى ولم يقل
ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم

التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ماهو المقصود وهو قوله وقضى الأمر أى أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى الفلك وعلى هذا فاعتبر * ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لاتعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد * ومن جهة الفصاحة اللفظية فألفاظها على ماترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الأسلات كل منها كالماء فى السلاسة وكالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ) نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع مابعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) أى بعض أهلى لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيباً له فهو بعض أهله (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لاشك فى إنجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فما بال ولدى (وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) اى أعلم الحكام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك وإن كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها : * فإنما هى إقبال وإدبار أو التقدير إنه ذو عمل وفيه إشعار بأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته. عمل غير صالح على قال الشيخ أبومنصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه كان ينافق وإلا لا يحتمل أن يقول ابنى

من أهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (فَلَا تَسْئَلْنِ) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألنّي مدني تسألَنَّ شامي بحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألنَّ مكي (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) بجواز مسئلته (إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) هو كما نهي رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي) ما فرط مني (وَتَرْحَمْنِي) بالعصمة عن العود إلى مثله (أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا) بتحية منا أو سلامة من الغرق (وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ) من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم أو لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه (وَأُمَمٌ) رفع بالابتداء (سَنُمَتِّعُهُمْ) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن ممن معك يدل عليه (ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي في الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون ممن معك. وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد ابن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تِلْكَ) إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي (مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ) أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك (مِن قَبْلِ هَٰذَا) الوقت أو من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها (فَاصْبِرْ) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما

صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ) فى الفوز والنصر والغلبة (لِلْمُتَّقِينَ) عن الشرك (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحاً أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم (هُودًا) عطف بيان (قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ) وحدوه (مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء (يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ) مامن رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا حسم المطامع ومادام يتوهم شىء منها لم تنجع ولم تنفع (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) إذ تردون نصيحة من لايطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شىء أنفى للتهمة من ذلك (وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) آمنوا به (ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ) من عبادة غيره (يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ) أى المطر (عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) حال أى كثير الدور (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ) إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شىء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه إنى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئاً لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود: ويزدكم قوة إلى قوتكم، وقول نوح: ويمددكم بأموال وبنين (وَلَا تَتَوَلَّوْا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعو إليه (مُجْرِمِينَ) مصرين على إجرامكم وآثامكم (قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله ﷺ لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ

بِمُؤْمِنِينَ) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيا يدعوهم إليه اقناطا له من الإجابة (إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ) إن حرف نفى فنفى جميع القول إلا قولا واحداً وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقدير مانقول قولا إلا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ) أى من إشراككم آلهة من دونه والمعنى إنى أشهد الله أنى برىء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا إنى برىء من ذلك وجىء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (فَكِيدُونِي جَمِيعاً) أنتم وآلهتكم (ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ) لاتمهلون فإنى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتكم وما هى إلا جماد لايضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) أى مالكها ، ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بالناصية تمثيل لذلك (إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إن ربى على الحق لايعدل عنه أو إن ربى يدل على صراط مستقيم (فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ) هو فى موضع فقد ثبتت الحجة عليكم (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ) كلام مستأنف اى ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم (وَلَا تَضُرُّونَهُ) بتوليكم (شَيْئًا) من ضرر قط إذ لا يجوز عليه المضار وإنما تضرون أنفسكم (إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) وكانوا أربعة آلاف (بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) أى بفضل منا لا بعملهم أو بالإيمان الذى أنعمنا عليهم (وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) وتكرار نجينا للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولاعذاب أغلظ منه (وَتِلْكَ عَادٌ) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: سيحوا فى الأرض

فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جَحَدُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ) لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله (وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وَأُتْبِعُوا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين (أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ) تكرار الامع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له (قَوْمِ هُودٍ) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لأن عادا عادان الأولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) لم ينشئكم منها إلا هو وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها أو استعمركم من العمر أى أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبى من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى (فَاسْتَغْفِرُوهُ) فاسألوه مغفرته بالإيمان (ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ) دانى الرحمة (مُّجِيبٌ) لمن دعاه (قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا) فيما بيننا (مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ) للسيادة والمشاورة فى الأمور أو كنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا) حكاية حال ماضية (وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ) من التوحيد (مُرِيبٍ) موقع فى الريبة من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً) نبوة أتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أنى على بينة من ربى وأننى نبى على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره (فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ اللَّهِ) فمن يمنعنى من عذاب الله (إِنْ عَصَيْتُهُ) فى تبليغ رسالته ومنعكم عن

عبادة الأوثان (فَمَا تَزِيدُونَنِي) بقولكم : أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غَيْرَ تَخْسِيرٍ) بنسبتكم إياى إلى الخسار أو بنسبتى إياكم إلى الخسران (وَيَقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً) نصب على الحال قد عمل فيها مادل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ) أى ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ) عقر أو نحر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) عاجل (فَعَقَرُوهَا) يوم الأربعاء (فَقَالَ) صالح (تَمَتَّعُوا) استمتعوا بالعيش (فِي دَارِكُمْ) فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف أو فى دار الدنيا (ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) أى غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمعقول (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا) بالعذاب أو عذابنا (نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) قال الشيخ رحمه الله : هذا يدل على أن من نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله» (وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ) بإضافة الخزى إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة. وبفتحها مدنى وعلى لأنه مضاف إلى إذ وهو مبنى وظروف الزمان إذا أضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزى يومئذ أى من ذله وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ) القادر على تنجية أوليائه (الْعَزِيزُ) الغالب بإهلاك أعدائه (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) أى صيحة جبريل عليه السلام (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ) منازلهم (جَٰثِمِينَ) ميتين (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ) لم يقيموا فيها (أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ثمود حمزة وحفص (أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ) لثمود على فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ) جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ) هى البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأول أظهر (قَالُوا سَلَٰمًا) سلمنا عليك سلاما (قَالَ سَلَٰمٌ) أمركم سلام . سلم

حمزة وعلى بمعنى السلام (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَآءَ بِعِجْلٍ) فالبث فى المجىء به بل عجل فيه أو فالبث عجيئه، والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر (حَنِيذٍ) مشوى بالحجارة المحماة (فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) نكر وأنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه إذامس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلاخافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أى أضمر منهم خوفا (قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ) بالعذاب وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ) وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رءوسهم تخدمهم (فَضَحِكَتْ) سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو حاضت (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ) وخصت بالبشارة لأن النساء أعظم سروراً بالولد من الرجال ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل (وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ) ومن بعده (يَعْقُوبَ) بالنصب شامى وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها بإسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء إسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ) الألف مبدلة من ياء الإضافة وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الأصل (ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) ابنة تسعين سنة (وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا) ابن مائة وعشرين سنة، هذا مبتدأ وبعلى خبره وشيخاً حال والعامل معنى الإشارة التى دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذى دل عليه هذا (إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قدرته وحكمته وإنما أنكرت الملائكة تعجبها لأنها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها مايزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم. وقيل الرحمة: النبوة، والبركات الأسباط من بنى إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم

وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (إِنَّهُ حَمِيدٌ) محمود بتعجيل النعم (مَجِيدٌ) ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وَجَآءَتْهُ الْبُشْرَىٰ) بالولد (يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملىء سروراً بسبب البشرى فزع للمجادلة. وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما وإنما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا: لا، قال فأربعون قالوا: لا، قال فثلاثون قالوا: لا حتى بلغ العشرة قالوا: لا، قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ) غير عجول على كل من أساء إليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه، صفوح عمن عصاه (أَوَّٰهٌ) كثير التأوه من خوف الله (مُّنِيبٌ) تائب راجع إلى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه فقالت الملائكة (يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك (إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ) قضاؤه وحكمه (وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وإنهم يأتيهم ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا) لما أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم (سِيٓءَ بِهِمْ) أحزن لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد روى أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها (وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون

مجاهرين لا يكفهم حياء (قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى) فتزوجوهن أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا فى ذلك الوقت كما جاز فى الابتداء فى هذه الأمة فقد زوج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتى عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المبتدأ أو بناتى خبر وهن أطهر مبتدأ وخبر (فَاتَّقُوا اللَّهَ) بإيثارهن عليهم (وَلَا تُخْزُونِ) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء وبالياء أبو عمرو فى الوصل (فِى ضَيْفِى) فى حق ضيوف فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) أى رجل واحد يهتدى إلى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) حاجة لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا إتيان الذكران (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة (قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) جواب لو محذوف أى لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت إلى قوى أستند إليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته. روى أنه أغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادّهم ماحكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب (قَالُوا يَٰلُوطُ) إن ركنك لشديد (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لايعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون: النجاء، النجاء فإن فى بيت لوط قوماً سحرة (لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ) جملة موضحة للتى قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره (فَأَسْرِ) ـفاسرـ بالوصل حجازى من سرى (بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ) طائفة منه أو نصفه (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ) بقلبه إلى ماخلف أو لاينظر إلى ماوراءه أو لايتخلف منكم أحد (إِلَّا امْرَأَتَكَ) مستثنى من فأسر بأهلك . وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفى إخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لايلتفت منهم أحد إلا هى فلما سمعت هدّة العذاب

التفتت وقالت ياقوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ) أى إن الأمر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا) جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها أى أسفل قراها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) هى كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين (مَّنضُودٍ) نعت لسجيل أى متتابع أو مجموع معد للعذاب (مُّسَوَّمَةً) نعت للحجارة أى معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (عِندَ رَبِّكَ) فى خزائنه أو فى حكمه (وَمَا هِىَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ)بشىء بعيد وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلا وهو بمرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة أو الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن ابراهيم أى وأرسلنا شعيباً إلى ساكنى مدين أو إلى بنى مدين (قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ) أى المكيل بالمكيال (وَالْمِيزَانَ) والموزون بالميزان (إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أوأراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ماتفعلون (وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة (وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) أتموهما (بِالْقِسْطِ) بالعدل نهوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول لزيادة الترغيب فيه وجىء به مقيدا بالقسط أى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ) البخس: النقص كانوا ينقصون من أثمان مايشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك (وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) العثى والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم فى الأرض (بَقِيَّتُ اللَّهِ) ما يبقى

لـكم من الحلال بعد التنزه عما هوحرام عليكم (خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) بشرط أن تؤمنوا. ثم بقية الله خير للـكفرة أيضا لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف إلا أن فائدتها تظـهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها فى غمرات الـكفر وفى ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه أوالمراد إن كنتم مصدقين لى فيما أقول لـكم وأنصح به إياكم (وَمَآ أَنَا عَلَيْـكُم بِحَفِيظٍ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس (قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ) وبالتوحيد كوفى غيرأبى بكر (تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ماتستفيد بهذا فـكان يقول: إنها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا على وجـه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو أن نترك التبسط فى أموالنا مانشاء من إيفاء ونقص وجاز أن تـكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهيـة مجازا (إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ) أى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء أوإنك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا مايقتضيه حالك (قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْـهُ) من لدنه (رِزْقًا حَسَنًا) يعنى النبوة والرسالة أو مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف أى أخبرونى إن كنت على حجة واضحة من ربى وكنت نبيا على الحقيقة أيصـح لى أن لا آمركم بترك عبادةالأوثان والـكف عن المعاصى، والأنبياء لايبعثون إلالذلك. يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه إذا ولى عنـه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليـه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله (وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَـكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَـٰكُمْ عَنْهُ) يعنى أن أسبقـكم إلى شهواتـكم التى نهيتكم عنها لأستبد بها دونـكم (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ) ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر (مَا ٱسْتَطَعْتُ) ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا (وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ) وما كونى موفقاً لإصابة الحق فيما آتى وأذر إلا بمعونته وتأييده (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) اعتمدت (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع فى السراء والضراء. جرم مثل كسب

فى تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين ومنه قوله (وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم) أى لا يكسبنكم خلافى إصابة العذاب (مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ) وهو الغرق والريح والرجفة (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ) فى الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أو فى المكان فمنازلهم قريبة منكم أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى. وسُوِّىَ فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوها (وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ) يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين (وَدُودٌ) يحب أهل الوفاء من الصالحين (قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ) أى لا نفهم صحة ما تقول وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء (وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ) ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك (قَالَ) فى جوابهم (يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وإنما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفى رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه لأن تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا) ونسيتموه وجعلتموه كالشىء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة إلى الأمس أمسى (إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شىء منها (وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكن من الشىء يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (إِنِّى عَٰمِلٌ) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى

(سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعوا كم وادخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هوجواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذاعملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والإتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وَارْتَقِبُوا) وانتظروا العاقبة وماأقول لكم (إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)منتظر، والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وإنما ذكر فى آخر قصة عاد ومدين ولماجاء وفى آخر قصة ثمود ولوط فلماجاء لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله: إن موعدهم الصبح. ذلك وعد غيرمكذوب، فجىء بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) الجاثم اللازم لمكانه لايريم يعنى أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين (أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألاترى إلى قوله (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وقرئ كما بعُدت والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) المراد به العصا لأنها أبهرها (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا) أى الملأ (أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) هو تجهيل لتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لايأتى إلا من شيطان ومثله بمعزل عن الألوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس فى أمره رشد قط أو المراد

وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وإيضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل مايحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل مايذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) أدخلهم وجىء بلفظ الماضى لأن الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه (وَبِئْسَ الْوِرْدُ) المورد و (الْمَوْرُودُ) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قال: وبئس الورد المورود الذى يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ) أى الدنيا(لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى(ذَٰلِكَ) مبتدأ (مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ) خبر (نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (مِنْهَا) من القرى (قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) أى بعضها باق وبعضها عافى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد والجملة مستأنفة لامحل لها من الإعراب(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بهلاكنا إياهم(وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) بارتكاب مابه أهلكوا (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (الَّتِي يَدْعُونَ) يعبدون وهى حكاية حال ماضية (مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه فى الخسران يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيئاً بل أهلكتهم(وَكَذَٰلِكَ)محل الكاف الرفع أى ومثل ذلك الأخذ(أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ)أى أهلها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ)حال من القرى(إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة (لَآيَةً) لعبرة (لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ) أى اعتقد صحته ووجوده (ذَٰلِكَ) إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه (يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس وإنما آثر اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم. وإنه أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ)

أى مشهود فيه فاتسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وَمَا نُؤَخِّرُهُ) أى اليوم المذكور. الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله وما نؤخره (إِلاَّ لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ) إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم إلا لتنتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا (يَوْمَ يَأْتِ) وبالياء مكى وافقه أبو عمرو ونافع وعلى فى الوصل وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع إلى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف إلى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لَا تَكَلَّمُ) أى لا تتكلم (نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) أى لا يشفع أحد إلا بإذن الله، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (فَمِنْهُمْ) الضمير لأهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس (شَقِيٌّ) معذب (وَسَعِيدٌ) أى ومنهم سعيد أى منعم (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) هو أول نهيق الحما (وَشَهِيقٌ) هو آخره أو هما إخراج النفس ورده، والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى فى النار (خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة (مَادَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ) فى موضع النصب أى مدة دوام السماوات والأرض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سماوات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وقيل ما دام فوق وتحت ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب: مالاح كوكب، وغير ذلك من كلمات التأبيد (إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار وذلك لأن أهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم إياها بكونهم فى النار أياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) بالشقى والسعيد (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا) سُعدوا حمزة وعلى وحفص. سَعد لازم وسَعَده يسعَده متعد (فَفِي الْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ

فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه أو معناه إلا من شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال الاستثناء فى الآيتين لأهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضاً خلود فى الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء، والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الأحاديث المروية فى هذا الباب وكفى به إثما مبينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله: لهم أجر غير ممنون وهو نصب على المصدر أى أعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية بأربع آيات عطاء غير مجذوذ. أكلها دائم . وماعندالله باق. لامقطوعة ولاممنوعة. لما قص الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) أى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله ﷺ وعدة بالانتقام منهم ووعيداً لهم ثم قال (مايعبدون إلا كما يعبد ءاباؤهم من قبل) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك مانزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما مصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل مايعبدون منها (وإنا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أى كاملا (ولقد ءاتينا موسى الكتب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله ﷺ (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لايعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل (وإنهم لفى شك منه) من القرآن أو من العذاب (مريب) من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازى (وإن كلا) التنوين عوض عن المضاف إليه يعنى وان كلهم أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصرى وعلى ، ما مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعملهم) أى جزاء أعمالهم من إيمان وجحود وحسن

وقبيح. بعكس الأولى أبو بكر، مخففان مكى ونافع على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبار ألأصلها الذى هو التثقيل ولأن إن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل وأحسن ماقيل فيه أنه من لممت الشيء جمعته لمّاً ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى وإن كلا لما بالتنوين كقوله: أكلا لما. وهو يؤيد ماذكرنا والمعنى وان كلا ملمومين أى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل وإن كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائى ليس لى بتشديد لما علم (إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (وَمَن تَابَ مَعَكَ) معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصا (وَلَا تَطْغَوْا) ولا تخرجوا من حدود الله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فهو مجازيكم فاتقوه قيل مانزلت على رسول الله ﷺ آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال «شيبتنى هود» (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لأتباع الكفرة أى لاتركنوا إلى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم إليه (فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) وقيل الركون إليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق أنه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان فى جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعى مامن شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول ﷺ «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه» ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال: لا، فقيل له يموت قال دعه يموت (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ) حال من قوله فتمسكم النار أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم

الاستبعاد أى النصرة من الله مستبعدة (وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) غدوة وعشية (وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ) وساعات من الليل جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن مابعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره . تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه (إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) إن الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفى الحديث «إن الصلوات الخمس تكفر مابينها من الذنوب» أو الطاعات. قال عليه السلام «أتبع السيئة الحسنة تمحها» أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (ذَٰلِكَ) إشارة إلى فاستقم فما بعده أو القرآن (ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) عظة للمتعظين نزلت فى عمرو ابن غزية الأنصارى بائع التمر قال لامرأة فى البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه بكى كيابا كيافنزلت فقال عليه السلام «هل شهدت معنا العصر» قال نعم. قال «هى كفارة لك» فقيل أله خاصة قال «بل للناس عامة» (وَاصْبِرْ) على امتثال ماأمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شىء منه إلا به (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهى من قوله فاستقم إلى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ) فهلا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل (أُوْلُوا بَقِيَّةٍ) أولوا فضل وخير وسمى الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال: فلان من بقية القوم أى من خيارهم، ومنه قولهم: فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) عجب محمدا عليه السلام وأمته أن لم يكن فى الأمم التى ذكر الله إهلاكهم فى هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصى (إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ) استثناء منقطع أى ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن فى ممن أنجينا للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله : أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا. (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمر أى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (مَا أُتْرِفُوا

فِيهِ) أى أتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ) اللام لتأكيد النفى (بِظُلْمٍ) حال من الفاعل أى لايصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وَأَهْلُهَا) قوم (مُصْلِحُونَ) تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لايهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون فى المعاملات فيما بينهم لايضمون إلى شركهم فسادا آخر (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى متفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة. هى مشيئة قسر، وذلك رافع للابتداء فلا يجوز (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) فى الكفر والإيمان أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك (إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) إلا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم أنهم سيصيرون إليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم أنهم سيصيرون إليه كذا فى شرح التأويلات (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) وهى قوله للملائكة (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وَكُلًّا) التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نَّقُصُّ عَلَيْكَ) وقوله (مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ) بيان لكل وقوله (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) بدل من كلا (وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ) أى فى هذه السورة أو فى هذه الأنباء المقتصة ماهو حق (وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) من أهل مكة وغيرهم (اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (إِنَّا عَامِلُونَ) على مكانتنا (وَانتَظِرُوا) بنا الدوائر (إِنَّا مُنتَظِرُونَ) أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لايخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) فلابد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم. يُرجع

نافع وحفص (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) فإنه كافيك وكافلك (وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وبالتاء مدنى وشامى وحفص أى أنت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة هذه الآية وفى الحديث «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى» .

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة وإحدى عشرة آية شامى، واثنتا عشرة مكى﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر تِلْكَ ءَايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ الْمُبِينِ) تلك إشارة إلى آيات هذه السورة، والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التى أنزلت إليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى إعجاز العرب أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى أن علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشأم إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا) أى أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تفهموا معانيه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) نبين لك أحسن البيان والقاص الذى يأتى بالقصة على حقيقتها عن الزجاج، وقيل القصص يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول: قص الحديث يقصه قصصاً ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب فعلى الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ) أى بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه والمقصوص محذوف لأن بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فإنك لا ترى اقتصاصه فى كتب الأولين مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيره والظاهر أنه أحسن ما يقتص فى بابه كما يقال فلان أعلم الناس أى فى فنه واشتقاق القصص من قص أثره إذا تبعه لأن الذى

يقص الحديث يتبع ماحفظ منه شيئاً فشيئاً (وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ) الضمير يرجع إلى ماأوحينا (لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ) عنه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به (إِذْ قَالَ) بدل اشتمال من أحسن القصص لأن الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر إذ قال (يُوسُفُ) اسم عبرانى لا عربى إذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لِأَبِيهِ) يعقوب (يَٰأَبَتِ) أبتَ شاى وهى تاء تأنيث عوضت عن ياء الإضافة لتناسبهما لأن كل واحدة منهما زائدة فى آخر الاسم ولهذا قلبت هاء فى الوقف وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر كما فى رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام (إِنِّى رَأَيْتُ) من الرؤيا لا من الرؤية (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) أسماؤها ببيان النبى عليه السلام جريان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين (وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ) هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب إخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء فى (رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتى عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة أو ثمانون (قَالَ يَٰبُنَىَّ) بالفتح حيث كان حفص (لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ) هى بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة وفرق بينهما بحرف التأنيث كما فى القربة والقربى (عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ) جواب النهى أى ان قصصتها عليهم كادوك. عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الإخوة وإنما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدونى لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو (كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك الاجتباء الذى دلت عليه

رؤياك (يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) يصطفيك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته (وَيُعَلِّمُكَ) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك (مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) أى تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أى جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى فى الجنة وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لايستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ) أراد الجد وأبا الجد (إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ) عطف بيان لأبويك (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ) يعلم من يحق له الاجتباء (حَكِيمٌ) يضع الأشياء فى مواضعها (لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) أى فى قصتهم وحديثهم (ءَايَٰتٌ) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شىء. آية مكى (لِّلسَّآئِلِينَ) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وأسماؤهم: يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لاشبهة فيه وإنما قالوا وأخوه وهم إخوته أيضا لأن أمهما كانت واحدة وإنما قيل أحب فى الاثنين لأن أفعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولابد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف ساغ الأمران والواو فى (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) للحال أى أنه يفضلهما فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) غلط فى تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة فى الدين لكفروا. والعصبة العشرة فصاعدا (اقْتُلُوا يُوسُفَ) من جملة ما حكى بعد قوله إذ

قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وَتَكُونُوا) مجزوم عطفا على يخل لكم (مِن بَعْدِهِ) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قَوْمًا صَٰلِحِينَ) تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) فإن القتل عظيم (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ الْجُبِّ) فى قعر البئر وماغاب منه عن عين الناظر. غيابات وكذا ما بعده مدنى (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) بعض الأقوام الذين يسيرون فى الطريق (إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ) به شيئا (قَالُوا يَٰأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَٰصِحُونَ) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ) نرتع نتسع فى أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة (وَيَلْعَبْ) ونلعب نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض. بالياء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وبكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال من الرعى (وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ) من أن يناله مكروه (قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا بِهِ) أى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ) اعتذر إليهم بأن ذهابهم به مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة وأنه يخاف عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو فى (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع الحال (إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أى إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الأول

لأن ذلك كان يغيظهم (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ) أى عزموا على إلقائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما أرادوا إلقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه (وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ) قيل أوحى إليه فى الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان إذ ذاك مدركا (لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا) أى لتحدثن إخوتك بما فعلوا بك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أى آنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يَبْكُونَ) حال عن الأعمش لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يابنى هل أصابكم فى غنمكم شىء قالوا لا قال فما بالكم وأين يوسف (قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ) أى نتسابق فى العدو أو فى الرمى والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامى وغير ذلك (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) بمصدق لنا (وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ) ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى

سوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله مارأيت كاليوم ذئبا أحلم من هـذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قميصه النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قَالَ) يعقوب عليه السلام (بَلْ سَوَّلَتْ) زينت أو سهلت (لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) عظيما ارتكبتموه (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو مالاشكوى فيه إلى الخلق (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) أى أستعينه (عَلَىٰ) احتمال (مَا تَصِفُونَ) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فأخطئوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) هو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ) أرسل الدلو ليملأها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه (قَالَ يَا بُشْرَىٰ) كوفى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا أوانك غيرهم بشراى على إضافتها لنفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافا إلى نفسه (هَٰذَا غُلَامٌ) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وَأَسَرُّوهُ) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لأخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قدأبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بِضَاعَةً)حال أى أخفوه متاعاً للتجارة والبضاعة مابضع من المال للتجارة أى قطع (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وَشَرَوْهُ) وباعوه (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف (دَرَاهِمَ) بدل من ثمن (مَعْدُودَةٍ) قليلة تعد عدا ولا توزن لأنهم كانوا يعدون مادون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بالثمن الطفيف أومعنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أى غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق ويروى أن اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لايأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أى غير راغبين لأن الصلة لاتتقدم على الموصول وإنما هو بيان

كأنه قيل فى أى شىء زهدوا فيه فقال زهدوا فيه (وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَٰهُ مِّن مِّصْرَ) هو قطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات فى حياته واشتراه العزيز بزنته ورقاً وحريراً ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (لِامْرَأَتِهِ) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريماً أى حسناً مرضياً بدليل قوله إنه ربى أحسن مثواى وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه (عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ) لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا) أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وَكَذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ) أى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (فِى الْأَرْضِ) أى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) كان ذلك الانجاء والتمكين (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ) لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ) منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون (ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب مايجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) تنبيه على أنه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره (وَرَٰوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ) أى طلبت يوسف أن يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشىء الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته إياها (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَٰبَ) وكانت سبعة (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيتُ مكى بناه على الضم هِيتَ مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) أعوذ بالله معاذا (إِنَّهُۥ) أى إن الشأن والحديث (رَبِّىٓ) سيدى ومالكى يريد قطفير (أَحْسَنَ

مَثْوَاىَ) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه فى أهله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله إنه ربى الله تعالى لأنه مسبب الأسباب (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) هم عزم (وَهَمَّ بِهَا) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين وقيل وهمّ بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه وجواب (لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ) محذوف أى لكان ما كان وقيل وهمّ بها جوابه ولا يصح لأن جواب لولا لايتقدم عليها لأنه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز أن يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمين وفسر همّ يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها مرتين فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان ذلك منه أيضاً لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ماعلمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا فى دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف فى (كَذَٰلِكَ) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أى الأمر مثل ذلك (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ) خيانة السيد (وَالْفَحْشَآءَ) الزنا (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ) وتسابقا إلى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدارا ففر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج

وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وإن كان جمعه فى قوله وغلقت الأبواب لأنه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ) اجتذبته من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ)وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا فى أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ما نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن أو عـذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوأ لأنها قصدت العموم أى كل من أراد بأهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي) ولولا ذلك لـكتم عليها ولم يفضحها (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) هو ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وسمى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة فى أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها (إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ) والتقدير وشهد شاهد فقال إن كان قميصه وإنما دل قد قميصه من قبل على أنها صادقة لأنه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فيشقه ولأنه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل وأما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقـال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وإنما جمـع بين إن التى للاستقبال وبين كان لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد (فَلَمَّا رَءَا) قطفير (قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قَالَ إِنَّهُ) إن قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوأ أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال لنيل الرجال (مِن كَيْدِكُنَّ) الخطاب لها ولأمتها (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) لأنهن ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء إنى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله

تعالى قال إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقال لهن إن كيدكن عظيم (يُوسُفُ) حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا) الأمر وا كتمه ولا تتحدث به ثم قال لراعيل (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) من جملة القوم المتعمدين للذنب . يقال خطىء إذا أذنب متعمدا وإنما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وَقَالَ نِسْوَةٌ) جماعة من النساء وكن خمسا: امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيق ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (فِي الْمَدِينَةِ) فى مصر (امْرَأَتُ الْعَزِيزِ) يردن كطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تُرَاوِدُ فَتَاهَا) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (عَن نَّفْسِهِ) لتنال شهوتها منه (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) تمييز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فى خطأ وبعد عن طريق الصواب (فَلَمَّا سَمِعَتْ) راعيل (بِمَكْرِهِنَّ) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لأنه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وَأَعْتَدَتْ) وهيأت افتعلت من العتاد (لَهُنَّ مُتَّكَأً) مايتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكىء إذا بهت لشىء وقعت يده على يده (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم (وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان إذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنه لا يتعدى إلى مفعول، يقال أكبرت المرأة

حاضت وحقيقته دخلت فى الـكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله :

خف الله واستر ذا الجمـال ببرقع　　فإن لحت حاضت فى الخدور العواتق

(وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جـرحتها أى أردن أن يقطعن الطعام الذى فى أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضـع التنزيه والبراءة ، فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبى عمرو حاشا لله نحو قولك سـقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الألف الأخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملـكية وبتتن بها الحـكم لـما ركز فى الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ) تقول هو ذلك العبد الـكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه تعنى إنـكن لم تصوّرنه حق صورته وإلا لعذرتننى فى الافتتان به (وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ) والاستعصام بناء مبالغـة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها وهذا بيان جلى على أن يوسف عليـه السلام برىء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك، فقالت راعيـل (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ) الضمير راجع إلى ما وهى موصولة والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما فى قوله أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير يرجع إلى يوسف أى ولئن لم يفعل أمرى إياه أى موجب أمرى ومقتضاه (لَيُسْجَنَنَّ) ليحبسن والألف فى (وَلَيَكُونًا) بدل من نون التأكيد الخفيفة (مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ) مع السراق والسفاك والأبق كما سرق قلبي وأبق منى وسفك دمى بالفراق فلايهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلى فى الحرير على السرير أميراً حصل فى الحصير على الحصير حسيراً فلما سمع يوسف تهديدها (قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ) أسند الدعوة إليهن لأنهن قلن له ماعليك لو أجبت مولاتك، أو افتتنت كل واحدة به فدعته

إلى نفسها سرا فالتجأ إلى ربه، قال رب السجن أحب إلى من ركوب المعصية (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ) فزع منه إلى الله فى طلب العصمة (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) أمل إليهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها (وَأَكُن مِّنَ الْجَـٰهِلِينَ) من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء، فلما كان فى قوله وإلا تصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) أى أجاب الله دعاءه (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لدعوات الملتجئين إليه (الْعَلِيمُ) بحاله وحالهن (ثُمَّ بَدَا لَهُم) فاعله مضمر لدلالة مايفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير فى لهم للعزيز وأهله (مِّن بَعْدِمَا رَأَوُا الْآيَـٰتِ) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الأيدى وشهادة الصبى وغير ذلك (لَيَسْجُنُنَّهُ) لإبداء عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعاً لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها وقد طمعت أن يذلله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس، والوجل من الياس، إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب ، لتشتفى بخبره، إذا منعت من نظره (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قَالَ أَحَدُهُمَآ) أى شرابيه (إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ) أى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أَعْصِرُ خَمْرًا) أى عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب (وَقَالَ الْآخَرُ) أى خبازه (إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦ) بتأويل ما رأيناه (إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين إلى أهل السجن فإنك تداوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا وقيل إنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى: إنى رأيت كأنى فى بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته، وقال الخباز: إنى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش

منها (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) أى لبيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل (قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا) ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام فى السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده، وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذَٰلِكُمَا) إشارة لهما إلى التأويل أى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) وأوحى به إلى ولم أقله عن تكهن وتنجم (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى به إلى لأنى رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) وهى الملة الحنيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبى يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لا أنه كان فيه ثم تركه (مَا كَانَ لَنَا) ماصح لنا معشر الأنبياء (أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ) أى شىء كان صنما أو غيره ثم قال (ذَٰلِكَ) التوحيد (مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) فضل الله فيشركون به ولا ينتهون (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) ياساكنى السجن كقوله: أصحاب النار وأصحاب الجنة (أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يريد التفرق فى العدد والتكاثر أى أن تكون أرباب شتى يستعبدكما هـذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام (مَا تَعْبُدُونَ) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (مِن دُونِهِ) من دون الله (إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم) أى سميتم مالا يستحق الإلٰهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مسميات لها ، ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا) بتسميتها (مِن سُلْطَانٍ) حجة (إِنِ الْحُكْمُ) فى أمر العبادة والدين (إِلَّا لِلَّهِ) ثم بين ماحكم به

فقال (أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) الثابت الذى دلت عليه البراهين (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وهـذا يدل على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه ، ثم عبر الرؤيا فقال (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا) يريد الشرابى (فَيَسْقِي رَبَّهُ) سيده (خَمْرًا) أى يعود إلى عمله (وَأَمَّا الْآخَرُ) أى الخباز (فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ) روى أنه قال للأول: مارأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليـه وقال للثانى: مارأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز سلبه قال مارأيت شيئاً فقال يوسف (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أى قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أى ما يجر إليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليـه قصتى لعله يرحمنى ويخلصنى من هذه الورطة (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ) فأنسى الشرابى (ذِكْرَ رَبِّهِ) أن يذكره لربه أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره، وفى الحديث «رحم الله أخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لـما لبث فى السجن سبعا» (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) أى سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث إلى التسع (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف فى الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضاً الرؤيا ، سمان جمع سمين وسمينة، والعجاف: المهازيل والعجف الهزال الذى ليس بعده سمانة والسبب فى وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لايجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وفى الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر

لأن الكلام مبنى على انصبابه إلى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ) كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء (أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ) اللام فى للرؤيا للبيان ، كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ماجمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش، الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام وإنما جمع وهو حلم واحد تزايدا فى وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ) أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل إنما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الأحلام بخابرين (وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا) من القتل (مِنْهُمَا) من صاحبى السجن (وَٱدَّكَرَ) بالدال هو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الأولى فى الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذكر يوسف وما شاهد منه (بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك (أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فَأَرْسِلُونِ) وبالياء يعقوب أى فابعثونى إليه لأسأله فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال (يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ) أيها البليغ فى الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ

وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) إلى الملك وأتباعه (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ)هو خبر فى معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون. دليله قوله فذروه فى سنبله وإنما يخرج الأمر فى صورة الخبر للمبالغة فى وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دَأَبًا) ــدأبا ــ بسكون الهمزة حفص بحركة وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين (فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ) كى لا يأكله السوس (إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) فى تلك السنين (ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ) هو من إسناد المجاز جعل كل أهلهن مسندا إليهن (مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) أى فى السنين المخصبة (إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ) تحرزون وتخبئون (ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ) أى من بعد أربع عشرة سنة عام (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) من الغوث أى يجاب مستغيثهم أو من الغيث أى يمطرون يقال غيثت البلاد إذا مطرت (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الأشربة والأدهان. تعصرون حمزة فأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب . والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجىء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ فَلَمَّا جَآءَهُ الرَّسُولُ) ليخرجه من السجن (قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ) أى الملك (فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ) أى حال النسوة (الَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) إنما تثبت يوسف وتأنى فى إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمى به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها وقال عليه السلام «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر إن كان

حليما ذا أناة » ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) أى إن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله وهو مجازيهن عليه . فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قَالَ) لهن (مَا خَطْبُكُنَّ) ماشأنكن (إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ) هل وجدتن منه ميلا إليكن (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) من ذنب (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) ظهر واستقر (أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فى قوله هى راودتنى عن نفسى ولامزيد على شهادتهم له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن إنه لم يتعلق بشىء مماقرف به ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذَٰلِكَ) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (لِيَعْلَمَ) العزيز (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) بظهر الغيب فى حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأناغائب عنه أو وهو غائب عنى أو ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز (وَأَنَّ اللَّهَ) أى وليعلم أن الله (لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين أن ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها فى عموم الأحوال أو فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو الخطرة البشرية لاعن طريق القصد والعزم (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) أراد الجنس أى إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لمافيه من الشهوات (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) إلا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة ويجوز أن يكون ما رحم فى معنى الزمان أى إلا وقت رحمة ربى يعنى أنها أمارة بالسوء فى كل وقت إلا وقت العصمة أو هو استثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الإساءة، وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرىء نفسى مع ذلك من الخيانة فإنى قد خنته حين قرفته وقلت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إلا

نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وإنما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أى قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) أجعله خالصا لنفسى (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) وشاهد منه مالم يحتسب (قَالَ) الملك ليوسف (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) ذومكانة ومنزلة، أمين مؤتمن على كل شيء روى أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث إليه لباس الملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إنى أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الأهراء فيأتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لأحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه (قَالَ) يوسف (اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ) ولنى على خزائن أرضك يعنى مصر (إِنِّي حَفِيظٌ) أمين أحفظ ما تستحفظنيه (عَلِيمٌ) عالم بوجوه التصرف. وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لايقوم مقامه فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفى الحديث «رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة» قالوا وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة وإذا علم النبى أو العالم أنه لاسبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق

خلفه أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل مارأى وكان فى حكم التابع له (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا فى أربعين والتمكين الإقدار وإعطاء المكنة (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه . نشاء مكى (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (مَن نَّشَاءُ) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فى الدنيا (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيراً مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير فى السنة الأولى حتى لم يبق معهم شىء منها ثم بالحلى والجواهر فى الثانية ثم بالدواب فى الثالثة ثم بالعبيد والإماء فى الرابعة ثم بالدور والعقار فى الخامسة ثم بأولادهم فى السادسة ثم برقابهم فى السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لايبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ) بلا تعريف (وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) لتبدل الزى ولأنه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة، وروى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وماشأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبى حزين لفقد ابن كان أحبنا إليه وقد أمسك أخا له من أمه يستأنس به فقال

ائتونى به إن صدقتم (وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ) أعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا (ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) أتمه (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي) فلا أبيعكم طعاماً (وَلَا تَقْرَبُونِ) أى فإن لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهى (قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) ذلك لامحالة لانفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهناً فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ) كوفى غير أبى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة وإخوان فى أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أى لغلمانه الكيالين (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) أوعيتهم وكانت نعالا أوأدما أو ورقا وهو أليق بالدس فى الرحال (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا) يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين (إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ) وفرغوا ظروفهم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا أو ربما لايجدون بضاعة بها يرجعون أو مافيهم من الديانة يعيدهم لرد الأمانة أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ) بالطعام وأخبروه بما فعل (قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ) يريدون قول يوسف فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام مانحتاج إليه. يكتل حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) عن أن يناله مكروه (قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ) يعنى أنكم قلتم فى يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يأمنى من مثل ذلك ثم قال (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وهو حال أو تمييز ومن قرأ حفظاً فهو تمييز لاغير (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب: لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لأردن عليك كليهما (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي) ما للنفى أى ما نبغى فى القول ولا

تتجاوز الحق أو ماتبغي شيئا وراء مافعل بنا من الإحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أي أي شيء نطلب وراء هذا (هَٰذِهِ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) جملة مستأنفة موضحة لقوله مانبغي والجمل بعدها معطوفة عليها أي أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) في رجوعنا إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (وَنَحْفَظُ أَخَانَا) في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) سهل عليه متيسر لا يتعاظمه (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ) وبالياء مكي (مَوْثِقًا) عهداً (مِّنَ اللَّهِ) والمعنى حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه (لَتَأْتُنَّنِي بِهِ) جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به (إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ) إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم يعني لا تمنعوا منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهو أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام (قَالَ) بعضهم يسكت عليه لأن المعنى قال يعقوب (اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ) من طلب الموثق وإعطائه (وَكِيلٌ) رقيب مطلع غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله (وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكرة الأولى فالعين حق عندنا وجهه بأن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة» وأنكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل إنه أحب أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم (وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) أي إن كان الله أراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أمرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)

التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) أى متفرقين (مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم) دخولهم من أبواب متفرقة (مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) أى شيئا قط حيث أصابهم ماساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (إِلَّا حَاجَةً) استثناء منقطع أى ولكن حاجة (فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا) وهى شفقته عليهم (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ) يعنى قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لايغنى عنه الحذر (لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) لتعليمنا إياه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضم إليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قَالَ) له (إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) يوسف (فَلَا تَبْتَئِسْ) فلا تحزن (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) بنافيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى أنه قال له فأنا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدى بى فإن حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى مالا يحمد قال لا أبالى فافعل مابدا لك قال فإنى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ) هيأ أسبابهم وأوفى الكيل لهم (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) السقاية هى مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) ثم نادى مناد آذنه أى أعلمه وأذن أكثر الأعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) هى الإبل التى عليها الأحمال لأنها تعير أى تذهب وتجىء والمراد أصحاب العير (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) كناية عن سرقتهم إياه من أبيه (قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ) هو الصاع (وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل

أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جملا لمن حمله (قَالُوا تَاللَّهِ) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم (لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فَهُوَ جَزَاؤُهُ) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لاغير أوجزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره (كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أى السراق بالاسترقاق (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا) أى الصواع (مِن وِعَاءِ أَخِيهِ) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه لأن التأنيث يرجع إلى السقاية أولأن الصواع يذكر ويؤنث الكاف فى (كَذَٰلِكَ) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كِدْنَا لِيُوسُفَ) يعنى علمناه إياه (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) تفسير للكيد وبيان له لأن الحكم فى دين الملك أى فى سيرته للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يستعبد (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) أى ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ) بالتنوين كوفى (مَّن نَّشَاءُ) أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أوفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عزوجل (قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان فى المنزل دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت منطقة لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لى سَلَم أفعل

به ماشئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رءوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يابنى راحيل مايزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لايزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم (فَأَسَرَّهَا) أى مقالتهم إنه سرق كأنه لم يسمعها (يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا) تميز أى أنتم شر منزلة فى السرق لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) تقولون أو تكذبون (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا) فى السن وفى القدر (فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إلينا فأتمم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ) أى نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من (إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ) إذاً جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا وهذا لأنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً فى مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم أنه ظلم (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا) يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر فى استعصم (مِنْهُ) من يوسف وإجابته إياهم (خَلَصُوا) انفردوا عن الناس خالصين لايخالطهم سواهم (نَجِيًّا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته فالنجى يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيهم (قَالَ كَبِيرُهُمْ) فى السن وهو روبيل أو فى العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ) ماصلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) فلن أفارق أرض مصر (حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي) فى الانصراف إليه (أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي)

بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) لأنه لايحكم إلا بالعدل (ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) وقرئ سرّق أى نسب إلى السرقة (وَمَا شَهِدْنَا) عليه بالسرقة (إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) من سرقته وتيقنا إذ الصواع استخرج من وعائه (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) يعنى مصر أى ارسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) وأصحاب العير وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فى قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ماقال لهم أخوهم (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) أردتموه وإلا فمن أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بحالى فى الحزن والأسف (الْحَكِيمُ) الذى لم يبتلنى بذلك إلا لحكمة (وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) وأعرض عنهم كراهة لما جاءوا به (وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم. وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا. من سبأ بنبأ. وإنما تأسف دون أخيه وكبيرهم لتمادى أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ) إذ أكثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان قد يدرك إدراكا ضعيفا (مِنَ الْحُزْنِ) لأن الحزن سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأن الإنسان مجبول على أن لايملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم ، وقال : «القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون » وإنما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فَهُوَ كَظِيمٌ) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر مايسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله إذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا) أى لاتفتأ

فحذف حرف النفي لأنه لايلتبس إذ لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لاتفتأ لاتزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) مشفيا على الهلاك مرضا (أو تكون من الهالكين قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله) البث أصعب الهم الذى لايصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أى ينشره أى لاأشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربى داعياً له وملتجئاً إليه فخلونى وشكايتى وروى أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقى إلى الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله مالا تعلمون) وأعلم من رحمته أنه يأتيني بالفرج من حيث لاأحتسب ، وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال : لا والله هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء ياذا المعروف الدائم الذى لاينقطع معروفه أبداً ولايحصيه غيرك فرج عنى (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الإحساس وهو المعرفة (ولا تايئسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (إنه) إن الأمر والشأن (لا ياْيئس من روح الله إلا القوم الكافرون) لأن من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلايعرف رحمة الله ولاتقلبه فى نعمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لاتؤخذ إلا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أوزدنا على حقنا أوهب لنا أخانا (إن الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف) أى هل علمتم قبح مافعلتم بيوسف (وأخيه إذ أنتم جاهلون) لاتعلمون قبحه أو إذأنتم فى حد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم إياه للغم بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وإيذاؤهم له بأنواع الأذى (قالوا أءنك) بهمزتين كوفى وشامى (لأنت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة

خبرإن (قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي) وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بالألفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ) الفحشاء (وَيَصْبِرْ) عن المعاصى وعلى الطاعة (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لايضيع أجره فى دنياه وعقباه (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ) وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لاجرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ) لاتعيير عليكم (الْيَوْمَ) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لاأثر بكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) فدعا لهم بمغفرة مافرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضى والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش «ماترونني فاعلا بكم» قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال «أقول ماقال أخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم» وروى أن أباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت رسول الله فاتل عليه قال لاتثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله ﷺ « غفر الله لك ولمن علمك» وروى أن اخوته لما عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة ابراهيم (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) أى إذا رحمتكم وأنا الفقير القتور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا إنه عمى من كثرة البكاء قال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفى (فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) يصر بصيراً تقول جاء البناء محكما أى صار أو يأت إلى وهو بصير قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان

وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا بأخبار هلكي (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قَالَ أَبُوهُمْ) لولد ولده ومن حوله من قومه (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم إياى لصدقتمونى (قَالُوا) أى أسباطه (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى إفراط محبتك ليوسف أو فى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم أنه قد مات (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) أى يهوذا (أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فَارْتَدَّ) فرجع (بَصِيرًا) يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ) يعنى قوله إنى لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك إنا تبنا واعترفنا بخطايانا (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أخر الاستغفار إلى وقت السحر أو إلى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم إن يوسف وجه إلى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز إليه بمن معه فلما بلغ قريباً من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ) ضم إليه (أَبَوَيْهِ) واعتنقهما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم فى مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه (وَقَالَ) لهم بعد ذلك (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجواز أو من القحط وروى

أنه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يامذهب الأحزان وقال له يوسف ياأبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مابين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الإخوة الأحدعشر والأبوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم فى ذلك الوقت أن يسجد للمعظم وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة أيضا واختلف فى استنبائهم (وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا) أى الرؤيا (رَبِّي حَقًّا) أى صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه (إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم (وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ) من البادية لأنهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون فى المياه والمناجع (مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) أى أفسد بيننا وأغرى (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ) أى لطيف التدبير (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) بتأخير الآمال إلى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) ملك مصر (وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض إذ لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) انتصابه على النداء (أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا) طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التسترى مسلِّماً إليك أمرى وفى عصمة الأنبياء إنما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) من آبائى أو على العموم روى أن يوسف

أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابنى ماأعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى على ثمان مراحل فقال أمرنى جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليــه منى فاسأله فقال جبريل : الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى وروى أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته إلى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماسبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ (مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) خبران (وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ) لدى بنى يعقوب (إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ) عزموا على ماهموا به من إلقاء يوسف فى البئر (وَهُمْ يَمْكُرُونَ) بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحى لأنك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على إلقاء أخيهم فى البئر (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) أراد العموم أو أهل مكة أى وماهم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ أو على القرآن (مِنْ أَجْرٍ) جعل (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) ما هو إلا موعظة (لِّلْعَالَمِينَ) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها (وَهُمْ عَنْهَا) عن الآيات (مُعْرِضُونَ) لايعتبرون بها والمراد مايرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) أى ومايؤمن أكثرهم فى إقراره بالله وبأنه خلقــه وخلق السماوات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن

الجمهور على أنها نزلت فى المشركين لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك مايقوله القدرية من إثبات قدرة التخليق للعبد، والتوحيد المحض مايقوله أهل السنة وهو أنه لاخالق إلا الله (أَفَأَمِنُوٓا أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ) عقوبة تغشاهم وتشملهم (مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ) القيامة (بَغْتَةً) حال أى فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بإتيانها (قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ) هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أَدْعُوٓا إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ) أى أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أَنَا) تأكيد للمستتر فى أدعو (وَمَنِ اتَّبَعَنِى) عطف عليه أى أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتبعنى أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعنى عطف على أنا يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وَسُبْحَٰنَ اللهِ) وأنزهه عن الشركاء (وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) مع الله غيره (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لوشاء ربنا لأنزل ملائكة أو ليست فيهم امرأة (نُّوحِىٓ) بالنون حفص (إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ) لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) أى ولدار الساعة الآخرة (خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك وآمنوا به (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ) يئسوا من إيمان القوم (وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) ـ كذبوا ـ وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفى أى وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه (جَآءَهُمْ نَصْرُنَا) للانبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب (فَنُجِّىَ) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل من . الباقون فننجى بنونين ثانيتهما ساكنة مخفاة الجيم بعدها وإسكان الياء (مَن نَّشَآءُ) أى النبى ومن آمن به (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) عذابنا (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ) أى فى قصص الأنبياء وأممهم أوفى قصة يوسف وإخوته (عِبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبَٰبِ) حيث نقل من غاية الحب، إلى غيابة الجب، ومن الحصير، إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر وخامة وندامة (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ) ما كان القرآن حديثاً مفترى كما زعم الكفار (وَلَٰكِن

تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) ولكن تصديق الكتب التى تقدمته (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ) يحتاج إليه فى الدين لأنه القانون الذى تستند إليه السنة والإجماع والقياس (وَهُدًى) من الضلال (وَرَحْمَةً) من العذاب (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بالله وأنبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله ﷺ «علموا أرقاءكم سورة يوسف فأيما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً» قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فى ذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله ﷺ على أذى قريش كأنه يقول إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه فى الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فأنت مع مخالفتهم إياك فى الدين أحرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب : إن الله تعالى لم ينزل كتابا إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هى فى القرآن العظيم والله أعلم .

﴿سورة الرعد مكية، وهى ثلاث وأربعون آية كوفى ، وخمس وأربعون آية شامى﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الٓمٓرٰ) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضى الله عنهما (تِلْكَ) إشارة إلى آيات السورة (ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ) أريد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها (وَالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) أى القرآن كله (الْحَقُّ) خبر والذى (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الإيمان فقال (اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ) أى خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذى رفع السموات (بِغَيْرِ عَمَدٍ) حال وهو جمع عماد أو عمود (تَرَوْنَهَا) الضمير يعود إلى السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان أو إلى عمد فيكون فى موضع جر على أنه صفة لعمد أى بغير عمد مرئية (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو انقضاء الدنيا (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) أمر ملكوته وربوبيته (يُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ) يبين آياته فى كتبه المنزلة

(لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) لعلكم توقنون بأن هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع إليه (وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ) بسطها (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (وَأَنْهَارًا) جارية (وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) أى الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيرا. يغشّى حمزة وعلى وأبو بكر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن لها صانعا عليما حكيما قادرا (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه (وَجَنَّاتٌ) معطوفة على قطع (مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على قطع. غيرهم بالجر بالعطف على أعناب، والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان (يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ) وبالياء عاصم وشامى (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ) وبالياء حمزة وعلى (فِي الْأُكُلِ) فى الثمر وبسكون الكاف نافع ومكى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الحسن مثل اختلاف القلوب فى آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع فى أنهارها وأزهارها وثمارها (وَإِن تَعْجَبْ) يا محمد من قولهم فى إنكار البعث (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) خبر ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك كانت الإعادة أهون شىء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) فى محل الرفع بدل من قولهم. قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) أولئك الكافرون المتمادون فى كفرهم (وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) دل تكرار أولئك على تعظيم الأمر (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره (وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة. وجزاء سيئة سيئة مثلها (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ) أى مع ظلمهم

أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أى ظالمين لأنفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) على الكافرين أو هما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله ﷺ (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ) إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) ما فى هذه المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الأرحام أى ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أوجسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا أومدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عندنا وإلى أربع عند الشافعى وإلى خمس عند مالك أو مصدرية أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله: إنا كل شيء خلقناه بقدر (عَالِمُ الْغَيْبِ) ما غاب عن الخلق (وَالشَّهَادَةِ) ما شاهدوه (الْكَبِيرُ) العظيم الشأن الذى كل شيء دونه (الْمُتَعَالِ) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء فى الحالين مكى (سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ) أى فى علمه (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ) متوار (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) ذاهب فى سربه أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الأرض سروبا. وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من فى معنى الاثنين والضمير فى (لَهُ) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (مُعَقِّبَٰتٌ) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه والأصل معتقبات فأدغمت التاء فى القاف

أوهو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أى قدامه ووراءه (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه أويحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ) من العافية والنعمة (حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) عذابا (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) فلايدفعه شيء (وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)من دون الله ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) انتصبا على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أومن المخاطبين أى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال أبو الطيب :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجّى الحيا منه وتخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد مالا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وَيُنشِئُ السَّحَابَ) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثِّقَالَ) بالماء وهو جمع ثقيلة، تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي ﷺ أنه قال«الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب» والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى إلى حيث أمر (وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ) الصاعقة: نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ فى كل شيء واستواء الظاهر والخفى عنده ومادل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) يعنى الذين كذبوا رسول الله ﷺ يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: من يحيي العظام وهى رميم. ويردون الواحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله. أوالواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله ﷺ حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين

لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرنى عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) أى المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف لاستعماله الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) أضيفت إلى الحق الذى هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأنه يوجه إليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله ﷺ عليه وعلى صاحبه بقوله «اللهم اخسفهما بما شئت» فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله ﷺ بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله ﷺ فيهم إن دعا عليهم (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (مِن دُونِهِ) من دون الله (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ) من طلباتهم (إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون لأن الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. واللام فى ليبلغ متعلق بباسط كفيه (وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) وما الماء ببالغ فاه (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) فى ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) سجود تعبد وانقياد (طَوْعًا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وَكَرْهًا) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق (وَظِلَالُهُم) معطوف على من جمع ظل (بِالْغُدُوِّ) جمع غداة كقنى وقناة (وَالْآصَالِ) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل

شيء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ) حكاية لاعترافهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا: الله، دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أى فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هـذا (قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أبعـد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة (لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) لايستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرراً عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) أى الكافر والمؤمن أو من لايبصر شيئاً ومن لايخفى عليه شيء (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) ملل الكفر والإيمان. يستوى كوفى غير حفص (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار (خَلَقُوا كَخَلْقِهِ) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولـكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) أى خالق الأجسام والأعراض لاخالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة ، ومن قال إن الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وَهُوَ الْوَاحِدُ) المتوحد بالربوبية (الْقَهَّارُ) لايغالب وما عداه مربوب ومقهور (أَنزَلَ) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه (مِنَ السَّمَاءِ) من السحاب (مَاءً) مطراً (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وإنما نكر لأن المطر لايأتى إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض (بِقَدَرِهَا) بمقدارها الذى علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ) أى رفع (زَبَدًا) هو ماعلا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رَّابِيًا) منتفخا مرتفعا على وجه السيل (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ) بالياء كوفى غير أبى بكر ومن لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض أى وبعضه زبد (فِي النَّارِ) حال من الضمير فى عليه أى ومما توقدون عليه ثابتا

فى النار (ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) مبتغين حلية فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى توقدون (أَوْ مَتَاعٍ) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الأوانى وما يتمتع به فى الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أى زينة من الذهب والفضة (زَبَدٌ) خبث وهو مبتدأ (مِثْلُهُ) نعته ومما توقدون خبر له أى لهذه الفلزّات إذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) أى مثل الحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) حال أى متلاشيا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمى وجفأت الرجل صرعته (وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ) من الماء والحلى والأوانى (فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى فى الأرض مدة طويلة (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الأوانى والآلات المختلفات وذلك ماكث فى الأرض باق بقاء ظاهراً يثبت الماء فى منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه إذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأودية للقلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافى المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع فى الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام فى (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا) أى أجابوا متعلقة بيضرب أى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا (لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ) وهى صفة لمصدر استجابوا أى استجابوا الاستجابة الحسنى (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ) أى وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلا الفريقين وقوله (لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) كلام مبتدأ فى ذكر

ما أعد لغير المستجيبين أى لوملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الأمثال ومابعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع مافى حيزه (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ) المناقشة فيه فى الحديث «من نوقش الحساب عذب» (وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) المكان المهد والمذموم محذوف أى جهنم، دخلت همزة الإنكار على الفاء فى (أَفَمَن يَعْلَمُ) لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ماضرب من المثل فى أن حال من علم (أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) أى الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله... أولئك لهم اللعنة، وقيل هو صفة لأولى الألباب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ) من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى وعيده كله (وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ) خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والأموال ومشاق التكاليف (ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب فى الجزع (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) داوموا على إقامتها (وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ) أى من الحلال وإن كان الحرام رزقاً عندنا (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يتناول النوافل لأنها فى السر أفضل والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفياً للتهمة (وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيىء غيرهم أو إذا حرموا أعطوا

وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وإذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أنابوا وإذا رأوا منكراً أمروا بتغييره فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ) عاقبة الدنيا وهى الجنة لأنها التى أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جَنَّٰتُ عَدْنٍ) بدل من عقبى الدار (يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ) أى آمن (مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ) وقرئ صلُح والفتح أفصح ومن فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يدخلونها وساغ ذلك وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لاتنفع بنفسها والمراد أبوا كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ) فى قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سَلَٰمٌ عَلَيْكُم) فى موضع الحال إذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بِمَا صَبَرْتُمْ) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أى هذا الثواب بسبب صبركم من الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والأول أوجه (فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ) الجنات (وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ) من بعد ماأوثقوه به من الاعتراف والقبول (وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ) بالكفر والظلم (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ) الإبعاد من الرحمة (وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه فى مقابلة عقبى الدار وأن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ) أى ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ) وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئ نزرا يتمتع به كعجلة الراكب وهو مايتعجله من تميرات أو شربة سويق (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ) أى الآية المقترحة (قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) هم الذين أو محله النصب بدل من مَن (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم) تسكن (بِذِكْرِ ٱللَّهِ) على الدوم أو بالقرآن أو بوعده (أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ) بسبب ذكره تطمئن قلوب

المؤمنين (الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ) مبتدأ (طُوبَىٰ لَهُمْ) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كوقن والقراءة فى (وَحُسْنُ مَـَٔابٍ) مرجع. بالرفع والنصب تدل على محليها (كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ) مثل ذلك الإرسال أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الأمم وأنت خاتم الانبياء (لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) لتقرأ عليهم الـكتاب العظيم الذى أوحينا إليك (وَهُمْ يَكْفُرُونَ) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بِالرَّحْمَٰنِ) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شىء (قُلْ هُوَ رَبِّى) ورب كل شىء (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أى هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فى نصرتى عليكم (وَإِلَيْهِ مَتَابِ) مرجعى فيثيبنى على مصابرتـكم. متابى وعقابى ومآبى فى الحالين يعقوب (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) عن مقارها (أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ) فتسمع وتجيب لـكان هذا القرآن لـكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الإنذار والتخويف لجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتـكليم الموتى وتنبيهم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة. الآية (بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) بل لله القدرة على كل شىء وهو قادر على الآيات التى اقترحوها (أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا) أفلم يعلم وهى لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشىء عالم بأنه لا يكون كما استعمل النسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك، دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل إنما كتبه الـكاتب وهو ناعس مستوى السنات وهذه والله فرية مافيها مرية (أَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قَارِعَةٌ) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ) أو تحل القارعة قريبا منهـم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها (حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ اللَّهِ) أى موتهم

أو القيامة أو ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) أي لا خلف في موعده (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ) احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب (عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ) صالحة أو طالحة (بِمَا كَسَبَتْ) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) أي الأصنام (قُلْ سَمُّوهُمْ) أي سموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) على أم المنقطعة أي بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء والمراد نفي أن يكون له شركاء (أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) كيدهم للإسلام بشركهم (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) من أحد يقدر على هدايته (لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالقتل والأسر وأنواع المحن (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) أشد لدوامه (وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ) من حافظ من عذابه (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) كما تقول صفة زيد أسمر (أُكُلُهَا دَائِمٌ) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وَظِلُّهَا) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا) أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ) أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ

بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ) لأنهم كانوا لاينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم وكانو ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِ) هو جواب للمنكرين أى قل إنما أمرت فيما أنزل إلى بأن أعبد الله ولاأشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع إدعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (إِلَيْهِ أَدْعُوا) خصوصاً لا أدعو إلى غيره (وَإِلَيْهِ) لاإلى غيره (مَئَابِ) مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء (حُكْمًا عَرَبِيًّا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسـول الله ﷺ إلى أمور يشاركهم فيها فقيل (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مَالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ) أى لاينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهـذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين وأن لايزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) نساءاً وأولاداً (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِئَايَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ) أى ليس فى وسعه إتيان الآيات على مايقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) لكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ماتقتضيه حكمته (يَمْحُوا اللهُ مَايَشَآءُ) ينسخ مايشاء نسخه (وَيُثْبِتُ) بدله مايشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة مايشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه ويثبّت مدنى وشامى وحمزة وعلى (وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَـٰبِ) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه (وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وماوعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ) فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لاعليك

فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) أرض الكفرة (نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد فى دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة، والمعنى عليك البلاغ الذى حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ماوعدناك من النصرة والظفر (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) لاراد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه أى بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، ومحل لامعقب لحكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا (وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى كفار الأمم الخالية بأنبيائهم والمكر إرادة المكروه فى خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال (فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا) ثم فسر ذلك بقوله (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) يعنى العاقبة المحمودة لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة عما يراد بهم الكافر على إرادة الجنس حجازى وأبو عمرو (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود قالوا: لست مرسلا ولهذا قال عطاء هى مكية إلا هذه الآية (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) بما أظهر من الأدلة على رسالتى والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز (وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قيل هو الله عز وجل، والكتاب: اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أى ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته فى كتبهم وقال ابن سلام: فىّ نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن فى موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو فى موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور إذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذى والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت

بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه وفى القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء .

﴿سورة إبراهيم عليه السلام، مكية: اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓر كِتَٰبٌ) هو خبر مبتدأ محذوف أى هذا كتاب يعنى السورة والجملة التى هى (أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ) فى موضع الرفع صفة للنكرة (لِتُخْرِجَ النَّاسَ) بدعائك إياهم (مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ) من الضلالة إلى الهدى (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) بتيسيره وتسهيله مستعار من الإذن الذى هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (إِلَىٰ صِرَٰطِ) بدل من النور بتكرير العامل (الْعَزِيزِ) الغالب بالانتقام (الْحَمِيدِ) المحمود على الإنعام (اللَّهِ) بالرفع مدنى وشامى على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد (الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال (وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) وهو مبتدأ وخبره وصفة (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ) يختارون ويؤثرون (الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) عن دينه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل. الذين مبتدأ خبره (أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الإسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لأنه هو الذى يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده، أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى الذين أو هم الذين (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) إلا متكلما بلغتهم (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ماهو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له: لم نفهم ماخوطبنا به فإن قلت إن رسولنا ﷺ بعث إلى الناس جميعا بقوله قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو ما إن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا

حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحدوكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل (فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَآءُ) من آثر سبب الضلالة (وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ) من آثر سبب الاهتداء (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فلا يغالب على مشيئته (الْحَكِيمُ) فلا يخذل إلا أهل الخذلان (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ) التسع (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ) بأن اخرج أو أى اخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج قومك (مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ اللهِ) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها أو بأيام الإنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على البلايا (شَكُورٍ) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ) إذ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أى إنعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أى اذكروا وقت إنجائكم (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ) ذكر فى البقرة يذبحون وفى الأعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) الإشارة إلى العذاب والبلاء المحنة أو إلى الإنجاء والبلاء النعمة. ونبلوكم بالشر والخير فتنة (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) أى آذن ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد ولابد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لَئِن شَكَرْتُمْ) يابنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها (لَأَزِيدَنَّكُمْ) نعمة إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل إذا سمعت النعمة نغمة الشكر تأهبت للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لئن شكرتم بالجد فى الطاعة لأزيدنكم بالجد فى المثوبة (وَلَئِن كَفَرْتُمْ) ما أنعمت به عليكم

(إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) لمن كفر نعمتي أما في الدنيا فسلب النعم وأما في العقبى فتوالي النقم (وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ) يابني اسرائيل (وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) والناس كلهم (فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ) عن شكركم (حَمِيدٌ) وإن لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لابد لكم منه (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام (وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) الضميران يعودان إلى الكفرة أي أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجباً أو عضوا عليها تغيظاً أو الثاني يعود إلى الأنبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ) من الإيمان بالله والتوحيد (مُرِيبٍ) موقع في الريبة (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وإنا لفي شك (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ) إلى الإيمان (لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) إذا آمنتم ولم تجيء مع من إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين: هل أدلكم على تجارة إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد (وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى وقت قد سماه وبين مقداره (قَالُوا) أي القوم (إِنْ أَنتُمْ) ما أنتم (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) يعني الأصنام (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)تسليم

لقولهم إنهم بشر مثلهم (وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) بالإيمان والنبوة كما من علينا (وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الإتيان بالآية التى قد اقترحتموها ليس إلينا ولا فى استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم ألا ترى إلى قوله (وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ) ومعناه وأى عذر لنا فى أن لانتوكل عليه (وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا) وقد فعل بنا مايوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كلمنا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين قال أبو تراب: التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا) جواب قسم مضمر أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لايمسكوا عن دعائهم (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ) سبلنا لرسلهم أبو عمرو (لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ) من ديارنا (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا) أى ليكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد (فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ) القول مضمر أو أجرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ) أى أرض الظالمين وديارهم. فى الحديث «من آذى جاره ورثه الله داره» (ذَٰلِكَ) الاهلاك والاسكان أى ذلك الأمر حق (لِمَنْ خَافَ مَقَامِى) موقفى وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيامى عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك حق للمتقين (وَخَافَ وَعِيدِ) عذابى وبالياء يعقوب (وَٱسْتَفْتَحُوا۟) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى إليهم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ) وخسر كل متكبر بطر (عَنِيدٍ) مجانب للحق. معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل

جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (مِن وَرَآئِهِ) من بين يديه (جَهَنَّمُ) وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف (وَيُسْقَىٰ) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى (مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ) مايسيل من جلود أهل النار، وصديد عطف بيان لماء لأنه مبهم فبين بقوله صديد (يَتَجَرَّعُهُ) يشربه جرعة جرعة (وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ) ولايقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله: لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وَمَاهُوَ بِمَيِّتٍ) لأنه لو مات لاستراح (وَمِن وَرَآئِهِ) ومن بين يديه (عَذَابٌ غَلِيظٌ) أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها فى الأجساد (مَّثَلُ الَّذِينَ) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) الرياح مدنى (فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك. يوم ماطر، وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعقر الإبل للأضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الإيمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف (لاَّ يَقْدِرُونَ) يوم القيامة (مِمَّا كَسَبُوا) من أعمالهم (عَلَىٰ شَىْءٍ) أى لايرون له أثراً من ثواب كما لايقدر من الرماد المطير فى الريح على شىء (ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (أَلَمْ تَرَ) ألم تعلم الخطاب لكل أحد (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) خالق مضافاً حمزة وعلى (بِالْحَقِّ) بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثاً (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) بمتعذر (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) ويبرزون يوم القيامة وإنما جىء به بلفظ الماضى لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان

ووجد . ونحوه ونادى أصحاب الجنة، ونادى أصحاب النار، وغير ذلك، ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُا) فى الرأى وهم السفلة والأتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تابعين. جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أوذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذى هو عذاب الله أوهما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم (قَالُوا) لهم مجيبين معتذرين (لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ) أى لو هدانا الله إلى الإيمان فى الدنيا لهديناكم إليه أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى أنهم يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر (مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ الْأَمْرُ) حكم بالجنة والنار لأهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لأهل النار (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) وهو البعث والجزاء على الأعمال

خوف لكم بما وعدكم (وَوَعَدتُّكُمْ) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فَأَخْلَفْتُكُمْ) كذبتكم (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ) من تسلط واقتدار (إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ) لكنى دعوتكم إلى الضلالة بوسوستى وتزيينى والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) فأسرعتم إجابتى (فَلَا تَلُومُونِي) لأن من تجرد للعداوة لايلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم) حيث اتبعتمونى بلا حجة ولا برهان وقول المنزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين باطل لقوله لوهدانا الله أى إلى الإيمان لهديناكم كامر (مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ) لاينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولايغيثه والإصراخ الإغاثة بمصرخيِّ حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلاتجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ) وبالياء بصرى وما مصدرية (مِن قَبْلُ) متعلق بأشركتمونى أى كفرت اليوم بإشراككم إياى مع الله من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وماموصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عزوجل تقول أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا) عطف على برزوا (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) أى وصفه وبينه (كَلِمَةً طَيِّبَةً)

نصب بمضمر أى جعل كلة طيبة (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلة بضرب أى ضرب كلة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أى فى الأرض ضارب بعروقه فيها (وَفَرْعُهَا) وأعلاها ورأسها (فِى السَّمَاءِ) والكلمة الطيبة كلة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملا ولكن الأشجار لاتراد إلا للثمار فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت الإخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبياً فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ «ألا إنها النخلة» فقال عمر يابنى لو كنت قلتها لكانت أحب إلى من حمر النعم (تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (بِإِذْنِ رَبِّهَا) بتيسير خالقها وتكوينه (وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) لأن فى ضرب الأمثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) هى كلة الكفر (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) هى كل شجرة لايطيب ثمرها وفى الحديث أنها شجرة الحنظل (اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو فى مقابلة أصلها ثابت (مَالَهَا مِن قَرَارٍ) أى استقرار يقال قر الشىء قراراً كقولك ثبت ثبوتا شبه بها القول الذى لايعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُوا) أى يديمهم عليه (بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) هو قول لاإله إلا الله محمد رسول الله (فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) حتى إذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود وغير ذلك (وَفِى الْآخِرَةِ) الجمهور على أن المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال «ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين

آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيداً ومت حميداً نم نومة العروس» (وَيُضِلُّ اللهُ الظَّـٰلِمِينَ) فلا يثبتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شىء وهم فى الآخرة أضل وأزل (وَيَفْعَلُ اللهُ مَايَشَاءُ) فلا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ) أى شكر نعمة الله (كُفْرًا) لأن شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل مالزمهم من الشكر (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ) الذين تابعوهم على الكفر (دَارَ الْبَوَارِ) دار الهلاك (جَهَنَّمَ) عطف بيان (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (وَبِئْسَ الْقَرَارُ) وبئس القر جهنم (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) أمثالا فى العبادة أو فى التسمية (لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ) وبفتح الياء مكى وأبو عمرو (قُلْ تَمَتَّعُوا) فى الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع أن يقضى العبد مااستطاع من شهوته (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) مرجعكم إليها (قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) خصهم بالإضافة إليه تشريفاً وبسكون الياء شامى وحمزة وعلى والأعشى (يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ) المقول محذوف لأن قل تقتضى مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل إنه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) انتصبا على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى إخفاء التطوع وإعلان الواجب (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولامخالة والخلال المخالة وإنما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله. بفتحهما مكى وبصرى والباقون بالرفع والتنوين (اللهُ) مبتدأ (الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) خبره (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) من السحاب مطرا (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقاً هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقاً حال من المفعول (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَـٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ) دائبين وهو حال من الشمس والقمر أى يدأبان فى سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما

مايصلحان من الأرض والأبدان والنبات (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ماسألتموه أو وآتاكم من كل شيء سألتموه ومالم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر. من كلٍّ عن أبي عمرو وما سألتموه نفى وعمله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أوما موصولة أى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أوطلبتموه بلسان الحال (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) لاتطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله (إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ) بظلم النعمة بإغفال شكرها (كَفَّارٌ) شديد الكفران لها أوظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ) واذكر إذ قال إبراهيم (رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ) أى البلد الحرام (ءَامِنًا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التى يأمن أهلها وفى الثانى أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (وَاجْنُبْنِى) وبعدنى أى ثبتنى وأدمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أى ثبتنا على الاسلام (وَبَنِىَّ) أراد بنيه من صلبه (أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ) من أن نعبد الأصنام (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) جعلن مضلات على طريق التسبيب لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فَمَن تَبِعَنِى) على ملتى وكان حنيفاً مسلما مثلى (فَإِنَّهُ مِنِّى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (وَمَنْ عَصَانِى) فيما دون الشرك (فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أو ومن عصانى عصيان شرك فإنك غفور رحيم إن تاب وآمن (رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى) بعض أولادى وهم إسمعيل ومن ولد منه (بِوَادٍ) هو واد مكة (غَيْرِ ذِى زَرْعٍ) لا يكون فيه شيء من زرع قط (عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) هو بيت الله سمى به لأن الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ماحوله حرما لمكانه أو لأنه لم يزل ممنعاً يهابه كل جبار أو لأنه محترم عظيم الحرمة لايحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لأنه أعتق منه (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع إلا

ليقيموا الصلاة عنـد بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس ونـكرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها فى الآية نـكرة ليتناول بعض الأفئدة (تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ) تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقاً (وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ) مع سكناهم واديا مافيه شىء منها بأن تجلب إليهم من البلاد الشاسعة (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات فى واد ليس فيه شجر ولا ماء (رَبَّنَآ) النداء المكرر دليل التضرع واللجإ إلى الله (إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ) تعلم السر كما تعلم العلن (وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ) من كلام الله عز وجل تصديقاً لابراهيم عليه السلام أو من كلام إبراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شىء ما (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ) على بمعنى مع وهو فى موضع الحال أى وهب لى وأنا كبير (إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ) روى أن إسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وروى أنه ولد له إسمعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولأن الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان إذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر الله ما أكرمه به من إجابته وإضافة السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه (رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى) وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وإنما بعض لأنه علم بأعلام الله أنه يكون فى ذريته كفار، عن ابن عباس رضى الله عنهما لايزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم الساعة (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ) بالياء فى الوصل والوقف مكى، وافقه أبو عمرو وحمزة فى الوصل الباقون بلا ياء أى استجب دعائى أو عبادتى وأعتزلكم وماتدعون من دون الله (رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى

وَلِوَالِدَيَّ) أى آدم وحواء أوقاله قبل النهى واليأس عن إيمان أبويه (وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) أى يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لايحسب الله غافلا كقوله : ولاتكونن من المشركين، ولا تدع مع الله إلها آخر وكما جاء فى الأمر يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لايخفى عليه منه شىء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ) أى عقوبتهم (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ) أى أبصارهم لاتقر فى أماكنها من هول ماترى (مُهْطِعِينَ) مسرعين إلى الداعى (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) رافعيها (لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ) صفر من الخير لاتعى شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان جبانا لاقوة فى قلبه ولا جراءة وقيل: جُوف لاعقول لهم (وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لأنذر لاظرف إذ الانذار لا يكون فى ذلك اليوم (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى الكفار (رَبَّنَآ أَخِّرْنَا إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ) أى ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحدّ من الزمان قريب نتدارك مافرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَالَكُم مِّن زَوَالٍ) أى حلفتم فى الدنيا أنكم إذا متم لاتزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعنى كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد إيمانهم لايبعث الله من يموت ومالكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ القسمين لقيل مالنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فإنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب. يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ) بالكفر لأن السكنى من السكون وهو اللبث والأصل تعديته بفى نحو قر فى الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون

أى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لايحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ) بالأخبار أو المشاهـدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الـكلام أى تبين لـكم حالهم و (كَيْفَ) ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما نصب كيف بقوله (فَعَلْنَا بِهِمْ) أى أهلـكناهم وانتقمنا منهم (وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالأمثال المضروبة لـكل ظالم (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو مافعلوه من تأييد الـكفر وبطلان الإسلام (وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ) وهو مضاف إلى الفاعل كالأول والمعنى ومكتوب عنـد الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو إلى المفعول أى عند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) بكسر اللام الأولى ونصب الثانية والتقدير وإن وقع مكرهم لزوال أمر النبى ﷺ فعبر عن النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة وإن نافية واللام مؤكدة لما كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية علىٌّ، أى وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فإن مخففة من إن واللام مؤكدة (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ) يعنى قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى . مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف إلى وعده وهو المفعول الثانى له والأول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وإنما قدم المفعول الثانى على الأول ليعلم أنه لايخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحـدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب لا يماكر (ذُو انتِقَامٍ) لأوليائه من أعدائه وانتصاب (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوٰتُ) على الظرف للانتقام أو على إضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السماوات غير السماوات وإنما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد

يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفى الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل واختلف فى تبديل الأرض والسماوات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الأرض وإنما تغير. وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسماوات أخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسماوات من ذهب (وَبَرَزُوا) وخرجوا من قبورهم (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره كان الأمر فى غاية الشدة (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (مُقَرَّنِينَ) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين (فِي الْأَصْفَادِ) متعلق بمقرنين أى يقرنون فى الأصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين، والأصفاد القيود أو الأغلال (سَرَابِيلُهُم) قمصهم (مِّن قَطِرَانٍ) هو مايتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فيهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته وإسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين مانشاهد من جنسه مالا يقادر قدره وكأنه ماعندنا منه إلا الأسامى والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطر آن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره إناه (وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) تعلوها باشتمالها وخص الوجه لأنه أعز موضع فى ظاهر البدن كالقلب فى باطنه ولذا قال تطلع على الأفئدة (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) أى يفعل بالمجرمين مايفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المؤمنين بطاعتهم (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع العباد فى أسرع من لمح البصر (هَٰذَا) أى ماوصفه فى قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب (بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ) كفاية فى التذكير والموعظة (وَلِيُنذَرُوا

بِهِ) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا (وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ) ذوو العقول .

﴿ سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغرابة فى البيان (رُّبَمَا) بالتخفيف مدنى وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هى الكافة لأنها حرف يجر مابعده ويختص بالاسم النكرة فإذا كفت وقع بعدها الفعل الماضى والاسم وإنما جاز (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) لأن المترقب فى إخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود وودادتهم تكون عند النزع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لوكان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) حكاية ودادتهم وإنما جىء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وإنما قلل برب لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمنى فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال إن رب يعنى بها الكثرة سهو لأنه ضد مايعرفه أهل اللغة لأنها وضعت للتقليل (ذَرْهُمْ) أمر إهانة أى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) بدنياهم (وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ) ويشغلهم أملهم وأمانيهم من الإيمان (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدى إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين (وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما فى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف

بلا واو لجيء بالواو تأكيدا لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها فى حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لاوصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله (مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) فى موضع كتابها (وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ) أى عنه وحذف لأنه معلوم وأنث الأمة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى (وَقَالُوا) أى الكفار (يَأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) أى القرآن (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم. إنك لأنت الحليم الرشيد والمعنى إنك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله نزل عليك الذكر (لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ) لو ركبت مع لا وما لامتناع الشىء لوجود غيره أو للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا (مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) كوفى غير أبى بكر، تُنَزَّل الملائكة أبو بكر تَنَزَّل الملائكة أى تتنزل غيرهم (إِلَّا بِالْحَقِّ) إلا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ) إذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إذا وما أخر عذابهم (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ) وهو رد لإنكارهم واستهزائهم فى قولهم يأيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذى نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه وقد جعل قوله وإنا له لحافظون دليلا على أنه منزل من عنده آية إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير فى له لرسول الله ﷺ كقوله والله يعصمك (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا فى الفرق الأولين، والشيعة: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وَمَا يَأْتِيهِم) حكاية

حالماضية لأن مالا تدخل على المضارع إلا وهو فى معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال (مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يعزى نبيه عليه السلام (كَذَٰلِكَ) نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كما سلكنا الكفر أوالاستهزاء فىشيع الأولين نسلكه أى الكفر أو الاستهزاء فى قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط فى الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة فى الأصلح وخلق الأفعال (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالله أو بالذكر وهو حال (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) مضت طريقتهم التى سنها الله فى إهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) يصعدون (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) حيرت أو حبست من الإبصار من السكر أو من السكر، سكرت مكى أى حبست كما يحبس النهر من الجرى والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شىء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ) خلقنا فيها (بُرُوجًا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وَزَيَّنَّاهَا) أى السماء (لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا) أى السماء (مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ) ملعون أو مرمى بالنجوم (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) أى المسموع ومن فى محل النصب على الاستثناء (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) نجم ينقض فيعود (مُّبِينٌ) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السماوات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) بسطناها من تحت الكعبة، والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) فى الأرض جبالا ثوابت (وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس

والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل إلى الوزن (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا) فى الأرض (مَعَايِشَ) ما يعاش به من الطعام جمع معيشة وهى بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فإن تصريح الياء فيها خطأ (وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من فى محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أوجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحوذلك ولايجوز أن يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور فى لكم لأنه لايعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى ومامن شىء ينتفع به العباد إلاونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به ومانعطيه إلا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) جمع لاقحة أى وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب فى جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم. الريح حمزة (فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) فجعلناه لكم سقيا (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) نفى عنهم ماأثبته لنفسه فى قوله: وإن من شىء إلاعندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ) أى نحيي بالإيجاد ونميت بالإفناء أونميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الأعمال على التقديم والتأخير إذالواو للجمع المطلق (وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعدفنائه (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الإسلام أو فى الطاعة أو فى صف الجماعة أو فى صف الحرب ومن تأخر (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) باهر الحكمة واسع العلم (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) أى آدم (مِن صَلْصَالٍ) طين يابس غير مطبوخ (مِّنْ حَمَإٍ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمإ أى طين أسود متغير (مَّسْنُونٍ) مصور

رى الأول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض (وَالْجَانَّ) أبا الجن كآدم للناس أو هو إبليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره (خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ) من قبل آدم (مِن نَّارِ السَّمُومِ) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ) واذكر وقت قوله (لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمة نفخ وإنما هو تمثيل والإضافة للتخصيص (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الأرض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لأنه جواب إذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الأمر عن وقت الفعل (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (إِلَّا إِبْلِيسَ) ظاهر الإستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا وقال فى الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم إلا هندا (أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن إبليس أبى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى إبائك السجود (قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى أن أسجد (لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لأن اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ) ضرب يوم الدين حدا للعنة لأنه أبعد غاية يضربها الناس فى كلامهم والمراد به إنك مذموم مدعو عليك باللعنة فى السماوات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي) فأخرنى (إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) الباء للقسم ومامصدرية وجواب القسم لأزين لهم ومعنى أقسم بإغوائك إياى (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ) المعاصى ونحوه قوله بماأغويتنى لأزين لهم. فبعزتك لأغوينهم فى أنه اقسام إلا أن أحدهما اقسام بصفه الذات والثانى بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والأصح أن الأيمان مبنية على العرف فماتعارف الناس الحلف به يكون يمينا ومالا فلا والآية حجة على المعتزلة فى خلق الأفعال. وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر (فِي الْأَرْضِ) فى الدنيا التى هى دار الغرور وأراد إنى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو فى السماء فأنا على التزيين لأولاده فى الأرض أقدر (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لايعمل فيهم ولايقبلونه منه (قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) أى هذا طريق حق علىّ أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على إلى. علىٌّ يعقوب من علو الشرف والفضل (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) الضمير للغاوين (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ) من أتباع إبليس (جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) وبضم العين مدنى وبصرى وحفص. المتقى على الإطلاق من يتقى مايجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال فى الشرح إن دخل أهل الكبائر فى قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر وإلا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادْخُلُوهَا) أى يقال لهم ادخلوها (بِسَلَامٍ) حال أى سالمين أو مسلماً

عليكم تسلم عليكم الملائكة (ءامِنِينَ) من الخروج منهما والآفات فيها وهو حال أخرى (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) وهو الحقد الكامن فى القلب أى إن كان لأحدهم غل فى الدنيا على آخر نزع الله ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه : أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (إِخْوَانًا) حال (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ) كذلك قيل تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ) فى الجنة تعب (وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ) فتمام النعمة بالخلود، ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ) تقريراً لما ذكر وتمكينا له فى النفوس قال عليه السلام «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه فى العبادة ولما أقدم على ذنب» وعطف (وَنَبِّئْهُمْ) وأخبر أمتك. عطفه على نبىء عبادى ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم (عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ) أى أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجىء واحدا وجمعا لأنه مصدر ضافه (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قَالَ) أى إبراهيم (إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) خائفون لامتناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغير وقت (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) لاتخف (إِنَّا نُبَشِّرُكَ) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أى إنك مبشر آمن فلا توجل. وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ) هو إسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها بإسحق (قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ) أى أبشرتمونى مع مس الكبر بأن يولد لى أى أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأى أعجوبة تبشرون ، وبكسر النون والتشديد مكى والأصل تبشرونني فأدغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها. تبشرون بالتخفيف نافع والأصل تبشرونني فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين، والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ) باليقين الذى لا لبس فيه (فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ)

من الآيسين من ذلك (قَالَ) إبراهيم (وَمَن يَقْنَطُ) وبكسر النون بصرى وعلى (مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ) إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله: إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعاداً له فى العادة التى أجراها (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) فما شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) أى قوم لوط (إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى مجرمين كأنه قيل إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لأن آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الإرسال يعنى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء وإذا انقطع الاستثناء جرى (إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ) مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم (إِلاَّ امْرَأَتَهُ) مستثنى من الضمير المجرور فى لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه بأن يقول أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته وهنا قد اختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء. لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى (قَدَّرْنَا) وبالتخفيف أبو بكر (إِنَّهَا لَمِنَ الْغَـٰبِرِينَ) الباقين فى العذاب قيل لولم تكن اللام فى خبرها لوجب فتح إن لأنه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ) أى لا أعرفكم أى ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقونى بشر (قَالُوا بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) أى ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك

من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ) باليقين من عذابهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فى الإخبار بنزوله بهم (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) فى آخر الليل أو بعد مامضى شىء صالح من الليل (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ) لئلا يروا ماينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لأن من يلتفت لابد له فى ذلك من أدنى وقفة (وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) حيث أمركم الله بالمضى إليه وهو الشام أو مصر (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ) عدى قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضياً مبتوتاً وفسر ذلك الأمر بقوله (أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ) وفى إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ودابرهم آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم أحد (مُّصْبِحِينَ) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور (يَسْتَبْشِرُونَ) بالملائكة طمعاً منهم فى ركوب الفاحشة (قَالَ) لوط (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) بفضيحة ضيفى لأن من أساء إلى ضيفى فقد أساء إلىّ (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ) أى ولا تذلونى بإذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان. وبالياء فيهما يعقوب (قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم (إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ماحرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات (يَعْمَهُونَ) يتحيرون فيكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك أو الخطاب لرسول الله ﷺ وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعُمر والعَمر واحد وهو البقاء إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح إيثارا للأخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ)

صيحة جبريل عليه السلام (مُشْرِقِينَ) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا) رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهرة (وَإِنَّهَا) وإن هذه القرى يعنى آثارها (لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد. وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) لأنهم المنتفعون بذلك (وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وإن الأمر والشأن كان أصحاب الأيكة أى الغيضة (لَظَالِمِينَ) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فأهلكناهم لما كذبوا شعيباً (وَإِنَّهُمَا) يعنى قرى قوم لوط والأيكة (لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء لأنهما مما يؤتم به (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ) هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحاً لأن كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرسل جميعاً فمن كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعاً أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير وأصحابه (وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) أى ينقبون فى الجبال بيوتاً أو يبنون من الحجارة (آمِنِينَ) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن نقب اللصوص والأعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) العذاب (مُصْبِحِينَ) فى اليوم الرابع وقت الصبح (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الأموال النفيسة (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) إلا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال (وَإِنَّ السَّاعَةَ) أى القيامة لتوقعها كل ساعة (لَآتِيَةٌ) وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) فاعرض عنهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ) الذى خلقك وخلقهم (الْعَلِيمُ)

بحالك وحالهم فلا يخفى عليه مايجرى بينكم وهو يحكم بينكم (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (مِّنَ ٱلْمَثَانِى) هى من التثنية وهى التكرير لأن الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله والواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله وإذا جعلت السبع مثانى فمن للتبيين وإذا جعلت القرآن مثانى فمن للتبعيض (وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لأنه إذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف وإذا أريد به الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) أى لاتطامح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (إِلَىٰ مَامَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعنى قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وإن عظمت فهى إليها حقيرة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا وفى الحديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وحديث أبى بكر «من أوتى القرآن فرأى أن أحداً أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيراً» (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أى لاتتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام والمسلمون (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفساً عن إيمان الاغنياء (وَقُلْ) لهم (إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (كَمَآ أَنزَلْنَا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ) وهم أهل الكتاب (ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو أريد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم

وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير أى أنذر المعضين الذين يجزّئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله. ولا تعدن عينيك على الوجه الأول اعتراض بينهما لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بكليته على المؤمنين (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله ﷺ أو فى القرآن أو فى كتب الله (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو الإبانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع لحذف الجار كقوله : * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به *
(وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) هو أمر استهانة بهم (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) الجمهور على أنها نزلت فى خمسة نفر كانوا يبالغون فى إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبّال فتعلق بثوبه سهم فأصاب عرقاً فى عقبه فقطعه فمات، والعاص ابن وائل دخل فى أخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات، والأسود بن عبد المطلب عمى، والأسود ابن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، والحارث بن قيس امتخط قيحا ومات (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم يوم القيامة (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) فيك أو فى القرآن أو فى الله (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (وَاعْبُدْ رَبَّكَ) ودم على عبادة ربك (حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أى الموت يعنى مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

﴿ سورة النحل مكية ، وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كانوا يستعجلون ماوعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ) أى هو بمنزلة الآتى الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم، فما موصولة أو مصدرية واتصال هـذا باستعجالهم من حيث إن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بِالرُّوحِ) بالوحى أو بالقرآن لأن كلا منهما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا) أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى أعلموا الناس قولى لا إله إلا أنا فاتقون فخافون. وبالياء يعقوب، ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وبالتاء فى الموضعين حمزة وعلى، وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) أى فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهى رميم وهو وصف للإنسان بالوقاحة والتمادى فى كفران النعمة وخلق مالا بد منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ) هى الأزواج الثمانية وأكثر مايقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الإنسان أى خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أى ماخلقها إلا لكم ياجنس الإنسان (فِيهَا دِفْءٌ) هو اسم مايدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (وَمَنَافِعُ) وهى نسلها ودرها (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لأن الأكل منها هو الأصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج

والبط وصيد البر والبحر فكثير المتدبه وكالجارى مجرى التفكه (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشى (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) ترسلونها بالغداة إلى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشى لأن الرعيان إذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة تزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وإنما قدمت الإراحة على التسريح لأن الجمال فى الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) أحمالكم (إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ) وبفتح الشين أبو جعفر وهما لغتان فى معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الإبل إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم أو معناه لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والإنس ومنه وأخرجت الأرض أثقالها أى بنى آدم (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) عطف على الأنعام أى وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل بأنه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره فى الأنعام ومنفعة الأكل أقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر فى مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق مالا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ومنْ هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) المراد به الجنس ولذا قال (وَمِنْهَا جَائِرٌ) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله إن علينا للهدى وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شىء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه وإلى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ومنها جائر أى من السبيل مائل عن الاستقامة (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بصد

الهدى العام (هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ) لكم متعلق بأنزل أو خبر لشراب وهو مايشرب (وَمِنْهُ شَجَرٌ) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى (فِيهِ تُسِيمُونَ) من سامت الماشية إذا رعت فهى سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لأنها تؤثر بالرعى علامات فى الأرض (يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا فى الجنة وإنما أنبت فى الأرض بعض من كلها للتذكرة (إِنَّ فِى ذَالِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ) بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخرات شامى على الابتداء والخبر (إِنَّ فِى ذَالِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) جمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ) معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مُخْتَلِفًا) حال (أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَالِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وإنما لايحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحما لأن مبنى الإيمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً) هى اللؤلؤ والمرجان (تَلْبَسُونَهَا) المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها (فِيهِ) فى البحر (وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) هو عطف على محذوف أى لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ماأنعم عليكم به(وَأَلْقَىٰ فِى الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (أَن تَمِيدَ بِكُمْ) كراهية أن تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الأرض فجعلت تميد فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وَأَنْهَارًا) وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل (وَسُبُلًا) طرقا (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم أو إلى توحيد

وبكم (وَعَلَٰمَٰتٍ) هى معالم الطرق وكل مايستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فإن قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (أَفَمَن يَخْلُقُ) أى الله تعالى (كَمَن لَّا يَخْلُقُ) أى الأصنام وجيء بمن الذى هو لأولى العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم أو لأن المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده وإنما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة فى خلق الأفعال (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر وإنما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن ماوراءها لا ينحصر ولا يعد (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (مِن دُونِ اللَّهِ) وبالتاء غير عاصم (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَٰتٌ) أى هم أموات (غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) نفى عنهم خصائص الإلهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث، ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين أى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لابد من البعث (إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) أى ثبت بما مر أن الإلهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم

واحد (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) للوحدانية (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) عنها وعن الإقرار بها (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) أى سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) عن التوحيد يعنى المشركين (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لهؤلاء الكفار (مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ماذا منصوب بأنزل أى أى شىء أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أى أى شىء أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أساطير الأولين أى أحاديث الأولين وأباطيلهم وإحدتها أسطورة وإذا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ يخبرونهم بصدقه وأنه نبى فهم الذين قالوا خيراً (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) أى قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بِغَيْرِ عِلْمٍ) حال من المفعول أى يضلون من لايعلم أنهم ضلال (أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) على ما رفع (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) أى من جهة القواعد وهى الأساطين وهذا تمثيل يعنى أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا، والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أى أمره بالاستئصال (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) يذلهم بعذاب الخزى سوى ماعذبوا به فى الدنيا (وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ) على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقونِ نافع أى تشاقوننى فيهم لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) أى الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم أو هم الملائكة (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ) الفضيحة (وَالسُّوءَ)

العذاب ﴿عَلَى الْكَـٰفِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ﴾ وبالياء حمزة وكذا مابعده (ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) بالكفر بالله (فَأَلْقَوُا السَّلَمَ) أى الصلح والاستسلام أى أخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ) وجحدوا ماوجد منهم من الكفران والعداوة فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضاً من الشماتة وكذلك (فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) وإنما نصب هذا ورفع أساطير لأن التقدير هنا أنزل خيراً فأطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الأولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا) أى آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا إله إلا الله (حَسَنَةٌ) بالرفع أى ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خيراً حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة إحسانهم (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) أى لهم فى الآخرة ماهو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جَنَّـٰتُ عَدْنٍ) خبر لمبتدأ محذوف أو هو المخصوص بالمدح (يَدْخُلُونَهَا) حال (تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ طَيِّبِينَ) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ) قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك ، فقال : السلام عليك ياولى الله ، الله يقرأ عليك السلام، ويبشره بالجنة ويقال لهم فى الآخرة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) بعملكم (هَلْ يَنظُرُونَ) ما ينتظر هؤلاء الكفار (إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ) لقبض أرواحهم . وبالياء على وحمزة (أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ) أى العذاب المستأصل أو القيامة (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بتدميرهم (وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا) جزاء سيئات أعمالهم (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) وأحاط بهم جزاء استهزائهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا)

هـــذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لكان صواباً (وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ) يعنى البحيرة والسائبة ونحوها (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) بأن وحدوه (وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ) الشيطان يعنى طاعته (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ) لاختيارهم الهدى (وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَٰلَةُ) أى لزمته لاختياره إياها (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمـــانهم وأعلمه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) بفتح الياء وكسر الدال كوفى الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذى أعد لهم (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) معطوف على وقال الذين أشركوا (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ) هو إثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعدحق (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن وعده حق أو أنهم يبعثون (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) هو الحق (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ) فى قولهم لا يبعث الله من يموت (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) أى فهو يكون وبالنصب شامى وعلى، على جواب. كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى إذا أردنا وجود شىء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد تبين أن مراداً لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) فى حقه ولو جهه

(مِن بَعْدِ مَاظُلِمُوا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أو لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) الوقف لازم عليه لأن جواب (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) محذوف والضمير للكفار أى لو علموا ذلك لرغبوا فى الدين أو للمهاجرين أى لو كانوا يعلمون لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الَّذِينَ صَبَرُوا) أى هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أى يفوضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم فى دين الله. ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً نزل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) ـيوحى إليهم ـ على ألسنة الملائكة. نوحى حفص (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين (إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) أى بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبينات أو بأرسلنا مضمراً كأنه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بيوحى أى يوحى إليهم بالبينات أو بلا تعلمون، وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) القرآن (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ) فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فى تنبيهاته فينتبهوا (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) أى المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كما فعل بمن تقدمهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) أى بغتة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم (فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ) متخوفين وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لايشعرون (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع مافيكم فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أَوَلَمْ يَرَوْا) وبالتاء حمزة وعلى وأبو

بكر (إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ) أى يرجع من موضع إلى موضع. وبالتاء بصرى (عَنِ الْيَمِينِ) أى الأيمان (وَالشَّمَآئِلِ) جمع شمال (سُجَّدًا لِّلَّهِ) حال من الظلال. عن مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شىء (وَهُمْ دَٰخِرُونَ) صاغرون وهو حال من الضمير فى ظلاله لأنه فى معنى الجمع وهو ماخلق الله من كل شىء له ظل وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أو لم يروا إلى ماخلق الله من الأجرام التى لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أى ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام فى أنفسها داخرة أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ) من بيان لما فى السموات وما فى الأرض جميعاً على أن فى السموات خلقاً يدبون فيها كما تدب الأناسى فى الأرض أو بيان لما فى الأرض وحده والمراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله (وَالْمَلَٰٓئِكَةُ) ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجىء بما إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جىء بمن لتناول العقلاء خاصة (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم) هو حال من الضمير فى لايستكبرون أى لا يستكبرون خائفين (مِّن فَوْقِهِمْ) إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهراً كقوله وهو القاهر فوق عباده (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى وأنهم بين الخوف والرجاء (وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعنىّ به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل

أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترغيب من قوله فإياى فارهبوا . فارهبونى يعقوب ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾ أى الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ واجبا ثابتا لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو وله الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ وأى شىء اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ فهو من الله ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ المرض والفقر والجدب ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ الخطاب فى وما بكم من نعمة إن كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وإن كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هو عدول إلى الخطاب على التهديد ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أى لآلهتهم ومعنى لايعلمون أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لأنها جماد لا تضر ولا تنفع أو الضمير فى لا يعلمون للآلهة أى لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعنى البنين ويجوز فى ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات، وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أى صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره

مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وَهُوَ كَظِيمٌ) مملوء حنقا على المرأة (يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) يستخفى منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ) أيمسك مابشر به على هون وذل (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) أم يئده (أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) حيث يجعلون الولد الذى هـذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ) صفة السوء وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث، ووأدهن خشية الإملاق (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب فى تنفيذ ما أراد (الْحَكِيمُ) فى إمهال العباد (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم) بكفرهم ومعاصيهم (مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا) على الأرض (مِن دَآبَّةٍ) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه إن الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب (وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) عند الله وهى الجنة إن كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ) مفرِطون نافع مفرَّطون أبو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء إذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات أى التقصير فيها (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) أى أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من الأمم (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) من الكفر والتكذيب بالرسل (فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ) أى قرينهم فى الدنيا تولى إضلالهم بالغرور أو الضمير لمشركى قريش أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لأنهم منهم أو هو على حذف

المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى القيامة (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ) للناس (الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ) هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به (وَهُدًى وَرَحْمَةً) معطوفان على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع انصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ) وبفتح النون نافع وشامى وأبوبكر. قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الأنعام فى الأسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير إليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما فى بطونه (مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش ثم ينحدر وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما فى بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق (وَمِن ثَمَرَٰتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَٰبِ) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) بيان وكشف من كنه الإسقاء أو تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير فى منه يرجع إلى المضاف المحذوف الذى هو العصير، والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما

الله إلى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام «الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب» وبأخبار جمة (وَرِزْقًا حَسَنًا) هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) وألهم (أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن فى من الجبال (وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التى تعسل فيها للتبعيض لأنها لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو إذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها (ذُلُلًا) جمع ذلول وهى حال من السبل لأن الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ) يريد العسل لأنه مما يشرب تلقيه من فيها (مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها (فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) لأنه من جملة الأدوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل. وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذى فيه أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة فى الإثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام «اسقه عسلا» فجاءه وقال زاده شرا فقال عليه السلام «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا» فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض أن المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم أن رجلا قال عند المهدى إنما النحل بنوهاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أعطى أولى العقول عقولهم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) بقبض أرواحكم من

أبدانكم (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بحكم التحويل إلى الأرذل من الأكمل أو إلى الإفناء من الإحياء (قَدِيرٌ) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا) فى الرزق يعنى الملاك (بِرَادِّي) بمعطى (رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم (فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) جملة اسمية وقعت فى موضع جملة فعلية فى موضع النصب لأنه جواب النفى بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم فى الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) أى من جنسكم (وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً) جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت • وإليك نسعى ونحفد • واختلف فيه فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) أى بعضها لأن كل الطيبات فى الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها (وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ) أى الإسلام (هُمْ يَكْفُرُونَ) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد ﷺ أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها ونعمة الله ما أحل لهم (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا) أى الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا أى لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أى قليلا ومن السماوات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا أى لا يرزق من السماوات مطرا ولا من الأرض نباتا، وصفة إن كان اسما لما يرزق والضمير فى (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) لما لأنه فى

معنى الآلهة بعد ماقال لايملك على اللفظ والمعنى لايملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) فلا تجعلوا لله مثلا فإنه لامثل له أى فلا تجعلوا له شركاء (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) أنه لامثل له من الخلق (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك أو إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول ثم ضرب المثل فقال (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا) هو بدل من مثلا (مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) مصدران فى موضع الحال أى مثلكم فى إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً إذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أى وحرا رزقناه ليطابق عبدا أو موصولة (هَلْ يَسْتَوُونَ) جمع الضمير لإرادة الجمع أى لايستوى القبيلان (الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) بأن الحمد والسادة لله ثم زاد فى البيان فقال (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ) الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ) حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير (وَهُوَ) فى نفسه (عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللأصنام التى هى أموات لاتضر ولا تنفع (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى يختص به علم ماغاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ) فى قرب كونها وسرعة قيامها (إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ) كرجع طرف وإنما ضرب به المثل لانه لايعرف زمان أقل منه (أَوْ هُوَ) أى الامر (أَقْرَبُ) وليس هذا لشك المخاطب ولكن المعنى كونوا فى كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب

(إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعاً لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة فى أمهات للتوكيد كما زيدت فى أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها فى الواحدة (لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) حال أى غير عالمين شيئاً من حق النعم الذى خلقكم فى البطون (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أى وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر النعم وعبادته والقيام بحقوقه والأفئدة فى فؤاد كالأغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع فى غيرها (أَلَمْ يَرَوْا) وبالتاء شامى وحمزة (إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك (فِي جَوِّ السَّمَاءِ) هو الهواء المتباعد من الأرض فى سمت العلو (مَا يُمْسِكُهُنَّ) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (إِلَّا اللَّهُ) بقدرته وفيه نفى لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بأن الخلق لاغنى به عن الخالق (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) هو فعل بمعنى مفعول أى مايسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف (وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) هى قباب الأدم (تَسْتَخِفُّونَهَا) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) بسكون العين كوفى وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) قراركم فى منازلكم والمعنى أنها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على أن اليوم بمعنى الوقت (وَمِنْ أَصْوَافِهَا) أى أصواف الضأن (وَأَوْبَارِهَا) وأوبار الإبل (وَأَشْعَارِهَا) وأشعار المعز (أَثَاثًا) متاع البيت (وَمَتَاعًا) وشيئاً ينتفع به (إِلَىٰ حِينٍ) مدة من الزمان (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) كالأشجار والسقوف (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) جمع كن وهو ماسترك من كهف أوغار (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تَقِيكُمُ الْحَرَّ) وهى تقى البرد أيضاً إلا أنه اكتفى بأحد الضدين ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم ، والبأس : شدة الحرب

والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لأن الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ) التى عددناها بأقوالهم فإنهم يقولون إنها من الله (ثُمَّ يُنكِرُونَهَا) بأفعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو فى الشدة ثم فى الرخاء (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ) أى الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد ﷺ كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (وَيَوْمَ) انتصابه باذكر (نَبْعَثُ) نحشر (مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) نبياً يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) فى الاعتذار والمعنى لاحجة لهم فدل بترك الإذن على أن لاحجة لهم ولا عذر (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ولاهم يسترضون أى لايقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أنهم يمنون أى يبتلون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ) أى العذاب بعد الدخول (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون قبله (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ) أوثانهم التى عبدوها (قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء (الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ) أى نعبد (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ) أى أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادا لاتعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وَأَلْقَوْا) يعنى الذين ظلموا (إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ) إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار فى الدنيا (وَضَلَّ عَنْهُم) وبطل عنهم (مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم (الَّذِينَ كَفَرُوا) فى أنفسهم (وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وحملوا غيرهم على الكفر (زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) أى عذاباً بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله (بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) بكونهم مفسدين الناس بالصد (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى

كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ) يعنى نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم (وَجِئْنَا بِكَ) يامحمد (شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ) على أمتك (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰناً) بليغاً (لِّكُلِّ شَيْءٍ) من أمور الدين أما فى الأحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الإجماع فيه بقوله : ويتبع غيرسبيل المؤمنين. وقد رضى رسول الله ﷺ لأمته باتباع أصحابه بقوله «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله فاعتبروا ياأولى الأبصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابى والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شىء (وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذى حق إلى حقه (وَالْإِحْسَٰنِ) إلى من أساء إليكم أوهما الفرض والندب لأن الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وَإِيتَآئِ ذِي الْقُرْبَىٰ) وإعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم (وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ) عن الذنوب المفرطة فى القبح (وَالْمُنكَرِ) ماتنكره العقول (وَالْبَغْيِ) طلب التطاول بالظلم والكبر (يَعِظُكُمْ) حال أو مستأنف (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنه قال ما كنت أسلمت إلاحياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الإسلام ولم يستقر الإيمان فى قلبى حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهى أجمع آية فى القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ) هى البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ) أيمان البيعة (بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً) شاهداً ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به

مهيمن عليه (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) من البر والحنث فيجازيكم به (وَلَا تَكُونُوا) فى نقض الأيمان (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ) كالمرأة التى أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أَنكَاثًا) جمع نكث وهو ماينكث فتله قيل هى ريطة وكانت حمقاء تنزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ) حال كأنكاثا (دَخَلًا) أحد مفعولى تتخذ أى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بَيْنَكُمْ) أى مفسدة وخيانة (أَن تَكُونَ أُمَّةٌ) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ) هى أزيد عدداً وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين. هى أربى مبتدأ وخبره فى موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل تكون وهى تامة وهى ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ) الضمير للمصدر أى إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) حنيفة مسلمة (وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ) من علم منه اختيار الضلالة (وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) من علم منه اختيار الهداية (وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يوم القيامة فتجزون به (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيداً عليهم وإظهارا لعظمه (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وإنما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة (وَتَذُوقُوا السُّوءَ) فى الدنيا (بِمَا صَدَدتُّمْ) بصدودكم (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (وَلَا تَشْتَرُوا) ولا تستبدلوا (بِعَهْدِ اللَّهِ) وبيعة رسول الله ﷺ (ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا من الدنيا يسيرا كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبتهم الله (إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ)

من ثواب الآخرة (هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِندَكُمْ) من أعراض الدنيا (يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ) من خزائن رحمته (بَاقٍ) لا ينفد (وَلَنَجْزِيَنَّ) وبالنون مكي وعاصم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين ومشاق الإسلام (أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ) من مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الوعد النوعين (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) شرط الإيمان لأن أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) أي في الدنيا لقوله (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والإعراض عما سوى الله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) فإذا أردت قراءة القرآن (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) فعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب له والفاء للتعقيب إذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (مِنَ الشَّيْطَانِ) يعني إبليس (الرَّجِيمِ) المطرود أو الملعون. قال ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام» (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ) لإبليس (سُلْطَانٌ) تسلط وولاية (عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يتخذونه وليا ويتبعون وساوسه (وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ) الضمير يعود إلى ربهم أو إلى الشيطان أي بسببه (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ) هو جواب إذا. وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون

بالأشق (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) الحكمة فى ذلك (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) أى جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم (مِن رَّبِّكَ) من عنده وأمره (بِالْحَقِّ) حال أى نزله ملتبسا بالحكمة (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وَهُدًى وَبُشْرَىٰ) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة (لِلْمُسْلِمِينَ) وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى أو عبدان: جبر، ويسار كانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله ﷺ يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسى (لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) وبفتح الياء والحاء حمزة وعلى (أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ) أى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمى غير بين وهذا القرآن لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم وهذه الجملة أعنى لسان الذى يلحدون إليه أعجمى لا محل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) أى القرآن (لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ) ماداموا مختارين الكفر (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة على كفرهم (إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ) على الله (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) أى إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم إنما أنت مفتر (وَأُولَٰئِكَ) إشارة إلى الذين لا يؤمنون أى وأولئك (هُمُ الْكَٰذِبُونَ) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون فى قولهم إنما أنت مفتر جوزوا أن يكون (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦ) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ) ساكن به (وَلَٰكِن

مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً) أى طاب به نفسا واعتقده (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبتدأ الذى هو أولئك أى ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وأن ينتصب على الذم روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقدقتلا وهما أول قتيلين فى الإسلام فقيل لرسول الله ﷺ إن عمارا كفر فقال «كلا إن عمار ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكى فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال «مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» وما فعل أبو عمار أفضل لأن فى الصبر على القتل إعزازا للإسلام (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا) آثروا (الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) أى بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة (وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ) ماداموا مختارين الكفر (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ) فلا يتدبرون ولا يصغون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ) أى الكاملون فى الغفلة لأن الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة أى أنه لهم لا عليهم يعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا) بالعذاب والإكراه على الكفر فتنوا شاذى أى بعد ماعذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثُمَّ جَٰهَدُوا) المشركين بعد الهجرة (وَصَبَرُوٓا) على الجهاد (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) من بعد هذه الأفعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لَغَفُورٌ) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رَّحِيمٌ) لا يعذبهم على ما قالوا فى حالة الإكراه (يَوْمَ تَأْتِى) منصوب برحيم أو باذكر (كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا)

وإنما أضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كلٌّ يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم: هؤلاء أضلونا. ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) تعطى جزاء عملها وافيا (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) في ذلك (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً) أي جعل القرية التي هـــذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها (كَانَتْ ءَامِنَةً) من القتل والسبي (مُّطْمَئِنَّةً) لايزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) واسعا (مِّن كُلِّ مَكَانٍ) من كل بلد (فَكَفَرَتْ) أهلها (بِأَنْعُمِ اللَّهِ) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) الإذاقة واللباس استعارتان والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك أن الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه مايدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ماغشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ) أي محمد ﷺ (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) أي في حال التباسهم بالظلم قالوا إنه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله ﷺ وجه إلى أهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال «الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع» (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) على يدي محمد ﷺ (حَلَالًا طَيِّبًا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الأموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب (وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم

بأهوائهم فقال (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) إنما للحصر أى المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباق الآية قد مر تفسيره (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ) هو منصوب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم: مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحى أو إلى القياس المستنبط منه واللام مثلها فى قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب أى ولا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كأنه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام فى (لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) هو خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ) فى سورة الأنعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بالتحريم (وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) من بعد التوبة (لَغَفُورٌ) بتكفير ما كانوا قبل من الجرائم (رَحِيمٌ) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) إنه كان وحده أمة من الأمم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله :

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس

ليأخذوا معه الخير (قَانِتاً لِلَّهِ) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه إن معاذاً كان أمة قانتاً لله فقيل له إنما هو إبراهيم عليه السلام فقال الأمة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضى الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أبو عبيدة أمين هذه الأمة » ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون » (حَنِيفاً) مائلا عن الأديان إلى ملة الإسلام (وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) نفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش لزعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ) روى أنه كان لايتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافانى وابتلاكم (اجْتَبَاهُ) اختصه واصطفاه للنبوة (وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إلى ملة الإسلام (وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) نبوة وأموالا وأولادا أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلى منا كما صليت على إبراهيم (وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) لمن أهل الجنة (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِين) فى ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) أى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) روى أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لأن بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لايصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ) إلى الإسلام (بِالْحِكْمَةِ) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) وهى التى لايخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ماينفعهم فيها أو بالقرآن أى

ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة أوالحكمة المعرفة بمراتب الأفعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ) سمى الفعل الأول عقوبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبى عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال «أما والذى أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك» فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الأخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) الضمير فى لهو يرجع إلى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله ﷺ (وَاصْبِرْ) أنت فعزم عليه بالصبر (وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) أى بتوفيقه وتثبيته (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) على الكفار أن لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) ضيق مكى والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) أى هو ولى الذين اجتنبوا السيئات وولى العاملين بالطاعات قيل من اتقى فى أفعاله وأحسن فى أعماله كان الله معه فى أحواله. ومعيته نصرته فى المأمور وعصمته فى المحظور .

﴿ سورة الإسراء[1] مكية : وهى مائة وعشر آيات بصرى وإحدى عشرة آية كوفى وشامى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سُبْحَٰنَ) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ) محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان (لَيْلًا) نصب على الظرف وقيده بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة (مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) قيل أسرى به من دار أم هانىء بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر ، فقد قال عليه السلام : « بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى إلى السماء فى تلك الليلة » وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشاً عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضاً بما رأى فى السماء من العجائب وأنه لقى الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة، وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : والله مافقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه. وعن معاوية مثله وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم (إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا) هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد(ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة (لِنُرِيَهُۥ) أى محمداً عليه السلام (مِنْ ءَايَٰتِنَآ) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات ومافيها من الآيات (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ) للأقوال (ٱلْبَصِيرُ) بالأفعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم إنه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ) أى الكتاب وهو التوراة (هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟) أى لاتتخذوا وبالياء أبو عمرو

(١) وفى بعض النسخ سورة بنى إسرائيل

أى لئلا يتخذوا (مِن دُونِي وَكِيلًا) ربا تكلون إليه أموركم (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) نصب على الاختصاص أوعلى النداء فيمن قرأ لاتتخذوا بالتاء على النهى أى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا على نوح (إِنَّهُ) إن نوحا عليه السلام (كَانَ عَبْداً شَكُوراً) فى السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولايشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقدعرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الأبناء كذلك (وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون فى الأرض لا محالة. والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن فى الأرض (مَرَّتَيْنِ) أولاهما قتل زكرياء عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والأخرى قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله إن فرعون علا فى الأرض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا) أى وعد الله عقاب أولاهما (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ) سلطنا عليكم (عِبَادًا لَّنَآ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فَجَاسُوا خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشىء بالاستقصاء (وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً) وكان وعد العقاب وعداً لابدأن يفعل (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ) أى الدولة والغلبة (عَلَيْهِمْ) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها مااكتسبت والصحيح أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة كانت أوسيئة يعنى أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لايتعدى النفع

والضرر إلى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ) وعد المرة الآخرة بعثناهم (لِيَسُـُٔوا) أى هؤلاء (وُجُوهَكُمْ) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا. ليسوء شامى وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث . لنسوء على (وَلِيَدْخُلُوا ٱلْمَسْجِدَ) بيت المقدس (كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) ماعلوا مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شىء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وَإِنْ عُدتُّمْ) مرة ثالثة (عُدْنَا) إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) ويبشر حمزة وعلى (أَنَّ لَهُمْ) بأن لهم (أَجْرًا كَبِيرًا) أى الجنة (وَأَنَّ ٱلَّذِينَ) وبأن الذين (لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا) أى أعددنا قلبت تاء (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل (وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا) يتسرع إلى طلب كل مايقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر أو أريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعنى أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك. الآية فأجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً) أى الليل والنهار آيتان فى أنفسهما فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أى فمحونا الآية

التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم نخلق له شعاعاً كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شىء (لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف فى معايشكم (وَلِتَعْلَمُوا) باختلاف الجديدين (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يعنى حساب الآجال ومواسم الأعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وَكُلَّ شَيْءٍ) مما تفتقرون إليه فى دينكم ودنياكم (فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) عمله (فِي عُنُقِهِ) يعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا يفك عنه (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ) هو صفة لكتاباً. يلقاه شامى (مَنشُورًا) حال من يلقاه يعنى غير مطوى ليمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له (اقْرَأْ كِتَابَكَ) أى كتاب أعمالك وكل يبعث قارئاً (كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ) الباء زائدة أى كفى نفسك (حَسِيبًا) تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافى. وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لأن الشاهد يكفى المدعى ما أهمه وإنما ذكر حسيباً لأنه بمنزلة الشهيد والقاضى والأمير إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلا حسيباً أو تؤول النفس بالشخص (مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أى كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال فى الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولا يلزمهم الحجة (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً) أى أهل قرية (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبى عمرو والزجاج (فَفَسَقُوا فِيهَا) أى خرجوا عن الأمر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا، دليله قراءة يعقوب آمرنا ومنه الحديث «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» أى كثيرة النسل (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) فوجب عليها الوعيد (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) فأهلكناها إهلاكا (وَكَمْ) مفعول (أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ) بيان لكم (مِن بَعْدِ نُوحٍ) يعنى عادا وثمود وغيرها (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ

خَبِيرًا) وإن أخفوها فى الصدور (بَصِيرًا) وإن أرخوا عليها الستور (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ) لامايشاء (لِمَن نُّرِيدُ) بدل من له بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى من أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون مايتمنون ولايعطون إلا بعضا منه وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقى فقد اختار غنى الآخرة فإن أوتى حظا من الدنيا فبها وإلا فربما كان الفقر خيراً له (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (يَصْلَاهَا) يدخلها (مَذْمُومًا) ممقوتا (مَّدْحُورًا) مطروداً من رحمة الله (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا) هو مفعول به أو حقها من السعى وكفاءها من الأعمال الصالحة (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) مصدق لله فى وعده ووعيده (فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) مقبولا عندالله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فإنه شرط فيها ثلاث شرائط فى كون السعى مشكوراً إرادة الآخرة والسعى فيما كلف والإيمان الثابت (كُلًّا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو منصوب بقوله (نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ) بدل من كلا أى نمد هؤلاء (وَهَٰؤُلَاءِ) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) رزقه ومن تتعلق بتمد والعطاء اسم للمعطى أى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لانقطعه فنرزق المطيع والعاصى جميعاً على وجه التفضل (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ممنوعا عن عباده وإن عصوا (انظُرْ) بعين الاعتبار (كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) فى المال والجاه والسعة والكمال (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) روى أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبى سفيان فقال سهيل بن عمرو: إنما أتينا من قبلنا. إنهم دعوا ودعينا يعنى إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر (لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) الخطاب للنبى ﷺ والمراد به أمته (فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) فتصير جامعاً على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالإهانة محروما عن الإعانة إذ الخذلان ضد النصر والعون. دليله

قوله تعالى: إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده. حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) وأمر أمراً مقطوعاً به (أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ) أن مفسرة ولاتعبدوا نهى أو بأن لاتعبدوا (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) وأحسنوا بالوالدين إحساناً أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ) إما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيداً لها ولذا دخلت النون المؤكدة فى الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيداً يكرمك ولكن إما تكرمنه (أَحَدُهُمَآ) فاعل يبلغن وهو فى قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين (أَوْ كِلَاهُمَا) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ) مدنى وحفص. أفَّ مكى وشامى. أفُّ غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لإرادة التنكير أى أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أى أتضجر التضجر المعلوم (وَلَا تَنْهَرْهُمَا) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لايعجبك والنهى والنهر أخوان (وَقُل لَّهُمَا) بدل التأفيف والنهر (قَوْلًا كَرِيمًا) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب أو هو أن يقول ياأبتاه ياأماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء ولا بأس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها: نحلنى أبو بكر كذا، وفائدة عندك انهما إذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لايقول لهما إذا أضجره مايستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لايكاد يصبر الإنسان معها (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) أى اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (مِنَ الرَّحْمَةِ) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك فى الرحمة لهما (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا) ولا تكتف برحمتك عليهما التى لابقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالأبوين المسلمين وقيل إذا كانا

كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي ﷺ «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما» . وروى يفعل البار ماشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام «إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين» (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى إلى أذاهما ثم أبتم إلى الله واستغفرتم منها (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا) الأواب الذى إذا أذنب بادر إلى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ) منك (حَقَّهُ) أى النفقة إذا كانوا محارم فقراء (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) ولا تسرف إسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل فمن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لا سرف في الخير (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَٰطِينِ) أمثالهم في الشرارة وهى غاية المذمة لأنه لاشر من الشيطان أوهم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف (وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) فما ينبغى أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ) وإن أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) أى وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه: فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كل نصب على المصدر

لإضافته إليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر باقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير (فَتَقْعُدَ مَلُوماً) فتصير ملوما عندالله لأن المسرف غيرمرضى عنده وعندالناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمنى ويقول الغنى مايحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت على مافعلت (مَحْسُوراً) منقطعا بك لاشىء عندك من حسره السفر إذا أثرفيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقدخاطرت مسلمة ضرتها اليهودية فى أنه يعنى محمداعليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعدعريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى فقال (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ) فليس البسط إليك (وَيَقْدِرُ) أى هو يضيق فلا لوم عليك (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً) بمصالحهم فيمضيها (بَصِيراً) بحوائجهم فيقضيها (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَدَكُمْ) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خَشْيَةَ إِمْلَقٍ) فقر (نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً) إثما عظيما يقال خطىء خطأ كأثم إثما. خطأ شامى وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرىء به وهو نهى عن دواعى الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً) معصيه مجاوزة حد الشرع والعقل (وَسَاءَ سَبِيلًا) وبئس طريقا طريقه (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ) أى بارتكاب مايبيح الدم (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا) غير مرتكب مايبيح الدم (فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَنًا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه (فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الإسراف المثلة أو الضمير للقاتل الأول فلا تسرف حمزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل المظلوم (إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) الضمير للولى أى حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو للمظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فإنه كان منصوراً بإيجاب القصاص على المسرف. وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لأن

أنفس أهل الذمة والعبيد داخله في الآية لكونها محرمة (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أي ثماني عشرة سنة (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) بأوامر الله تعالى ونواهيه (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به أو إن صاحب العهد كان مسئولا (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون أي القبان (الْمُسْتَقِيمِ) المعتدل (ذَٰلِكَ خَيْرٌ) في الدنيا (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يئول إليه (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) ولا تتبع مالم تعلم أي لا تقل رأيت ومارأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم. ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم فإن علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات ولنا في العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد لأن أولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم كقول جرير.

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسئول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم. يقال للإنسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل فأما إذا تقدما فلا (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) هو حال أي ذا مرح (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك (وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ) كوفي وشامي على إضافة سيء إلى ضمير كل. سيئة غيرهم (عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) ذكر مكروها لأن السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول. الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة، فإن قلت الخصال المذكورة بعضها

سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فماوجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بمانهى عنه خاصة لابجميع الخصال الممدودة (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من قوله لاتجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية (مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ) ممايحكم العقل بصحته وتصلح النفس بأسوته (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) مطروداً من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لاتجعل مع الله إلها آخر وآخرها مدحوراً ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لأن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ) الهمزة للإنكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون (وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا) واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لايؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) حيث أضفتم إليه الأولاد وهى من خواص الأجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم (لِيَذَّكَّرُوا) وبالتخفيف حمزة وعلى أى كررناه ليتعظوا (وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) عن الحق وكان الثورى إذ قرأها يقول زادنى لك خضوعا مازاد أعداءك نفوراً (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ) مع الله (ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ) وبالياء مكى وحفص (إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا) يعنى لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا إليه كقوله: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وإذًا دالة على أن مابعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ) وبالتاء حمزة وعلى (عُلُوًّا) أى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كَبِيرًا) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به (تُسَبِّحُ) وبالتاء عراق غير أبى بكر (لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِ) أي يقول سبحان الله وبحمده. عن السدى قال عليه السلام «ما اصطيد حوت فى البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى» (وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) لاختلاف اللغات أولتعسر الإدراك أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدال على الخبر كفاعله والوجه الأول (إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً) عن جهل العباد (غَفُوراً) لذنوب المؤمنين (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً) ذا ستر أوحجابا لايرى فهو مستور (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) جمع كنان وهو الذى يستر الشيء (أَن يَفْقَهُوهُ) كراهة أن يفقهوه (وَفِى ءاذَانِهِمْ وَقْراً) ثقلا يمنع عن الاستماع (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءانِ وَحْدَهُ) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهومصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ) رجعوا على أعقابهم(نُفُوراً) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن بها فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لا جادين والواجب عليهم أن يستمعوه جادين (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ) وبما يتناجون به إذهم ذوو نجوى (إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ) بدل من إذ هم (إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً) سحر فجن (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) أى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لايدرى ما يصنع (وَقَالُوٓا) أى منكرو البعث (أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰماً وَرُفَـٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً) أى مجدداً وخلقاً حال أى مخلوقين (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) أى السموات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ) يعيدكم (الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادراً على أن يردكم إلى حال

الحياة (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ) أى البعث استبعاداً له ونفياً (قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيباً) أى هو قريب وعسى للوجوب (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ) إلى المحاسبة وهو يوم القيامة (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) أى تجيبون حامدين والباء للحال. عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر (وَقُل لِّعِبَادِى) وقل للمؤمنين (يَقُولُوا) للمشركين الكلمة (ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) والين ولا يخاشنوهم وهى أن يقولوا يهديكم الله (إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة. والنزغ: إيقاع الشر وإفساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِيناً) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ) بالهداية والتوفيق (أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله: إن الشيطان ينزغ بينهم. اعتراض (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) حافظا لأعمالهم وموكولا إليك أمرهم وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) وبأحوالهم وبكل مايستأهل كل واحد منهم (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ) فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله (وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً) دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى: ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون. وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لأنه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم) أنها آلهتكم (مِّن دُونِهِ) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر (أُوْلَٰٓئِكَ) مبتدأ (ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ) يعنى

أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة إلى الله عز وجل (أَيُّهُمْ) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أَقْرَبُ) منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً) حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً) قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَٰبِ) فى اللوح المحفوظ (مَسْطُوراً) مكتوباً وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف أما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون وأما صغا نيان إلى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعاً وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهى أرض الجبابرة فيموتون قحطاً وجوعاً وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأماهراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الرى فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما أرمينية وأذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمربها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لأهلها ولأهل دمشق وويل لأهل إفريقية وويل لأهل الرملة ولايدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياماً ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تنخلع القلوب وتموت الأبدان (وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) استعير المنع لترك إرسال الآيات وأن الأولى مع صلتها فى موضع النصب لأنها مفعول ثان لمنعنا وأن الثانية مع صلتها فى موضع الرفع لأنها فاعل منعنا والتقدير وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التى اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا

ومن إحياء الموتى وغير ذلك وسنة الله فى الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح عليه السلام لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ) باقتراحهم (مُبْصِرَةً) آية بينة (فَظَلَمُوا بِهَا) فكفروا بها (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَـٰتِ) إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إِلَّا تَخْوِيفًا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة وهو مفعول له (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ) واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلا تبال بهم وامض لأمرك وبلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله: سيهزم الجمع ويولون الدبر. قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سنته فى إخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر «والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم» وهو يومىء إلى الأرض ويقول «هذا مصرع فلان» فتسامعت قريش بما أوحى إلى رسول الله ﷺ من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ) أى وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن إلا فتنة للناس فإنهم حين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز أن

يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (وَنُخَوِّفُهُمْ) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فَمَا يَزِيدُهُمْ) التخويف (إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال مايقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الإسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الإسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وإنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة كقوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائى أو هى رؤيا أنه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فإن قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لأنه قال ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز ولأن العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أى أصله طين (قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِى) الكاف لا موضع لها لأنها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا الذى (كَرَّمْتَ عَلَىَّ) أى فضلته، لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ماتقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ) وبلا ياء كوفى وشامى واللام موطئة للقسم المحذوف (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ) لأستأصلنهم بإغوائهم (إِلاَّ قَلِيلاً) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام أولأنه رأى أنه خلق شهوانى (قَالَ اذْهَبْ)ليس من الذهاب الذى هوضد المجىء وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ) والتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب (جَزَآءً مَّوْفُوراً) أى موفرا بإضمار تجازون (وَاسْتَفْزِزْ) استزل أواستخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم) اجمع

وصيح بهم من الجلبة وهو الصياح ﴿ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لأن أقصى مايستطاع فى طلب الأمور الخيل والرجل وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق فى الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾ الصالحين ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ يد بتبديل الإيمان ولكن بتسويل العصيان ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أمر تهديد فيعاقب به أو إهانة أى لا يخل ذلك بملكى ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي ﴾ يجرى ويسير ﴿ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ يعنى الربح فى التجارة ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ أى خوف الغرق ﴿ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه أو ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع ﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ عن الإخلاص بعد الخلاص ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ ﴾ أى الكافر ﴿ كَفُورًا ﴾ للنعم ﴿ أَفَأَمِنتُمْ ﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالأرض فى قوله فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل أن الجوانب كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل إن كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب

تحت الماء فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) يصرف ذلك عنكم (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ) أى أم أمنتم أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم (قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ) بكفرانكم النعمة وهو إعراضكم حين نجاكم (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة والمعنى إنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله : ولا يخاف عقباها . أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكى وأبو عمرو (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدى وعن الرشيد أنه أحضر طعاماً فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله تعالى فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على الدواب (وَالْبَحْرِ) على السفن (وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ذكر فى الكشاف أن المراد بالأكثر الجميع وعنه عليه السلام : « المؤمن أكرم على الله من الملائكة » وهذا لأنهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه (يَوْمَ نَدْعُوا) منصوب باذكر (كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) الباء للحال والتقدير مختلطين بإمامهم أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا

أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فَمَنْ أُوتِيَ) من هؤلاء المدعوين (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ) وإنما قيل أولئك لأن من في معنى الجمع (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ) الدنيا (أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) كذلك (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) من الأعمى أعماضل طريقاه والأعمى مستعار ممن لايدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لايهتدى إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لاينفعه الاهتداء إليه وقد جوّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالًا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة، وأمالهما حمزة وعلي وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ) لتتقول علينا مالم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ) قاربت أن تميل إلى مكرهم (شَيْئًا قَلِيلًا) وكونا قليلا وهذا تهييج من الله وفضل تثبيت (إِذًا) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال: يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة. الآية وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكأن أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف

ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول : « اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين » (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) معيناً لك يمنع عذابنا عنك (وَإِن كَادُوا) أى أهل مكة (لَيَسْتَفِزُّونَكَ) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (مِنَ الْأَرْضِ) من أرض مكة (لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ) لايبقون (خِلَٰفَكَ) بعدك أى بعد إخراجك خلافك كوفى غير أبى بكر وشامى بمعناه (إِلَّا قَلِيلًا) زمانا قليلا فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) تبديلا (أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الأصم حيث زعم أن القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين فى العادة (وَمِنَ الَّيْلِ) وعليك بعض الليل (فَتَهَجَّدْ) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال فى النوم أيضاً تهجد (بِهِ) بالقرآن (نَافِلَةً لَّكَ) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجداً لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد المعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم (عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) نصب

على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاماً محموداً أوضمن يبعثك معنى يقيمك وهومقام الشفاعة عندالجمهور ويدل عليه الأخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) هو مصدر أى أدخلنى القبر إدخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أى أخرجنى منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة أو هو عام فى كل مايدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصراً للإسلام على الكفر مظهراً له عليه (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَزَهَقَ) وذهب وهلك (الْبَاطِلُ) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) كان مضمحلا فى كل أوان (وَنُنَزِّلُ) وبالتخفيف أبو عمرو (مِنَ الْقُرْآنِ) من للتبيين (مَا هُوَ شِفَاءٌ) من أمراض القلوب (وَرَحْمَةٌ) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (لِّلْمُؤْمِنِينَ) وفى الحديث «من لم يستشف بالقرآن فلاشفاه الله» (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ) الكافرين (إِلَّا خَسَارًا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ) بالصحة والسعة (أَعْرَضَ) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ) تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشىء أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أى يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين نأى بالأمالة حمزة وبكسرها على (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كَانَ يَئُوسًا) شديداليأس من روح الله (قُلْ كُلٌّ) أى كل أحد (يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) أسد مذهبا وطريقة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) أى من أمر يعلمه ربى، الجمهور على أنه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى ﷺ وما يعلم الروح وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك

خالقه أعجز ولذا رد ماقيل فى حده أنه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام: نزل به الروح الأمين على قلبك. وعن الحسن القرآن دليله: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا. ولأن به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروى أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبى وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا (وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الخطاب عام فقد روى أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال «بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا» وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبى ﷺ قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل فى جنب علم الله فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهى قليلة ثم نبه على نعمة الوحى وعزاه بالصبر على أذى الجدال فى السؤال بقوله (وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن توطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا) أى ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا (إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا) أى إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر: لو نشاء لقلنا مثل هذا (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله:

• يقول لا غائب مالى ولا حرم • لأن الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ رددنا وكررنا ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ جحودا وإنما جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا لأن أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا ولما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا ﴾ وبالتخفيف كوفى ﴿ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أى مكة ﴿ يَنبُوعًا ﴾ عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لاتقطع، يفعول من نبع الماء ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ﴾ والتشديد هنا بجمع عليه ﴿ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا ﴾ وسطها ﴿ تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ بفتح السين مدنى وعاصم أى قطعا يقال أعطنى كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبلا كقوله كنت منه ووالدى بريا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا. أو جماعة حالا من الملائكة ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ ذهب ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ ﴾ تصعد إليها ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ لأجل رقيك ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا ﴾ وبالتخفيف أبو عمرو ﴿ كِتَابًا ﴾ أى من السماء فيه تصديقك ﴿ نَّقْرَؤُهُ ﴾ صفة كتاب ﴿ قُلْ ﴾ قال مكى وشامى أى قال الرسول ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ تعجب من اقتراحاتهم عليه ﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ أى أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلى إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها على ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ ﴾ يعنى أهل مكة ومحل ﴿ أَن يُؤْمِنُوا ﴾ نصب بأنه مفعول ثان لمنع ﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ النبى والقرآن ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا ﴾ فاعل منع والتقدير وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا قولهم ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ أى إلا شبهة تمكنت فى صدورهم

وهى إنكارهم أن يرسل الله البشر ، والهمزة فى أبعث الله للإنكار وما أنكروه ففى قضية حكمته منكر(١) ثم رد الله عليهم بقوله (قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَـٰئِكَةٌ يَمْشُونَ) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مُطْمَئِنِّينَ) حال أى ساكنين فى الأرض قارين (لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الانس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم وبشرا وملكا حالان من رسولا (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على أنى بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم. شهيدا تمييز أو حال (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ) المنذرين والمنذرين (خَبِيرًا) عالما بأحوالهم (بَصِيرًا) بأفعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) وبالياء يعقوب وسهل وافقهما أبو عمرو ومدنى فى الوصل أى من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله (وَمَن يُضْلِلْ) أى ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ) أى أنصاراً (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام كيف يمشون على وجوههم قال «إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» (عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم (مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ) طفىء لهبها (زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) توقدا (ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) أى ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أَوَلَمْ يَرَوْا) أولم يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ

---

(١) قوله منكر هكذا فى النسخ الخط والطبع ولعل قبله سقطا تقديره خلافه ويدل عليه عبارة الكشاف ونصها وما أنكروه خلافه هو المنكر عند الله لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحى إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء اهـ

مِثْلَهُمْ) من الإنس (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ) وهو الموت أو القيامة (فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) جحوداً مع وضوح الدليل (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ) تقديره لو تملكون أنتم لأن لو تدخل على الأفعال دون الأسماء فلابد من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط مايتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الإعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي) رزقه وسائر نعمه على خلقه (إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الإنفاق (وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا) بخيلا (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فقلنا له اسأل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (إِذْ جَاءَهُمْ) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا) سحرت فخولط عقلك (قَالَ) أى موسى (لَقَدْ عَلِمْتَ) يافرعون(مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ) الآيات (إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما (بَصَائِرَ) حال أى بينات مكشوفات إلا أنك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا. علمت بالضم على أى إنى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السماوات والأرض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) كأنه قال إن ظننتنى مسحوراً فأنا أظنك مثبوراً هالكا وظنى أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهى إنكارك ماعرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمرى إنى لأظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أى مامنعك وصرفك (فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم) يخرجهم أى موسى وقومه (مِّنَ الْأَرْضِ) أى أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال (فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا) فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه (وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ) من بعد فرعون

(لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ) التى أراد فرعون أن يستفزكم منها) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أى القيامة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً) جمعاً مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا إلى أين فقلنا له إلى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنافلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ماقال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً) بالجنة (وَنَذِيراً) من النار (وَقُرْءَاناً) منصوب بفعل يفسره (فَرَقْنَاهُ) أى فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ) على تؤدة وتثبت (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) على حسب الحوادث (قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْلَا تُؤْمِنُوا) أى اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم ثم علل بقوله (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ) أى التوراة من قبل القرآن (إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) القرآن (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً) حال (وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ماوعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور. إن بمعنى إنه وهى تؤكد الفعل كما أن إن تؤكد الاسم وكما أكدت إن باللام فى إنهم لمحضرون أكدت إن باللام فى المفعولا (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وإنما خص الذقن لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى

ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أمامعنى على فظاهر وأمامعنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به إذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للأذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين (وَيَزِيدُهُمْ) القرآن (خُشُوعاً) لين قلب ورطوبة عين (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) لما سمعه أبو جهل يقول يا ألله يا رحمن قال إنه نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر فنزلت وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين فى (أَيًّا مَّا تَدْعُوا) عوض من المضاف إليه وما زيدت للتوكيد وأيا نصب بتدعوا وهو مجزوم بأى أى أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) والضمير فى فله يرجع إلى ذات الله تعالى والفاء لأنه جواب الشرط أى أيًّا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء إنها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس إذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) حتى لا تسمع من خلفك (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ) بين الجهر والمخافتة (سَبِيلًا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح (وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) كما زعم المشركون (وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ) أى لم يذل فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله سورة الكهف﴾


Bibliotheca Alexandrina
0581313